الطريق المحبوب

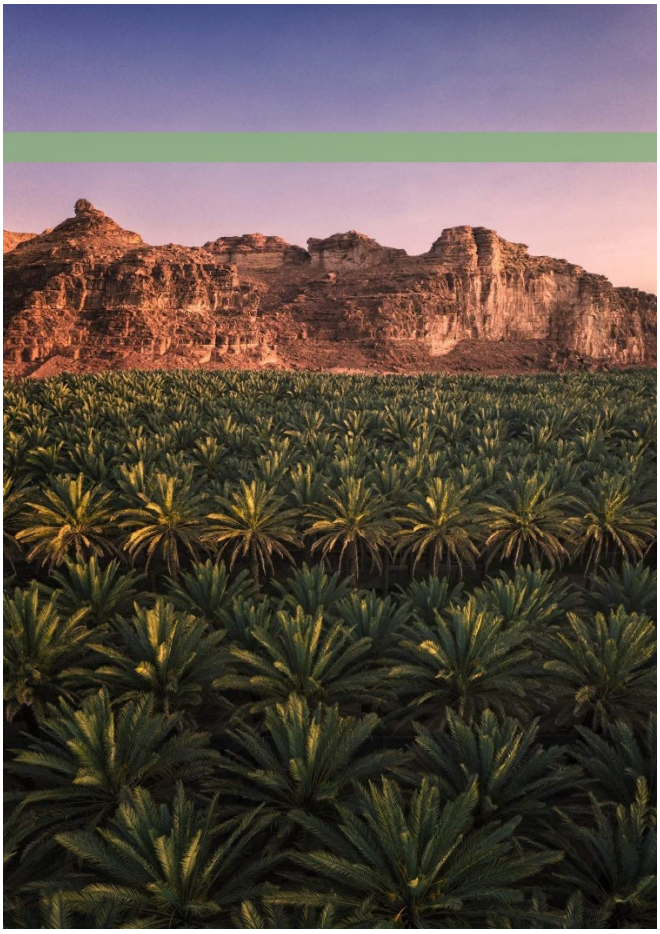

فَصْلٌ عَنْ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بِتَرْتِيبِ السِّيَرِ

مُحَاوَلَةُ إِحْرَاقِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ

كَانَ أَهْلُ بَابِلَ يَتَنَعَّمُونَ بِعَيْشٍ رَغِيدٍ وَنِعَمٍ كَثِيرَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ نَسُوا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ فَعَبَدُوا الأَصْنَامَ الَّتِي كَانُوا يَنْحَتُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ وَهِيَ الَّتِي لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ لا تَخْلُقُ ضَرَرًا وَلا نَفْعًا.

وَكَانَ مَلِكُهُمْ نُمْرُودُ قَدْ طَغَى وَضَلَّ حَتَّى ادَّعَى الأُلُوهِيَّةَ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِعِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فِي هَذِهِ الْبِيئَةِ الْمُنْحَرِفَةِ وُلِدَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَكَانَ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ قَدْ أُلْهِمَ الإِيمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اللَّهَ لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَأَنَّهُ هُوَ خَالِقُ هَذَا الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ.

فَلَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةِ الإِسْلامِ دَعَا قَوْمَهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتْرُكُوا الأَصْنَامَ الَّتِي كَانُوا يَتَفَنَّنُونَ بِنَحْتِهَا وَتَزْيِينِهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا الذَّبَائِحَ عَلَى زَعْمِهِمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا فَلَمْ يُطِعْهُ الْكَثِيرُونَ بَلِ ازْدَادَ تَكَبُّرُهُمْ وَتَجَبُّرُهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ مَلِكُهُمْ نُمْرُودُ.

وَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُتَعَلِّقِينَ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَقَبَّلُوا الأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ الْوَاضِحَةَ الْجَلِيَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا قَرَّرَ أَنْ يَفْعَلَ بِأَصْنَامِهِمْ فِعْلًا يُقِيمُ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يُفِيقُونَ مِنْ غَفْلَتِهِمُ الْعَمِيقَةِ.

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ قَوْمِهِ أَنْ يُقِيمُوا لَهُمْ عِيدًا فَلَمَّا حَلَّ عَلَيْهِمْ عِيدُهُمْ خَرَجُوا لِيَحْتَفِلُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ فِي الْبَسَاتِينِ وَالْحَدَائِقِ.

فَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى بَيْتِ الأَصْنَامِ الَّذِي كَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَهَا فِيهِ فَإِذَا فِي صَدْرِ الْبَيْتِ صَنَمٌ كَبِيرٌ وَعَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ أَصْنَامٌ صَغِيرَةٌ فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى فَأْسًا وَأَخَذَ يَهْوِي بِهِ عَلَى الأَصْنَامِ الصَّغِيرَةِ يُكَسِّرُهَا وَيُحَطِّمُهَا ثُمَّ عَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِ الصَّنَمِ الْكَبِيرِ حَتَّى إِذَا رَجَعَ قَوْمُهُ يَظْهَرُ لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا ضُرًّا فَكَيْفَ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْقَهَّارِ.

عَادَ قَوْمُهُ فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ مَنْ حَطَّمَ أَصْنَامَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لِشِدَّةِ جَهْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا قَصَدَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَاغْتَاظُوا وَأَرَادُوا أَنْ يَنْتَقِمُوا مِنْهُ فَاخْتَارُوا نَوْعًا مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَهُوَ الإِحْرَاقُ بِالنَّارِ.

صَارَ الْكُفَّارُ يَجْمَعُونَ الْحَطَبَ مِنْ جَمِيعِ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ الأَمَاكِنِ وَأَتَوْا بِهَذَا الْحَطَبِ الْكَثِيرِ وَرَمَوْهُ فِى حُفْرَةٍ عَظِيمَةٍ وَأَضْرَمُوا فِيهَا النَّارَ فَاضْطَرَمَتْ وَتَأَجَّجَتْ وَالْتَهَبَتْ وَعَلا لَهَا شَرَرٌ عَظِيمٌ وَصَوْتٌ مُخِيفٌ لَمْ يُرَ وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.

وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ اشْتِعَالِهَا أَنَّهَا تُحْرِقُ الطَّائِرَ الَّذِى يَمُرُّ فَوْقَهَا وَكَانَ الْكُفَّارُ لا يَسْتَطِيعُونَ لِقُوَّةِ اللَّهَبِ أَنْ يَتَقَدَّمُوا مِنَ النَّارِ فَكَيْفَ سَيَرْمُونَ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

أَتَى إِبْلِيسُ اللَّعِينُ مُتَشَكِّلًا وَعَلَّمَهُمْ صُنْعَ الْمِنْجَنِيقِ الَّذِى لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ مِنْ قَبْلُ وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ اسْمُهُ هِيزَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَنَعَهُ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ ثُمَّ أَخَذَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ يُقَيِّدُونَهُ وَيُكَتِّفُونَهُ وَهُوَ يَقُولُ «**لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمُلْكُ لا شَرِيكَ لَكَ**» فَلَمَّا أُلْقِىَ فِى النَّارِ قَالَ بِلِسَانِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**».

وَأَعْطَى اللَّهُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ مُعْجِزَةً بَاهِرَةً فَلَمْ تُحْرِقْهُ النَّارُ وَلَمْ تُصِبْهُ بِأَذًى وَلا حَتَّى ثِيَابَهُ وَإِنَّمَا أَحْرَقَتْ وِثَاقَهُ الَّذِى رَبَطُوهُ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ وَكَانَ النَّاسُ يَقِفُونَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ يَنْظُرُونَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْهَائِلَ الْمُخِيفَ.

مَكَثَ نُمْرُودُ أَيَّامًا لا يَشُكُّ أَنَّ النَّارَ قَدْ أَكَلَتْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ جَالِسًا وَإِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِثْلُهُ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَىٌّ وَلَقَدْ شُبِّهَ عَلَىَّ ابْنُوا لِى مِنَصَّةً عَالِيَةً لِأَرَى مَا الأَمْرُ فَبَنَوْا لَهُ مِنَصَّةً وَأَشْرَفَ مِنْهَا فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ جَالِسًا وَإِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ فِى صُورَتِهِ فَنَادَى نُمْرُودُ سَائِلًا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ «هَلْ تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ» فَأَجَابَهُ «**نَعَمْ**» ثُمَّ سَأَلَهُ «أَتَخْشَى إِنْ أَقَمْتَ فِيهَا أَنْ تَضُرَّكَ» قَالَ «**لا**» وَلَمَّا خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَنَجَّاهُ اللَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِى كَانَ مَعَهُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَلَكُ الظِّلِّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُؤْنِسَهُ.

وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْعَجَائِبِ فَإِنَّ نُمْرُودَ وَقَوْمَهُ ظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَلَمْ يُؤْمِنْ إِلَّا الْقَلِيلُ لَكِنَّهُمْ أَخْفَوْا إِسْلامَهُمْ خَوْفًا مِنْ مَلِكِهِمُ الْكَافِرِ الَّذِى سَيَلْقَى جَزَاءَهُ الْعَادِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

رُؤْيَةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِإِحْيَاءِ الطُّيُورِ الأَمْوَاتِ

أَيَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِمُعْجِزَاتٍ بَاهِرَاتٍ كَانَتِ الدَّلِيلَ السَّاطِعَ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَمِنْهَا إِحْيَاءُ الطُّيُورِ الَّتِى مَاتَتْ عَلَى يَدَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ.

مَا كَانَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِى وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ شَاكًّا فِى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ كَانَ مُنْذُ صِغَرِهِ قَدْ أُلْهِمَ الرُّشْدَ وَالإِيمَانَ وَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ وَأُوتِىَ النُّبُوَّةَ وَبَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا يُعَلِّمُ النَّاسَ الإِسْلامَ ذَهَبَ إِلَى مَلِكِ الْبِلادِ نُمْرُودَ

الَّذِى كَانَ كَافِرًا جَاحِدًا لا يَعْتَرِفُ بِوُجُودِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يُجَادِلُهُ ﴿**رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِ وَيُمِيتُ**﴾ فَقَالَ نُمْرُودُ ﴿**أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ**﴾ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاحَ رَجُلٍ كَانَ سَجِينًا عِنْدَهُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ بِالإِعْدَامِ فَقَالَ «لَقَدْ أَحْيَيْتُهُ» ثُمَّ قَتَلَ رَجُلًا ءَاخَرَ فَقَالَ «لَقَدْ أَمَتُّهُ» فَغَلَبَهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ لَمَّا قَالَ لَهُ ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ**﴾ وَلَكِنَّ نُمْرُودَ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بَلْ قَالَ حَسَبَ مَا يُرْوَى قُلْ لِرَبِّكَ أَنْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَإِلَّا قَتَلْتُكَ فَلَمْ يَخَفْ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَرَى نُمْرُودُ وَأَتْبَاعُهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى عَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى وَقَالَ ﴿**رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى**﴾ [سُورَةَ الْبَقَرَة].

وَصُودِفَ مُرُورُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قُرْبَ الْبَحْرِ فَشَاهَدَ جِيفَةَ بَهِيمَةٍ مَطْرُوحَةً عَلَى الشَّاطِئِ فَإِذَا هَاجَتِ الأَمْوَاجُ دَفَعَتْهَا إِلَى الْبَرِّ فَأَكَلَتْ مِنْهَا السِّبَاعُ فَإِذَا ذَهَبَتِ السِّبَاعُ جَاءَتِ الطُّيُورُ فَأَكَلَتْ مِنْهَا ثُمَّ طَارَتْ ثُمَّ إِذَا سَحَبَ الْمَوْجُ الْجِيفَةَ إِلَى الْبَحْرِ أَكَلَتْ مِنْهَا الأَسْمَاكُ وَالْحِيتَانُ فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ وَقَالَ «**رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تَجْمَعُ أَجْزَاءَ الْحَيَوَانِ فِى بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطُّيُورِ وَحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ لِيَزْدَادَ يَقِينِى**».

وَعِنْدَهَا تَحْصُلُ مُعْجِزَةٌ كَبِيرَةٌ بَاهِرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذِ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَصْنَعُ أَوَّلًا فَأَمَرَهُ كَمَا قِيلَ بِأَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَأَخَذَ دِيكًا أَحْمَرَ وَحَمَامَةً بَيْضَاءَ وَطَاوُوسًا أَخْضَرَ وَغُرَابًا أَسْوَدَ ثُمَّ ذَبَحَهَا وَأَسَالَ دَمَهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ قَطَّعَهَا قِطَعًا صَغِيرَةً وَخَلَطَ لُحُومَهَا بِبَعْضِهَا مَعَ الدَّمِ وَالرِّيشِ حَتَّى يَكُونَ أَعْجَبَ ثُمَّ وَزَّعَ أَجْزَاءَ هَذَا الْخَلِيطِ الْغَرِيبِ عَلَى سَبْعَةِ جِبَالٍ وَوَقَفَ هُوَ بِحَيْثُ يَرَى تِلْكَ الأَجْزَاءَ وَأَمْسَكَ رُءُوسَ تِلْكَ الطُّيُورِ فِى يَدِهِ ثُمَّ قَالَ «**تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ**».

فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الأَجْزَاءُ فَجَعَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَنْظُرُ إِلَى الرِّيشِ يَطِيرُ إِلَى الرِّيشِ وَالدَّمِ إِلَى الدَّمِ وَاللَّحْمِ إِلَى اللَّحْمِ وَالأَجْزَاءِ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. وَعَادَتِ الأَشْلاءُ تَتَجَمَّعُ حَتَّى قَامَ كُلُّ طَائِرٍ وَحْدَهُ وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ رَأْسٍ لِيَكُونَ أَبْلَغَ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِى الرُّؤْيَةِ الَّتِى سَأَلَهَا وَعَادَتِ الرُّوحُ إِلَيْهَا وَسَعَتْ إِلَيْهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ مُسْرِعَةً وَصَارَ كُلُّ طَائِرٍ يَجِيءُ لِيَأْخُذَ رَأْسَهُ الَّذِى فِى يَدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَإِذَا قَدَّمَ لَهُ رَأْسًا غَيْرَ رَأْسِهِ لا يَقْبَلُهُ فَإِذَا قَدَّمَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ تَرَكَّبَ مَعَ بَقِيَّةِ جَسَدِهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ فَاللَّهُ عَزِيزٌ لا يَغْلِبُهُ شَىْءٌ وَلا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يُرِيدُ.

ثُمَّ طَارَتِ الطُّيُورُ كَمَا كَانَتْ مِنْ جَدِيدٍ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَتْ مُعْجِزَةٌ كَبِيرَةٌ لِنَبِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ الأَنْبِيَاءِ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ نُمْرُودُ إِذْ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقَاوَتُهُ فَأَذَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِ نَوْعًا مِنَ الْحَشَرَاتِ دَخَلَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَهْدَأُ أَلَمُهُ حَتَّى يُضْرَبَ بِالأَحْذِيَةِ وَالْكُفُوفِ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ.

قِصَّةُ الذَّبِيحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْعَظِيمِ ﴿**سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سُورَةَ الصَّافَّات].

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا رَسُولًا فَكَانَ عَارِفًا بِاللَّهِ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ وَيُؤْمِنُ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلا رَيْبٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَرْزُقَهُ أَوْلادًا صَالِحِينَ قَالَ فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْقُرْءَانِ ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**﴾ فَرَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.

وَلَمَّا كَبِرَ إِسْمَاعِيلُ وَصَارَ يُرَافِقُ أَبَاهُ وَيَمْشِي مَعَهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ الآيَةَ [سُورَةَ الصَّافَّات].

وَرُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَلَدَهُ فَقَالَ لِوَلَدِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْءَانِ ﴿**فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ الآيَةَ [سُورَةَ الصَّافَّات] لَمْ يَقْصِدْ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُشَاوِرَ وَلَدَهُ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِ اللَّهِ وَلا كَانَ مُتَرَدِّدًا إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَا فِي نَفْسِيَّةِ وَلَدِهِ تُجَاهَ أَمْرِ اللَّهِ.

فَجَاءَ جَوَابُ إِسْمَاعِيلَ جَوَابَ الْوَلَدِ الْمُحِبِّ لِلَّهِ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِلْحَيَاةِ فَقَالَ ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [سُورَةَ الصَّافَّات] وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿**إِنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ لِأَنَّهُ لا حَرَكَةَ وَلا سُكُونَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَكُونُ.

أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَابْتَعَدَ بِهِ حَتَّى لا تَشْعُرَ الأُمُّ وَأَضْجَعَهُ عَلَى جَبِينِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ [سُورَةَ الصَّافَّات].

فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ يَا أَبَتِ اشْدُدْ رِبَاطِي حَتَّى لا أَضْطَرِبَ وَاكْفُفْ عَنِّي ثَوْبَكَ حَتَّى لا يَتَلَطَّخَ مِنْ دَمِي فَتَرَاهُ أُمِّي فَتَحْزَنَ وَأَسْرِعْ مَرَّ السِّكِّينِ عَلَى حَلْقِي لِيَكُونَ أَهْوَنَ لِلْمَوْتِ عَلَيَّ فَإِذَا أَتَيْتَ أُمِّي فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنِّي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ يُقَبِّلُهُ وَيَبْكِي وَيَقُولُ نِعْمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ. فَأَمَرَّ السِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ فَلَمْ يَحْكِ شَيْئًا

وَقِيلَ انْقَلَبَتْ فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ مَا لَكَ قَالَ انْقَلَبَتْ فَقَالَ لَهُ اطْعَنْ بِهَا طَعْنًا فَلَمَّا طَعَنَ بِهَا نَبَتْ وَلَمْ تَقْطَعْ شَيْئًا وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الَّذِى يَخْلُقُ الْقَطْعَ بِالسِّكِّينِ مَتَى شَاءَ.

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ الأَزَلِيِّ الَّذِى لا يَزِيدُ وَلا يَنْقُصُ وَلا يَتَجَدَّدُ الصِّدْقَ فِى تَسْلِيمِهِمَا. وَنُودِىَ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا هَذَا فِدَاءُ ابْنِكَ فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا جِبْرِيلُ مَعَهُ كَبْشٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ أَىْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَّصَ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الذَّبْحِ بِأَنْ جَعَلَ فِدَاءً لَهُ كَبْشًا أَقْرَنَ عَظِيمَ الْحَجْمِ وَالْبَرَكَةِ.

ذُو الْقَرْنَيْنِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ

مِمَّا ذُكِرَ فِى الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ قِصَّةُ سَيِّدِنَا ذِى الْقَرْنَيْنِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ الَّذِى كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ فَمَا اسْمُهُ وَمَاذَا فَعَلَ

اسْمُهُ الصَّعْبُ بنُ الْحَارِثِ وَقِيلَ الصَّعْبُ بنُ ذِى مَرَائِدَ وَهُوَ أَشْهَرُ التَّبَابِعَةِ الَّذِينَ هُمْ مُلُوكُ الْيَمَنِ وَذَكَرَهُ أَحَدُ أَحْفَادِهِ فِي شِعْرٍ قَدِيمٍ مِنْهُ

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ جَدِّى مُسْلِمًا ... مَلِكًا عَلا فِى الأَرْضِ غَيْرَ مُبَعَّدِ

بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِى ... أَسْبَابَ مُلْكٍ مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدِ

وَيُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنَا الْخَضِرَ كَانَ وَزِيرَهُ وَعَلَى مُقَدَّمَةِ جَيْشِهِ. وَقَدْ حَجَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَاشِيًا مِنَ الْيَمَنِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ وَالْتَقَى بِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَطَافَ مَعَهُمَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ بِقُدُومِهِ اسْتَقْبَلَهُ وَدَعَا لَهُ وَأَوْصَاهُ بِوَصَايَا وَجِىءَ لَهُ بِفَرَسٍ لِيَرْكَبَهَا فَقَالَ تَأَدُّبًا لا أَرْكَبُ فِى بَلَدٍ فِيهِ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ السَّحَابَ وَبَشَّرَهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ بِذَلِكَ فَكَانَتْ تَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ. وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّ اللَّهَ مَدَّ لَهُ فِى عُمُرِهِ وَنَصَرَهُ حَتَّى قَهَرَ الْبِلادَ وَفَتَحَ الْمَدَائِنَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَمَنِ اتَّبَعَ دِينَ الإِسْلامِ سَلِمَ وَإِلَّا فَقَدْ أَخْزَاهُ.

وَمِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَةِ أَنْ عَلَّمَهُ مَعَالِمَ الأَرْضِ وَءَاثَارَهَا وَكَانَ لَدَيْهِ فَهْمٌ لِلُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فَكَانَ لا يَغْزُو قَوْمًا إِلَّا حَدَّثَهُمْ بِلُغَتِهِمْ.

وَمِنَ النِّعَمِ الَّتِى أُعْطِيَتْ لَهُ أَنْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ نُورًا وَظُلْمَةً فَكَانَ إِذَا مَشَى فِى اللَّيْلِ يُنَوَّرُ طَرِيقُهُ وَيَكُونُ الظَّلامُ خَلْفَهُ وَأَحْيَانًا تُسَلَّطُ الظُّلْمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى أَقْوَامٍ رَفَضُوا دِينَ الإِسْلامِ وَحَاوَلُوا مُحَارَبَةَ ذِى الْقَرْنَيْنِ فَتَدْخُلُ الظُّلْمَةُ أَفْوَاهَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَتَغْشَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ حَتَّى يَتَرَاجَعُوا وَهَذَا مَا حَصَلَ مَعَهُ حِينَ سَارَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَوْضِعٍ فِى الْمَغْرِبِ

حَيْثُ تَغْرُبُ الشَّمْسُ فَرَأَى هُنَاكَ قَوْمًا كَافِرِينَ قَدْ ظَلَمُوا وَأَجْرَمُوا وَأَكْثَرُوا الْفَسَادَ وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ يُعَذَّبُوا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ وَيُوضَعُوا فِي ثِيرَانٍ نُحَاسِيَةٍ مُحَمَّاةٍ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَيْنَ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَكُونَ لَهُمُ النَّعِيمُ الْكَبِيرُ فِي الْجَنَّةِ وَأَقَامَ فِيهِمْ مُدَّةً يَنْشُرُ الْهُدَى والْخَيْرَ.

ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ يَذْهَبَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَشْرِقِهَا وَمَطْلَعِهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا عُمْرَانٌ وَلا جِبَالٌ وَلا أَشْجَارٌ وَهُنَاكَ وَجَدَ قَوْمًا أَمْرُهُمْ عَجِيبٌ وَهُوَ أَنَّهُمْ إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ دَخَلُوا فِي أَنْفَاقٍ حَفَرُوهَا فِي الأَرْضِ هَرَبًا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ الْقَوِيِّ اللَّاهِبِ أَوْ غَاصُوا فِي الْمَاءِ فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ خَرَجُوا وَاصْطَادُوا السَّمَكَ.

وَمَرَّةً جَاءَهُمْ جَيْشٌ فِي اللَّيْلِ فَقَالُوا لِعَسَاكِرِهِ لا تَبْقُوا هُنَا لِئَلَّا تَطْلُعَ الشَّمْسُ عَلَيْكُمْ فَقَالَ الْعَسَاكِرُ لَنْ نَتْرُكَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ الْتَفَتُوا فَوَجَدُوا عِظَامًا كَثِيرَةً فَسَأَلُوا الْقَوْمَ عَنْهَا فَقَالُوا هَذِهِ عِظَامُ جَيْشٍ وَجُثَثُهُ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ مُنْذُ وَقْتٍ هَاهُنَا فَمَاتُوا فَوَلَّى الْجَيْشُ هَارِبًا.

انْطَلَقَ سَيِّدُنَا ذُو الْقَرْنَيْنِ غَازِيًا مُجَاهِدًا مَنْصُورًا مُظَفَّرًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَلادِ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَهُمَا جَبَلانِ مُتَقَابِلانِ عَالِيَانِ أَمْلَسَانِ وَيَسْكُنُ بَيْنَهُمَا قَوْمٌ لا تَكَادُ تَعْرِفُ لُغَتَهُمْ قَدْ جَاوَرُوا قَوْمًا خُبَثَاءَ هُمْ قَوْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ قَوْمٌ فِي الأَرْضِ مُفْسِدُونَ ضَالُّونَ مُضِلُّونَ.

وَلَمَّا رَأَى أَهْلُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْمِرَاسِ وَاسِعُ السُّلْطَانِ كَثِيرُ الأَعْوَانِ الْتَجَأُوا إِلَيْهِ طَالِبِينَ أَنْ يُقِيمَ سَدًّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ يَفْصِلُ بِلادَهُمْ وَيَمْنَعُ عَنْهُمْ عُدْوَانَهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُ أَجْرَهُ فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعِفَّةٍ وَصَلاحٍ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي وَأَعْطَانِي مِنَ الْمُلْكِ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي تَجْمَعُونَهُ وَلَكِنْ سَاعِدُونِي بِقُوَّةِ عَمَلِكُمْ وَبِالآتِ الْبِنَاءِ لِعَمَلِ السَّدِّ فَجَاءُوهُ بِقِطَعِ الْحَدِيدِ الضَّخْمَةِ حَسَبَ طَلَبِهِ فَكَانَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ تَزِنُ قِنْطَارًا أَوْ أَكْثَرَ وَوَضَعَهَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْوَاحِدَةُ فَوْقَ الأُخْرَى مِنَ الأَسَاسِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ قِمَّةَ الْجَبَلَيْنِ أَحَاطَ الْقِطَعَ الْحَدِيدِيَّةَ بِالْفَحْمِ وَالْخَشَبِ وَأَضْرَمَ النَّارَ فِيهَا وَأَمَرَ بِالنَّفْخِ عَلَيْهَا بِالْمَنَافِخِ حَتَّى تُحَمَّى ثُمَّ جَاءَ بِالنُّحَاسِ الْمُذَابِ مَعَ الرَّصَاصِ فَأَفْرَغَهُمَا عَلَى تِلْكَ الْقِطَعِ الْحَدِيدِيَّةِ فَالْتَأَمَتْ وَاشْتَدَّتْ وَالْتَصَقَتْ بِبَعْضِهَا حَتَّى صَارَتْ سَدًّا شَامِخًا أَمْلَسَ سَمِيكًا جِدًّا يَصِلُ ارْتِفَاعُهُ إِلَى مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا يَصْعُبُ الصُّعُودُ عَلَيْهِ إِذْ لا نُتُوءَ وَلا ثُقُوبَ فِيهِ وَيَصْعُبُ بِالتَّالِي ثَقْبُهُ.

وَلَمَّا بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ [سُورَةَ الْكَهْف] وَحَجَزَ قَوْمَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَلْفَهُ وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لا يَمُوتُ أَحَدُهُمْ حَتَّى يَلِدَ أَلْفًا مِنْ صُلْبِهِ أَوْ أَكْثَرَ وَسَيَصِيرُ عَدَدُهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ كَبِيرًا جِدًّا حَتَّى إِنَّ الْبَشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ كَوَاحِدٍ مِنْ مِائَةٍ وَلَمْ يَثْبُتْ مَا يُرْوَى أَنَّ ءَاذَانَهُمْ طَوِيلَةٌ يَنَامُونَ عَلَى وَاحِدَةٍ

وَيَتَغَطُّونَ بِالأُخْرَى وَأَنَّهُمْ قِصَارُ الْقَامَةِ. وَهُمْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَخْتَرِقُوا هَذَا السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ فَلا يَسْتَطِيعُونَ وَيَقُولُونَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ طُولِ عَمَلٍ وَجُهْدٍ غَدًا نُكْمِلُ فَيَعُودُونَ فِي الْيَوْمِ الْقَابِلِ فَيَجِدُونَ مَا فَتَحُوهُ قَدْ سُدَّ وَيَبْقَوْنَ هَكَذَا يَعْمَلُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ يَقُولُوا غَدًا نُكْمِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَعُودُونَ فِي الْيَوْمِ الْقَابِلِ فَيَجِدُونَ مَا بَدَأُوا بِهِ قَدْ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ فَيُكْمِلُونَ الْحَفْرَ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْخُرُوجِ وَيَكُونُ خُرُوجُهُمْ عَلامَةً مِنْ عَلامَاتِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى حَفِظَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْوَالِهَا.

وَعَاشَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِئَاتِ السِّنِينَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ تَزَوَّدَ لِآخِرَتِهِ بِزَادِ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَالصَّعْبُ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَمْسَى مُلْكُهُ ... أَلْفَيْنِ عَامًا ثُمَّ صَارَ رَمِيمًا.

جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ لِسَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ

كَانَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْبَلاءُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الأَغْنِيَاءِ يَسْكُنُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ اسْمُهَا الْبَثَنِيَّةُ وَهِيَ إِحْدَى قُرَى حَوْرَانَ فِي أَرْضِ الشَّامِ بَيْنَ مَدِينَةِ دِمْشَقَ وَأَذْرِعَاتٍ فِي الأُرْدُن وَقَدْ ءَاتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الأَمْلاكَ الْوَاسِعَةَ وَالأَرَاضِيَ الْخَصْبَةَ وَالْصِّحَّةَ وَالْمَالَ وَكَثْرَةَ الأَوْلادِ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ شَاكِرًا لِأَنْعُمِ اللَّهِ مُوَاسِيًا لِعِبَادِ اللَّهِ بَرًّا رَحِيمًا بِالْمَسَاكِينِ يَكْفُلُ الأَيْتَامَ وَالأَرَامِلَ وَيُكْرِمُ الضَّيْفَ وَيَصِلُ الْمُنْقَطِعَ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَهُ بَلاءٌ شَدِيدٌ وَعَنَاءٌ عَظِيمٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا ابْتِلاءٌ مِنْ رَبِّهِ لَهُ لِيَعْظُمَ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**». وَهَكَذَا صَارَ النَّاسُ إِذَا ذَكَرُوا بَلاءَ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ وَصَبْرَهُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ مَعَ كَوْنِهِ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ عَوَّدُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ كَمَا فَعَلَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ إِذْ إِنَّهُ ابْتُلِيَ كَمَا قِيلَ بِأَنْ جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى أَمْوَالِهِ فَأَحْرَقَتْهَا وَفَتَكَتْ بِأَغْنَامِهِ وَإِبِلِهِ وَعَبِيدِهِ وَخَرَّبَتْ أَرَاضِيَهُ، فَلَمَّا رَأَى سَيِّدُنَا أَيُّوبُ مَا حَلَّ بِهِ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَلْ قَالَ «**لِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا أَخَذَ فَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ**». وَعَادَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى أَفَاعِيلِهَا وَفَسَادِهَا فَسُلِّطَتْ عَلَى أَوْلادِ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ الَّذِينَ كَانُوا فِي قَصْرِ أَبِيهِمْ يَنْعَمُونَ بِرِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَزَلْزَلَ الْقَصْرُ بِهِمْ حَتَّى تَصَدَّعَتْ جُدْرَانُهُ وَوَقَعَتْ حِيطَانُهُ وَقُتِلُوا جَمِيعًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَبَلَغَ سَيِّدَنَا أَيُّوبَ الْخَبَرُ فَبَكَى لَكِنَّهُ لَمْ يُقَابِلِ الْمُصِيبَةَ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

امْتَلأَ إِبْلِيسُ وَأَعْوَانُهُ غَيْظًا مِمَّا صَدَرَ مِنْ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ صَبْرٍ وَتَسْلِيمٍ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. وَأُصِيبَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ بِأَمْرَاضٍ شَدِيدَةٍ عَدِيدَةٍ لَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ الدُّودُ كَمَا يَذْكُرُ بَعْضُ النَّاسِ الْجُهَّالِ وَإِنَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ وَالْبَلاءُ حَتَّى جَفَاهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الْقِلَّةُ الْقَلِيلَةُ لَكِنَّ زَوْجَتَهُ بَقِيَتْ تَخْدِمُهُ وَتُحْسِنُ إِلَيْهِ ذَاكِرَةً فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ لَهَا أَيَّامَ الرَّخَاءِ.

ثُمَّ طَالَتْ مُدَّةُ هَذِهِ الْعِلَّةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الأَمْوَالِ أَلْبَتَّةَ. وَكَانَ يَزُورُهُ اثْنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَارْتَدَّ أَحَدُهُمَا وَكَفَرَ فَسَأَلَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ وَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَنَّ اللَّهَ لا يَبْتَلِي الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَأَنَّكَ لَسْتَ نَبِيًّا فَاعْتَقَدَ ذَلِكَ فَحَزِنَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ لِهَذَا الأَمْرِ وَتَأَلَّمَ لِارْتِدَادِ صَاحِبِهِ عَنِ الإِسْلامِ فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهُ وَيُذْهِبَ عَنْهُ الْبَلاءَ كَيْ لا يَرْتَدَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ طُولِ بَلائِهِ. رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ الْبَلاءَ بَعْدَ مُرُورِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا كَانَ فِيهَا سَيِّدُنَا أَيُّوبُ صَابِرًا شَاكِرًا ذَاكِرًا مَعَ شِدَّةِ بَلائِهِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ الأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَضَرَبَهَا فَنَبَعَتْ عَيْنَانِ شَرِبَ مِنْ وَاحِدَةٍ فَتَعَافَى بَاطِنُهُ وَاغْتَسَلَ بِالأُخْرَى فَتَعَافَى ظَاهِرُهُ وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الأَلَمِ وَالأَذَى وَالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ، [وَأَبْدَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ صِحَّةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَجَمَالًا تَامًّا وَلَمَّا اغْتَسَلَ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الْمُبَارَكِ أَعَادَ اللَّهُ لَحْمَ أَيُّوبَ وَشَعَرَهُ وَبَشَرَهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَأَنْزَلَ لَهُ ثَوْبَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ أَبْيَضَيْنِ، الْتَحَفَ بِأَحَدِهِمَا مِنْ وَسَطِهِ، وَوَضَعَ الآخَرَ عَلَى كَتِفَيْهِ] ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَبْطَأَ عَلَى زَوْجَتِهِ حَتَّى لَقِيَتْهُ مِنْ دُونِ أَنْ تَعْرِفَهُ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ «يَرْحَمُكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ الْمُبْتَلَى وَقَدْ كَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِكَ حِينَ كَانَ صَحِيحًا» قَالَ «**أَنَا هُوَ**»، وَرَدَّ اللَّهُ إِلَى زَوْجَةِ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ شَبَابَهَا وَنَضَارَتَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ ذَكَرًا عِوَضًا عَنِ الَّذِينَ مَاتُوا سَابِقًا، وَأَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ وَصَبَّتْ فِي بَيْدَرِ قَمْحِهِ ذَهَبًا حَتَّى امْتَلأَ ثُمَّ أَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ أُخْرَى إِلَى بَيْدَرِ شَعِيرِهِ وَحُبُوبِهِ فَسَكَبَتْ عَلَيْهِ فِضَّةً حَتَّى امْتَلأَ.

ثُمَّ حَدَثَتْ لَهُ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَحَابَةً عَلَى قَدْرِ قَوَاعِدِ دَارِهِ فَأَمْطَرَتْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ. وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ الشِّدَّةَ وَكَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ رَحْمَةً مِنْهُ وَرَأْفَةً وَإِحْسَانًا وَجَعَلَ قِصَّتَهُ ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ تُصَبِّرُ مَنِ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ فَلَهُ أُسْوَةٌ فِي نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ الَّذِي ابْتُلِيَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ. وَعَاشَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعِينَ عَامًا يَدْعُو إِلَى دِينِ الإِسْلامِ وَلَمَّا مَاتَ غَيَّرَ الْكُفَّارُ الدِّينَ وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

ءَايَاتُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الْمُفَصَّلاتُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ**﴾.

لَمْ يُمَيِّزْ فِرْعَوْنُ وَأَتْبَاعُهُ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالسِّحْرِ وَجَعَلُوا جُمْلَةَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِثْلَ انْقِلابِ الْعَصَا حَيَّةً مِنْ بَابِ السِّحْرِ فَقَالُوا «مَهْمَا تَأْتِنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ فَهِيَ عِنْدَنَا سِحْرٌ وَنَحْنُ لا نُؤْمِنُ بِهَا أَبَدًا».

وَكَانَ مُوسَى رَجُلًا قَوِيًّا ثَابِتًا فَلَمْ يَتْرُكْ أَمْرَ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ الإِسْلامِ بَلْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ.

سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى الْقِبْطِ وَهُمْ أَتْبَاعُ فِرْعَوْنَ الطُّوفَانَ وَالسُّيُولَ الدَّائِمَةَ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لا يَرَى شَمْسًا وَلا قَمَرًا وَكَانَتْ بُيُوتُ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَشَابِكَةً فَحَصَلَتِ الأُعْجُوبَةُ أَنَّ بُيُوتَ الْقِبْطِ امْتَلأَتْ بِالْمِيَاهِ الْمُتَدَفِّقَةِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى رِقَابِهِمْ فَمَنْ جَلَسَ غَرِقَ وَلَمْ تَدْخُلْ بُيُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَطْرَةٌ.

وَفَاضَ الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَرَكَدَ فَمَنَعَ الْقِبْطَ مِنَ الْحِرَاثَةِ وَالْبِنَاءِ وَالتَّصَرُّفِ وَدَامَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا فَقَالُوا لِمُوسَى «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا فَنُؤْمِنَ بِكَ» فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَرُفِعَ عَنْهُمُ الطُّوفَانُ وَأُرْسِلَتِ الرِّيَاحُ فَجَفَّتِ الأَرْضُ وَخَرَجَ مِنَ النَّبَاتِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ فَقَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ «لَقَدْ كَانَ الَّذِي خِفْنَا مِنْهُ خَيْرًا لَنَا لَكِنَّنَا لَمْ نَشْعُرْ فَلا وَاللَّهِ لا نُؤْمِنُ بِكَ» فَنَكَثُوا الْعَهْدَ.

بَعْدَ نَكْثِهِمْ لِلْعَهْدِ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ بِالآلافِ حَتَّى صَارَتْ عِنْدَ طَيَرَانِهَا تُغَطِّي الشَّمْسَ فَأَكَلَتْ عَامَّةَ زُرُوعِ الْقِبْطِ وَثِمَارِهِمْ حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَأْكُلُ الثِّيَابَ وَالأَثَاثَ وَالسُّقُوفَ وَالأَبْوَابَ فَتَهْدِمَ دِيَارَهُمْ وَلَمْ يَدْخُلْ دُورَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهَا شَيْءٌ فَضَاقَ عَلَى الْقِبْطِ الْحَالُ وَوَعَدُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَتُوبُوا لَوْ كُشِفَ عَنْهُمُ الْجَرَادُ فَخَرَجَ مُوسَى إِلَى الْفَضَاءِ وَأَشَارَ بِعَصَاهُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَرَجَعَتِ الْجَرَادُ إِلَى النَّوَاحِي الَّتِي جِئْنَ مِنْهَا وَكُشِفَ عَنْهُمُ الضِّيقُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ زُرُوعِ الْقِبْطِ شَيْءٌ فَقَالُوا مِنْ خُبْثِهِمْ «يَكْفِينَا مَا بَقِيَ مِنَ الزَّرْعِ» وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَأَقَامُوا شَهْرًا عَلَى رَخَائِهِمْ وَكَانَ فِي مَحَلَّةٍ فِي مِصْرَ اسْمُهَا عَيْنُ شَمْسٍ تَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ رَمْلٍ فَضَرَبَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِعَصَاهُ فَصَارَتْ قُمَّلًا أَيْ حَشَرَاتٍ صَغِيرَةً تُشْبِهُ السُّوسَ الَّذِي فِي الطَّحِينِ عِنْدَمَا يَفْسُدُ وَطَارَ هَذَا الْقُمَّلُ فَأَكَلَ دَوَابَّ الْقِبْطِ وَزُرُوعَهُمُ الَّتِي بَقِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ عُودٌ أَخْضَرُ إِلَّا أَكَلَتْهُ.

وَالْتَصَقَتْ بِجُلُودِهِمْ كَأَنَّهَا الْجُدَرِيُّ عَلَيْهِمْ وَمَنَعَهُمُ النَّوْمَ وَالْقَرَارَ وَانْتَشَرَ فِي مِصْرَ كُلِّهَا فَأَكَلَ مَا أَبْقَاهُ الْجَرَادُ وَلَحَسَ الأَرْضَ وَكَانَ يَدْخُلُ بَيْنَ جِلْدِ الْقِبْطِيِّ وَقَمِيصِهِ فَيُؤْلِمُهُ وَيَدْخُلُ إِلَى الطَّعَامِ فَيَمْلأُ الأَوْعِيَةَ وَالأَوَانِيَ لَيْلًا وَيَسْعَى فِي بَشَرَاتِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ وَأَهْدَابِ عُيُونِهِمْ فَضَجُّوا وَبَكَوْا وَقَصَدُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَوَعَدُوهُ أَنَّهُ إِذَا دَعَا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ وَيَتُوبُونَ فَدَعَا مُوسَى فَرُفِعَ عَنْهُمْ وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى الْقُمَّلِ رِيحًا حَارَّةً أَحْرَقَتْهُمْ وَحَمَلَتْهُمُ الرِّيَاحُ وَأَلْقَتْهُمْ فِي الْبَحْرِ.

لَكِنَّ الْوَقْتَ مَا طَالَ حَتَّى قَالَ الْقِبْطُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ «قَدْ تَحَقَّقْنَا يَا مُوسَى أَنَّكَ سَاحِرٌ وَعِزَّةِ فِرْعَوْنَ لا نُصَدِّقُكَ أَبَدًا» فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ فَمَلَأَتْ فُرُشَهُمْ وَأَوْعِيَتَهُمْ وَطَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ وَرَمَتْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي الْقُدُورِ وَهِيَ تَغْلِي، وَإِذَا تَكَلَّمَ الْقِبْطِيُّ وَثَبَتْ وَدَخَلَتْ إِلَى فَمِهِ فَشَكَوْا إِلَى مُوسَى وَقَالُوا «نَتُوبُ تَوْبَةً صَادِقَةً وَلا نَعُودُ» فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَوَاثِيقَ وَالْوُعُودَ وَالْعُهُودَ ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ وَأَمَاتَ الضَّفَادِعَ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ وَحَمَلَهَا إِلَى الْبَحْرِ.

ثُمَّ عَادَ الْقِبْطُ إِلَى كُفْرِهِمْ كَعَادَتِهِمْ وَنَقَضُوا الْعَهْدَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ وَجَعَلَ النِّيلَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ دَمًا وَكَانَ الشَّخْصُ الْمُسْلِمُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى يَرْفَعُ مِنَ النِّيلِ الْمَاءَ وَأَمَّا الْقِبْطِيُّ فَيَرْفَعُهُ دَمًا ثُمَّ يَأْتِي الْمُسْلِمُ فَيَصُبُّ الْمَاءَ فِي فَمِ الْقِبْطِيِّ فَيَصِيرُ دَمًا وَيَأْتِي الْقِبْطِيُّ وَيَصُبُّ الدَّمَ فِي فَمِ الْمُسْلِمِ فَيَصِيرُ مَاءً زُلالًا لَذِيذًا.

وَعَطِشَ فِرْعَوْنُ حَتَّى شَارَفَ عَلَى الْهَلاكِ فَكَانَ يَمُصُّ الأَشْجَارَ الرَّطْبَةَ فَإِذَا مَضَغَهَا صَارَ مَاؤُهَا الطَّيِّبُ مَالِحًا بَشِعَ الطَّعْمِ.

وَكَانَ بَيْنَ الآيَةِ وَالآيَةِ أُسْبُوعًا مِنَ الزَّمَنِ فَكَانَتْ تَمْكُثُ مِنَ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ ثُمَّ يَبْقَوْنَ بَعْدَ رَفْعِهَا شَهْرًا فِي عَافِيَةٍ ثُمَّ تَأْتِي الآيَةُ الأُخْرَى.

وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ فِي تَفْصِيلِ تِلْكَ الآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِالزَّمَانِ أَنَّهُ تُظْهِرُ لِلْجَمِيعِ أَحْوَالَهُمْ هَلْ يَفُونَ بِمَا عَاهَدُوا أَمْ يَنْكُثُونَ فَتَقُومُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ثُمَّ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ وَهُوَ طَاعُونٌ نَزَلَ بِهِمْ حَتَّى مَاتَ مِنْهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ قِبْطِيٍّ.

عَصَا سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [سُورَةَ طَهَ].

أَيَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأَنْبِيَاءَ الْكِرَامَ بِمُعْجِزَاتٍ بَاهِرَاتٍ عَظِيمَاتٍ كَرِيمَاتٍ وَمِنْهَا مَا أَيَّدَ بِهِ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَهِيَ عَصَاهُ الْعَجِيبَةُ.

وَرَدَ فِي أَخْبَارِ هَذِهِ الْعَصَا الَّتِي كَانَتْ ءَايَةً بَاهِرَةً أَنَّهَا تَحَوَّلَتْ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى حَيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ تَمْشِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَبْتَلِعُ الْحِبَالَ الَّتِي أَوْهَمَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ الْحَاضِرِينَ أَنَّهَا ثَعَابِينُ.

وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْعَصَا هَبَطَ بِهَا سَيِّدُنَا ءَادَمُ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَقِيَتْ فِي الأَرْضِ إِلَى أَنْ سَلَّمَهَا سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ إِلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَكَانَ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا أَىْ يَسْتَعِينُ بِهَا فِى الْمَشْيِ وَالْوُقُوفِ وَيَحْبِطُ بِهَا عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا فَيَسْهُلَ عَلَى غَنَمِهِ تَنَاوُلُهَا فَتَأْكُلَهَا وَإِذَا هَجَمَ سَبُعٌ أَوْ عَدُوٌّ فَإِنَّهَا كَانَتْ تُقَاتِلُهُ وَتُحَارِبُهُ وَتُبْعِدُهُ عَنْهُمْ وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَإِذَا ابْتَعَدَتْ بَعْضُ الْغَنَمَاتِ عَنِ الْقَطِيعِ أَعَادَتْهُمْ إِلَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَانَ طُولُهَا عَشَرَةَ أَذْرُعٍ.

وَمِنْ مَنَافِعِهَا الْعَجِيبَةِ أَنَّهَا كَانَتْ تُمَاشِى وَتُحَادِثُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِى طَرِيقِهِ وَتَحَوُّلِهِ وَكَانَ لَهَا رَأْسَانِ مُتَشَعِّبَانِ مِنْهَا يُعَلِّقُ عَلَيْهَا أَحْمَالَهُ مِنْ قَوْسٍ وَسِهَامٍ ثُمَّ عِنْدَمَا يَدْخُلُ اللَّيْلُ كَانَ رَأْسَا الْعَصَا يُضِيئَانِ كَالشَّمْعِ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْ بِئْرٍ تَطُولُ الْعَصَا بِطُولِ الْبِئْرِ مَهْمَا كَانَ عَمِيقًا وَيَتَحَوَّلُ رَأْسَاهَا إِلَى مَا يُشْبِهُ الدَّلْوَ فَيَمْلَؤُهُ وَيَشْرَبُ مِنْهُ وَأَمَّا إِذَا عَطِشَ فِى صَحْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا بِئْرٌ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَاءٌ غَرَزَهَا فِى الأَرْضِ فَتُنْبِعُ مَاءً بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا رَفَعَهَا عَنِ الأَرْضِ نَضَبَ الْمَاءُ. وَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ يُرَكِّزُهَا فَتَطُولُ شُعْبَتَاهَا ثُمَّ يُلْقِى عَلَيْهَا كِسَاءَهُ وَيَسْتَظِلُّ تَحْتَهُ. وَإِذَا اشْتَهَى ثَمَرَةً كَانَ يُرَكِّزُهَا فِى الأَرْضِ فَتُورِقُ وَتُثْمِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا طَابَ وَكَانَتْ تَدْفَعُ عَنْهُ حَشَرَاتِ الأَرْضِ وَهَوَامَّهَا وَهِىَ حَيَوَانَاتٌ تُؤْذِى كَالْعَقَارِبِ.

وَأَوَّلُ مَرَّةٍ تَحَوَّلَتْ هَذِهِ الْعَصَا إِلَى ثُعْبَانٍ كَانَ لَهَا عُرْفٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ وَكَانَ مُتَّسَعُ فَمِهَا أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا وَابْتَلَعَتْ كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ مِنَ الصُّخُورِ وَالأَشْجَارِ حَتَّى سَمِعَ سَيِّدُنَا مُوسَى لَهَا صَرِيرَ الْحَجَرِ فِى فَمِهَا وَجَوْفِهَا. وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِيهَا تَقْوِيَةً لِقَلْبِهِ وَأَنَّهَا مُعْجِزَةٌ لَهُ وَلَنْ تَضُرَّهُ فَأَدْخَلَ مُوسَى يَدَهُ فِى فَمِهَا بَيْنَ أَسْنَانِهَا فَعَادَتْ خَشَبَةً كَمَا كَانَتْ.

وَهَذَا لَيْسَ سِحْرًا لِأَنَّ السِّحْرَ يُفْعَلُ مِثْلُهُ وَقَدْ يَأْتِى شَخْصٌ بِسِحْرٍ فَيَأْتِيهِ مَنْ يُعَارِضُهُ بِسِحْرٍ أَقْوَى أَمَّا هَذَا الأَمْرُ فَهُوَ مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ.

وَمِنْ أَكْبَرِ مُعْجِزَاتِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِهَذِهِ الْعَصَا أَنَّهُ عِنْدَمَا خَرَجَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانُوا فِى أَرْضِ مِصْرَ الَّتِى كَانَ يَحْكُمُهَا فِرْعَوْنُ وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجَيْشِهِ الْكَبِيرِ.

وَلَمَّا وَصَلَ سَيِّدُنَا مُوسَى إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ فَضَرَبَهُ فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ اثْنَىْ عَشَرَ فِرْقًا فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ وَصَارَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ أَرْضًا يَابِسَةً.

فَاجْتَازَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ الْبَحْرَ وَكَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ فَلَمَّا شَعَرَ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَكَانَ مُنْشَغِلًا بَعِيدٍ لَهُ وَلِقَوْمِهِ فَسَارَ لِيُدْرِكَ مُوسَى وَمَعَهُ مَلْيون وَسِتُّمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ فَدَخَلَ الْبَحْرَ. وَمَا إِنْ خَرَجَ مُوسَى وَقَوْمُهُ نَاجِينَ بِعَوْنِ اللَّهِ حَتَّى عَادَ الْبَحْرُ وَأَطْبَقَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ فَغَرِقُوا وَسَطَ الأَمْوَاجِ الْعَالِيَةِ.

قِصَّةُ ءَالِ فِرْعَوْنَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [سُورَةَ غَافِر] ءَالُ فِرْعَوْنَ أَيْ أَتْبَاعُهُ لِأَنَّ ءَالَ فِرْعَوْنَ ظَلَمُوا بِالْكُفْرِ الَّذِي كَفَرُوهُ كَانُوا يَعْبُدُونَ فِرْعَوْنَ صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ ثُمَّ فِي ظُلْمِ الْعِبَادِ ظَلَمُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قَوْمُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَمَّا جَاءُوا إِلَى مِصْرَ سَكَنُوا هُنَاكَ لِأَنَّ يُوسُفَ هُوَ صَارَ الْمَلِكَ صَارَ حَاكِمَ الْبِلادِ، سَكَنُوا هُنَاكَ وَتَوَالَدُوا فَكَثُرَ عَدَدُهُمْ حَتَّى جَاءَ زَمَانُ فِرْعَوْنَ، هَذَا فِرْعَوْنُ اسْتَذَلَّهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ ذَكَرًا يَقْتُلُهُ وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى يَقُولُ هَذِهِ اتْرُكُوهَا لِلْخِدْمَةِ، هَؤُلاءِ ءَالُ فِرْعَوْنَ اللهُ تَعَالَى قَالَ عَنْهُمْ ﴿**أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ يَأْمُرُ اللهُ مَلائِكَةَ الْعَذَابِ بِأَنْ يُدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَيْ أَتْبَاعَهُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى هَذَا الْفَسَادِ مَعَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

قِصَّةُ سَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا هَارُونَ مَعَ الطَّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ
ثُمَّ انْتِصَارُ سَيِّدِنَا يُوشَعَ عَلَيْهِ السَّلامُ

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ نَشَأَ فِي مِصْرَ ثُمَّ كَانَ هُنَاكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَوْمُهُ كَانُوا مُسْلِمِينَ لَكِنَّ حُكْمَ الطَّاغُوتِ حُكْمَ الطَّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ كَانَ مُسَيْطِرًا عَلَيْهِمْ وَكَانَ يَسْتَذِلُّهُمْ وَيُؤْذِيهِمْ، وَمُوسَى كَانَ مِنْ جُمْلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ مِصْرَ هَؤُلاءِ كَانُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، إِخْوَةُ يُوسُفَ جَاءَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ كَثِيرَةٌ وَبَيْنَ يُوسُفَ وَمُوسَى أَرْبَعُمِائَةِ عَامٍ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَيَدْعُوَهُ إِلَى الإِسْلامِ إِلَى الإِيمَانِ بِاللهِ وَبِمُوسَى وَهَارُونَ أَخِيهِ، اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ الْوَحْيَ جَعَلَهُمَا نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ وَهُمَا أَخَوَانِ ذَهَبَا فَكَلَّمَاهُ فَطَغَى وَتَجَبَّرَ لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى نَصَرَ مُوسَى وَمَنْ ءَامَنَ بِهِ فَخَرَجُوا بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ مُوسَى الْمُعْجِزَاتِ أَظْهَرَ فِيهِمُ الْمُعْجِزَاتِ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فَجَاوَزَ مُوسَى بِهِمُ الْبَحْرَ الْبَحْرُ انْفَلَقَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ فِرْقًا كُلُّ فِرْقٍ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ جَعَلَ اللهُ لَهُمُ الأَرْضَ الَّتِي بَيْنَ هَذِهِ الأَمْوَاجِ الَّتِي قَامَتْ بِقُدْرَةِ اللهِ كَالْجِبَالِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الأُخْرَى جَعَلَ اللهُ لَهُمْ يَبَسًا فَجَاوَزَ بِهِمْ مُوسَى فَنَجَوْا مِنْ فِرْعَوْنَ وَهُمْ كَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ، وَفِرْعَوْنُ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَهُمْ بِجَيْشِهِ الْجَرَّارِ كَانَ جَيْشُهُ مَلْيُونًا وَسِتَّمِائَةِ أَلْفٍ لِيَبِيدُوهُمْ عَلَى زَعْمِهِمْ فَجَاءَ فِرْعَوْنُ لِيُدْرِكَهُمْ فَوَجَدَ الْبَحْرَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا مُعْجِزَةً لِمُوسَى ثُمَّ هَلَكَ أَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ بِأَنْ يَلْتَطِمَ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا فِرْعَوْنُ وَجَمَاعَتُهُ ثُمَّ

بَعْدَ ذَلِكَ تَوَجَّهَ بِهَؤُلاءِ الَّذِينَ مَعَهُ نَحْوَ بَرِّ الشَّامِ دَخَلَ بِهِمْ أَرَاضِيَ الأُرْدُنَّ ثُمَّ أَمَرَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ مَعَهُ بِأَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيُقَاتِلُوا الْجَبَّارِينَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ كَانُوا مُسَيْطِرِينَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَمْ يُطِيعُوهُ مَعَ أَنَّهُمْ رَأَوْا هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْكَبِيرَةَ عَصَوْهُ مَا أَطَاعُوهُ بِالْمَرَّةِ ثُمَّ تَوَفَّاهُ اللَّهُ وَتُوُفِّيَ هَارُونُ قَبْلَهُ ثُمَّ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ أَيْ حَادِثَةِ وَفَاةِ أَخِيهِ هَارُونَ أَخُوهُ هَارُونُ كَانَ صَعِدَ هُوَ وَإِيَّاهُ إِلَى جَبَلٍ فَقَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ (أَيْ هَارُونَ) فَلَمَّا نَزَلَ مُوسَى قَالُوا لَهُ أَنْتَ قَتَلْتَ أَخَاكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَرْأَفَ بِنَا مِنْكَ هُوَ كَانَ أَرْحَمَ بِنَا مِنْكَ فَقَتَلْتَهُ إِفْتَرَوْا عَلَيْهِ مَا كُلُّهُم افْتَرَوْا عَلَيْهِ لَكِنْ بَعْضُهُمْ فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَارُونَ وَهُوَ مَيِّتٌ حَمَلَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَمَرُّوا بِهِ أَمَامَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى مُوسَى بِأَنَّهُ هُوَ قَتَلَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ سَكَتُوا ثُمَّ رَدَّتْهُ الْمَلائِكَةُ إِلَى حَيْثُ أُمِرُوا، أَبَوْا هَؤُلاءِ أَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ فَتَوَفَّى اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ بِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُوسَى أَمَرَ قَوْمَهُ بِالْجِهَادِ فَلَوْ أَطَاعُوهُ كَانُوا قَاتَلُوا أُولَئِكَ الْجَبَابِرَةَ لَكِنَّ النَّبِيَّ الَّذِي جَاءَ بَعْدَهُ وَهُوَ يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلامُ هَذَا كَانَ خَادِمَهُ فَتَاهُ الَّذِي سَافَرَ مَعَهُ لِلِقَاءِ الْخَضِرِ هَذَا بَعْدَمَا تُوُفِّيَ مُوسَى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ فَجَعَلَهُ نَبِيًّا هَذَا تَوَجَّهَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَاتَلَ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ فَفَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مِنْ أُولَئِكَ الْجَبَابِرَةِ الْكُفَّارِ.

ذِكْرُ مُعْجِزَةٍ لِسَيِّدِنَا مُوسَى
وَمُعْجِزَةٍ لِسَيِّدِنَا يُوشَعَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ

يُوشَعُ بنُ نُونٍ عَلَيْهِ السَّلامُ نَبِيٌّ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ خَلِيفَةُ مُوسَى، أَوَّلُ نَبِيٍّ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى هُوَ يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلامُ هَذَا يُوشَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَهُ بِأَنْ يُقَاتِلَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَوْلِينَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْكُفَّارَ الْمُتَجَبِّرِينَ قَاتَلَهُمْ فَأَبَادَهُمْ كَسَرَهُمْ حَرَّرَ الْقُدْسَ مِنْهُمْ، مُوسَى أَيْضًا كَانَ أَمَرَ قَوْمَهُ لَمَّا أَتَى بِهِمْ مِنْ مِصْرَ أَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ بِتِلْكَ الأُعْجُوبَةِ الْعَظِيمَةِ، لَمَّا دَخَلُوا بَرَّ الشَّامِ أَمَرَهُمْ قَالَ لَهُمْ قَاتِلُوا هَؤُلاءِ الْجَبَّارِينَ الَّذِينَ بِالْقُدْسِ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى الْقُدْسِ ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ قَوْمُهُ كَانُوا أَتْعَبُوهُ مَعَ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِنَ الْعَجَائِبِ الْكُبْرَى فَلَقَ لَهُمُ الْبَحْرَ اثْنَيْ عَشَرَ فِرْقًا فَرَقَ لَهُمْ بَحْرَ الْقُلْزُمِ وَهُوَ بَحْرٌ صَعْبٌ تَجَاوَزَ بِهِمْ هَذَا الْبَحْرَ، اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَهُ الْبَحْرَ كَالأَرْضِ الْيَابِسَةِ هُنَا مَاءٌ وَهُنَا مَاءٌ وَهُنَا مَاءٌ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَكَانًا وَمَا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ دَخَلُوا كَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ تَجَاوَزُوا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى الشَّاطِئِ هَذِهِ عَجِيبَةٌ كُبْرَى وَمَعَ هَذَا خَالَفُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَرِّ الشَّامِ خَالَفُوهُ قَالَ لَهُمْ قَاتِلُوا هَؤُلاءِ

الْجَبَّارِينَ الَّذِينَ فِي الْقُدْسِ قَالُوا إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا قَالُوا لَهُ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ثُمَّ مَاتَ مُوسَى، قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ تُوُفِّيَ، الآنَ قَبْرُهُ قَبْلَ جَبَلِ الْقُدْسِ فِي أَرْضٍ اسْمُهَا أَرِيحَة بَيْنَ أَرِيحَةَ وَجَبَلِ الْقُدْسِ جَبَلُ الْقُدْسِ جَبَلٌ كَبِيرٌ مِثْلُ جَبَلِ لُبْنَانَ، هُنَاكَ مَدْفُونٌ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُوشَعُ، اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ جَعَلَهُ نَبِيًّا فَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِقِتَالِ هَؤُلاءِ الْجَبَابِرَةِ فَقَاتَلُوهُمْ فَكَسَرُوهُمْ أَعَانَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنْ جُمْلَةِ مُعْجِزَاتِهِ أَنَّ اللَّهَ رَدَّ لَهُ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُنْجِزَ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ هَذَا الْيَوْم فَكَانَتِ الشَّمْسُ غَرُبَتْ ثُمَّ أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى كَمَا كَانَتْ فَكَسَرُوا الْكُفَّارَ أَهْوَا قِتَالَ الْكُفَّارِ فَفَتَحُوا الْبَلَدَ فَدَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قِتَالُ الْكُفَّارِ كَانَ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَعْضُ الأَنْبِيَاءِ أُمِرُوا بِذَلِكَ.

الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَطْوَلُ النَّاسِ عُمْرًا

مَوْلِدُ الْخَضِرِ وَنَسَبُهُ

رُوِيَ أَنَّهُ الْخَضِرُ بنُ ءَادَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ مِنْ صُلْبِهِ وَقِيلَ بَلْ هُوَ بَلْيَاءُ بنُ مَلْكَانَ بنِ فَالَغَ بنِ عَابَرَ بنِ شَالَخَ بنِ قَيْنَانَ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سَامِ بنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَعَلَى هَذَا مَوْلِدُهُ قَبْلَ مَوْلِدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلامُ لِأَنَّ الْخَضِرَ يَكُونُ ابْنَ عَمِّ جَدِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى بُقْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ بَيْضَاءَ لا نَبَاتَ فِيهَا فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ وَتَنْقَلِبُ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ نَضِرَةً وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي الْعَبَّاسِ.

السَّبَبُ فِي طُولِ عُمُرِهِ

رُوِيَ أَنَّ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ فَقَالَ «**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ سَيُنْزِلُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ عَذَابًا**» وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ طُوفَانًا سَيَقَعُ بِالنَّاسِ وَأَوْصَاهُمْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَنْ يَحْمِلُوا جَسَدَهُ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ وَأَنْ يَدْفِنُوهُ فِي غَارٍ عَيَّنَهُ لَهُمْ قُرْبَ بِلادِ الشَّامِ فَكَانَ جَسَدُهُ مَعَهُمْ وَتَنَاقَلَ الأَبْنَاءُ عَنِ الآبَاءِ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ الطُّوفَانُ حَمَلَ جَسَدَ ءَادَمَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ وَغَرِقَتِ الأَرْضُ زَمَانًا فَجَاءَ نُوحٌ حَتَّى نَزَلَ بِأَرْضِ بَابِلَ وَأَوْصَى بَنِيهِ الثَّلاثَةَ وَهُمْ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ أَنْ يَذْهَبُوا بِجَسَدِ ءَادَمَ إِلَى الْغَارِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ أَنْ يَدْفِنُوهُ بِهِ فَقَالُوا «الأَرْضُ وَحْشِيَّةٌ لا أَنِيسَ بِهَا وَلا نَهْتَدِي لِطَرِيقٍ وَلَكِنْ لِنَنْتَظِرْ حَتَّى يَعْظُمَ النَّاسُ وَيَكْثُرُوا» فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ «**إِنَّ ءَادَمَ قَدْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَ الَّذِي يَدْفِنُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» فَلَمْ يَزَلْ جَسَدُ ءَادَمَ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ حَتَّى كَانَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى دَفْنَهُ فَأَنْجَزَ اللَّهُ مَا وَعَدَهُ فَهُوَ يَحْيَا مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَحْيَا.

وَهُنَاكَ قَوْلٌ ءَاخَرُ فِي سَبَبِ طُولِ عُمُرِهِ وَهُوَ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ الأَكْبَرَ وَكَانَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ قَدْ مَلَكَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ يُقَالُ لَهُ رَفَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَزُورُهُ بَيْنِ الْحِينِ وَالآخَرِ فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَادَثَانِ إِذْ قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ «**يَا رَفَائِيلُ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُعَمِّرَ حَتَّى أَبْلُغَ فِي طَاعَةِ رَبِّي حَقَّ طَاعَتِهِ**» قَالَ «**وَتُحِبُّ ذَلِكَ**» أَجَابَهُ «**نَعَمْ**» فَقَالَ رَفَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ «**فَإِنَّ لِلَّهِ عَيْنًا مِنَ الْمَاءِ تُسَمَّى عَيْنَ الْحَيَاةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا شَرْبَةً طَالَ عُمُرُهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ وَلا يَمُوتُ حَتَّى يُمِيتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**» فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ «**فَهَلْ تَعْلَمُ مَوْضِعَهَا**» قَالَ «**لا غَيْرَ أَنَّنَا نَتَحَدَّثُ فِي السَّمَاءِ أَنَّ لِلَّهِ ظُلْمَةً فِي الأَرْضِ لَمْ يَطَأْهَا إِنْسٌ وَلا جَانٌّ فَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ الْعَيْنَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ**».

نُبُوَّةُ الْخَضِرِ وَمُقَابَلَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ

إِنَّ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلامُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ مُعَمِّرٌ أَيْ عُمُرُهُ طَوِيلٌ كَانَ يَعِيشُ بَيْنَ الْبَشَرِ ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْمَاءَ كَأَنَّهُ أَرْضٌ فَهُوَ يَعِيشُ إِلَى الآنَ فِي الْبَحْرِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَحْدَهُ مُنْفَرِدًا وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنِ الأَبْصَارِ وَقَدْ يَأْتِي إِلَى مَكَانٍ وَلا يَرَاهُ إِلَّا شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِ الْحَاضِرِينَ كَمَا سَيَظْهَرُ مَعَنَا بَعْدَ قَلِيلٍ فِي قِصَّتِهِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَمَا كَانَا عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ فَاللَّهُ حَجَبَ أَعْيُنَ النَّاسِ عَنْهُ وَلا يَرَاهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ كَأَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

وَلْنَسْتَمِعْ مَعًا إِلَى سَبَبِ الْتِقَائِهِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ. لَمَّا نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُمْ قَامَ سَيِّدُنَا مُوسَى خَطِيبًا فِي الْمُسْلِمِينَ يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَتْرُكْ نِعْمَةً أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَا إِلَّا وَعَرَّفَهُمْ إِيَّاهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الأَرْضِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ» فَقَالَ مُوسَى «**لا**» فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ قَائِلًا «**وَمَا يُدْرِيكَ أَيْنَ أَضَعُ عِلْمِي بَلَى إِنَّ لِي عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ رَجُلًا وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ هُوَ عَبْدُنَا الْخَضِرُ**» أَيْ يُوجَدُ مَنْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ تَتَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ. وَكَانَ عِلْمُ الْخَضِرِ عِلْمَ مَعْرِفَةِ بَوَاطِنِ أُمُورٍ قَدْ أُوحِيَتْ إِلَيْهِ وَكَانَ عِلْمُ مُوسَى عِلْمَ الأَحْكَامِ وَالْفُتْيَا بِظَاهِرِ أَقْوَالِ النَّاسِ وَأَفْعَالِهِمْ فَيَكُونُ الْخَضِرُ أَعْلَمَ مِنْ مُوسَى بِأَحْكَامِ وَقَائِعَ مُفَصَّلَةٍ مُعَيَّنَةٍ لا مُطْلَقًا فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى هَذَا اشْتَاقَتْ نَفْسُهُ الْفَاضِلَةُ وَهِمَّتُهُ الْعَالِيَةُ لِتَحْصِيلِ عِلْمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَلِلِقَاءِ مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ إِنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَالِمَ يَرْحَلُ فِي طَلَبِ الازْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ وَاغْتِنَامِ لِقَاءِ الْفُضَلاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَإِنْ بَعُدَتْ أَقْطَارُهُمْ وَذَلِكَ دَأْبُ الصَّالِحِ فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ «**أَنِ ائْتِ الْبَحْرَ فَإِنَّكَ تَجِدُ عَلَى شَاطِئِهِ حُوتًا** أَيْ سَمَكَةً **فَخُذْهُ فَادْفَعْهُ إِلَى فَتَاكَ ثُمَّ الْزَمْ شَاطِئَ الْبَحْرِ فَإِذَا نَسِيتَ الْحُوتَ وَهَلَكَ مِنْكَ فَثَمَّ تَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ الَّذِي تَطْلُبُ**

عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ» فَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى حَالَ الْخَضِرِ وَلَمْ يُعْلِمْهُ مَوْضِعَهُ بِعَيْنِهِ مِمَّا زَادَ تَشَوُّقَ مُوسَى إِلَيْهِ فَقَالَ «**لا أَزَالُ أَمْضِي إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أُمْضِي زَمَنًا طَوِيلًا حَتَّى أَجِدَ هَذَا الْعَالِمَ**» وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الْعَالِيَةِ بِأَنَّهُ هَيَّأَ نَفْسَهُ لِتَحَمُّلِ التَّعَبِ الشَّدِيدِ وَالْعَنَاءِ الْعَظِيمِ فِي السَّفَرِ لِأَجْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ وَذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ لَوْ سَافَرَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ لِطَلَبِ مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ لَحُقَّ لَهُ ذَلِكَ.

فَانْطَلَقَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ عَلَيْهِمَا السَّلامُ الَّذِي كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ وَيُرَافِقُهُ وَيَخْدِمُهُ وَأَخَذَا سَمَكَةً مُمَلَّحَةً مُهَيَّأَةً لِلأَكْلِ وَخُبْزًا زَادًا لَهُمَا وَمَضَيَا ثُمَّ وَصَلا إِلَى مُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ وَيُقَالُ إِنَّهُمَا بَحْرُ فَارِسَ وَالرُّومِ وَجَلَسَا عِنْدَ ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ قُرْبَ ضِفَّةِ الْبَحْرِ وَوَضَعَا رَأْسَيْهِمَا فَنَامَا وَكَانَ فِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنُ مَاءٍ يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْحَيَاةِ تَنْزِلُ مِثْلَ شَلَّالٍ صَغِيرٍ لا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَصَابَ السَّمَكَةَ الْمُمَلَّحَةَ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ فَتَحَرَّكَتْ وَانْسَلَّتْ مِنَ الْوِعَاءِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ وَدَخَلَتِ الْبَحْرَ وَالْغَرِيبُ أَنَّ هَذِهِ السَّمَكَةَ كَانَ قَدْ أُكِلَ نِصْفُهَا وَبَقِيَ النِّصْفُ الآخَرُ فَكَانَ هَذَا الأَمْرُ مُعْجِزَةً لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَيُذْكَرُ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ رَأَوْا بَعْدَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ نَوْعًا جَدِيدًا مِنَ السَّمَكِ كَانَ مِنْ نَسْلِ تِلْكَ السَّمَكَةِ فَأَحَدُ جَانِبَيْهَا شَوْكٌ وَعَظْمٌ وَجِلْدٌ رَقِيقٌ عَلَى أَحْشَائِهَا وَالْجَانِبُ الآخَرُ صَحِيحٌ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمَّا حَيِيَتْ بَعْدَ أَنْ أُكِلَ مِنْهَا اسْتَمَرَّتْ فِيهَا تِلْكَ الصِّفَةُ ثُمَّ فِي نَسْلِهَا. وَاسْتَيْقَظَ الْفَتَى يُوشَعُ فَرَأَى السَّمَكَةَ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْوِعَاءِ فَقَالَ «**لَنْ أُوقِظَ رَسُولَ اللَّهِ مُوسَى الآنَ وَلَكِنْ سَأُخْبِرُهُ عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ**» وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ مُوسَى نَسِيَ فَتَاهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنْ خُرُوجِ السَّمَكَةِ وَنَسِيَ مُوسَى سُؤَالَ الْفَتَى إِنْ رَأَى شَيْئًا غَرِيبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَلَمْ يَشْعُرَا بِجُوعٍ وَلا تَعَبٍ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ وَقَدْ مَشَيَا مَسَافَةً طَوِيلَةً قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ «**ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ تَعِبْنَا مِنْ هَذَا السَّفَرِ**». وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى التَّعَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ثُمَّ أَخْبَرَ يُوشَعُ سَيِّدَنَا مُوسَى بِالْقِصَّةِ فَقَالَ وَقَدْ شَعَرَ بِاقْتِرَابِ لِقَائِهِ بِالْخَضِرِ «**ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِهِ وَنَطْلُبُهُ**» ثُمَّ عَادَا فِي نَفْسِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَتَيَا مِنْهُ ثُمَّ رَأَيَا أَثَرَ جَرْيِ السَّمَكَةِ فِي الْبَحْرِ إِذْ ظَهَرَ مِثْلُ أُخْدُودٍ صَخْرِيٍّ فَسَلَكَاهُ حَتَّى رَجَعَا إِلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي كَانَا عِنْدَهَا وَهُنَاكَ وَجَدَ مُوسَى سَيِّدَنَا الْخَضِرَ عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ وَهُوَ مُسَجًّى بِثَوْبٍ أَخْضَرَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فَقَالَ مُوسَى «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ**» فَكَشَفَ الْخَضِرُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ «**وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ وَهَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلامٍ**» لِأَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الأَرْضِ لَمْ يَكُونُوا فِي ذَاكَ الْوَقْتِ مُسْلِمِينَ. ثُمَّ سَأَلَ الْخَضِرُ مُوسَى «**مَنْ أَنْتَ**» قَالَ «**أَنَا مُوسَى**» فَقَالَ «**مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قَالَ «**نَعَمْ وَمَا أَدْرَاكَ أَنِّي مُوسَى**» قَالَ «**أَدْرَانِي بِكَ**

الَّذِى أَدْرَاكَ بِى أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ مَا يُشْغِلُكَ عَنِ السَّفَرِ إِلَى هُنَا» قَالَ «**بَلَى وَلَكِنِّى أُمِرْتُ أَنْ ءَاتِيَكَ لِتُعَلِّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا»** فَقَالَ الْخَضِرُ «**أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْىَ يَأْتِيكَ، يَا مُوسَى إِنِّى عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ أَنَا»**. فَتَلَطَّفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِى الْقَوْلِ وَتَحَمَّلَ بِأَحْسَنِ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ أَدَبِ الْحَدِيثِ وَفَضْلِ التَّوَاضُعِ وَقَالَ «**هَلْ تَأْذَنُ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَنْ تَفِيضَ عَلَىَّ بِعِلْمِكَ عَلَى أَنْ أَتْبَعَكَ وَأَلْتَزِمَ أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ»** وَكَانَ الْخَضِرُ قَدْ أُلْهِمَ أَنَّ مُوسَى لا يَصْبِرُ عَلَى السُّكُوتِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَقَالَ لِمُوسَى «**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا، وَلَوْ أَنَّكَ صَحِبْتَنِى سَتَرَى ظَوَاهِرَ عَجِيبَةً وَأُمُورًا غَرِيبَةً»** فَقَالَ مُوسَى وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ تَوَّاقًا إِلَى الْمَعْرِفَةِ «**سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا»**.

فَقَالَ الْخَضِرُ «**إِنْ صَحِبْتَنِى ءَاخُذُ عَلَيْكَ عَهْدًا وَشَرْطًا أَنْ لا تَسْأَلَنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى يَنْقَضِىَ الشَّرْطُ وَتَنْتَهِىَ الرِّحْلَةُ وَإِنِّى بَعْدَهَا سَأُبَيِّنُ لَكَ مَا قَدْ تَتَسَاءَلُ عَنْهُ وَأَشْفِى مَا بِصَدْرِكَ»**.

مُوسَى وَالْخَضِرُ فِى السَّفِينَةِ

أَعَادَ مُوسَى فَتَاهُ إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ وَانْطَلَقَ مَعَ الْخَضِرِ يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى لَمَحَا سَفِينَةً فَطَلَبَا مِنْ أَهْلِهَا حَمْلَهُمَا إِلَى حَيْثُ يَذْهَبُونَ وَقَالَ لَهُمُ الْخَضِرُ «**سَأُعْطِى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا ضِعْفَ مَا تَأْخُذُونَ مِنْ غَيْرِنَا»** فَقَالَ أَحَدُ الْبَحَّارَةِ «إِنَّا نَرَى رِجَالًا فِى مَكَانٍ مَخُوفٍ فَنَخْشَ أَنْ يَكُونُوا لُصُوصًا» فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ «بَلْ سَنَحْمِلُهُمَا فَإِنَّنَا نَرَى عَلَى وُجُوهِهِمَا النُّورَ» فَحَمَلاهُمَا بِدُونِ أُجْرَةٍ.

وَبَيْنَمَا هُمَا فِى السَّفِينَةِ فُوجِئَ مُوسَى بِأَنَّ الْخَضِرَ أَخَذَ لَوْحَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّفِينَةِ فَخَلَعَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ يَرَى الْخَضِرَ عِنْدَئِذٍ إِلَّا مُوسَى وَلَوْ رَءَاهُ الْبَحَّارَةُ لَمَنَعُوهُ إِذْ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْخَضِرِ أَنَّهُ لا يَرَاهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَأْتِى إِلَى النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا يَرَاهُ إِلَّا هُوَ فَأَنْكَرَ مُوسَى وَهُوَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ الَّذِى أُرْسِلَ لِهِدَايَةِ النَّاسِ وَرَدِّ الظُّلْمِ عَنْهُمْ أَنْ يُقَابَلَ صَنِيعُ الْبَحَّارَةِ بِالإِسَاءَةِ وَجَمِيلُهُمْ بِالنُّكْرَانِ وَخَشِىَ أَنْ يُصِيبَهُمْ غَرَقٌ أَوْ هَلاكٌ فَنَظَرَ إِلَى الْخَضِرِ مُعَاتِبًا وَقَالَ «**أَرَدْتَ إِهْلاكَهُمْ وَقَدْ أَصْعَدُونَا بِدُونِ مُقَابِلٍ وَأَحْسَنُوا لِقَاءَنَا فَتَخْرِقُ سَفِينَتَهُمْ وَتُحَاوِلُ إِغْرَاقَهُمْ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عَظِيمًا»** فَالْتَفَتَ الْخَضِرُ إِلَيْهِ وَمَا زَادَ أَنْ ذَكَّرَهُ بِالشَّرْطِ وَالْعَهْدِ قَائِلًا «**أَلَمْ أَقُلْ لَكَ»** فَتَذَكَّرَ مُوسَى وَقَالَ «**لا تُؤَاخِذْنِى»** وَتَنَحَّى جَانِبًا.

وَبَيْنَمَا هُمَا عَلَى السَّفِينَةِ إِذْ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى «**يَا مُوسَى مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا نَقَرَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ**» مَعْنَاهُ لا نَعْلَمُ مِنْ مَعْلُومَاتِ اللَّهِ إِلَّا الْقَدْرَ الْقَلِيلَ الَّذِي أَعْطَانَا وَالْقَدْرُ الَّذِي أَعْطَانَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَمْ يُعْطِنَا كَمَا أَصَابَ مِنْقَارُ الْعُصْفُورِ مِنَ الْمَاءِ حِينَ غَمَسَهُ فِي الْبَحْرِ. وَلَمَّا مَرَّتِ السَّفِينَةُ بَعْدَ حِينٍ بِدُونِ أَنْ يَغْرَقَ أَحَدٌ مَرَّرَ الْخَضِرُ يَدَهُ عَلَى مَكَانِ اللَّوْحَيْنِ الْمَكْسُورَيْنِ فَعَادَا كَمَا كَانَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السَّفِينَةِ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مُرَادِهِ فَنَزَلَ هُوَ وَمُوسَى.

الْخَضِرُ وَالْغُلامُ

وَلَمَّا غَادَرَا السَّفِينَةَ تَابَعَا الْمَسِيرَ فَوَجَدَا غِلْمَانًا وَفِتْيَانًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ الْخَضِرُ وَاحِدًا مِنْهُمْ كَانَ ضَالًّا كَافِرًا لِصًّا قَاطِعًا لِلطَّرِيقِ وَكَانَ يُفْسِدُ وَيُقْسِمُ لِأَبَوَيْهِ أَنَّهُ مَا فَعَلَ فَيُقْسِمَانِ عَلَى قَسَمِهِ وَيَحْمِيَانِهِ مِنَ الْعَسَاكِرِ وَالنَّاسِ وَلَمَّا أَخَذَهُ الْخَضِرُ إِلَى بَعِيدٍ أَضْجَعَهُ وَقَتَلَهُ فَدُهِشَ مُوسَى وَكَبُرَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الأَمْرُ فَقَالَ لِلْخَضِرِ «**أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**» فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْخَضِرُ وَقَالَ لَهُ «**أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**». وَقِيلَ إِنَّهُ اقْتَلَعَ كَتِفَ الْفَتَى الأَيْسَرَ وَقَشَرَ اللَّحْمَ عَنْهُ وَإِذَا فِي عَظْمِ كَتِفِهِ مَكْتُوبٌ «كَافِرٌ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَبَدًا» فَاسْتَحْيَا مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ وَأَدْرَكَ أَنَّهُ قَدْ أَثْقَلَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ فَقَالَ «**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي**».

الْخَضِرُ وَالْيَتِيمَانِ

أَكْمَلَ مُوسَى وَالْخَضِرُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ طَرِيقَهُمَا وَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً وَكَانَ أَهْلُهَا بُخَلاءَ لِئَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ وَطَلَبَا طَعَامًا فَلَمْ يُقَدِّمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ لَهُمَا شَيْئًا وَرَدُّوهُمَا رَدًّا غَيْرَ جَمِيلٍ فَخَرَجَا جَائِعَيْنِ. وَقَبْلَ أَنْ يُجَاوِزَا الْقَرْيَةَ وَجَدَا جِدَارًا يَتَدَاعَى لِلسُّقُوطِ وَيَكَادُ يَنْهَارُ فَرَفَعَهُ الْخَضِرُ بِمُعْجِزَةٍ لَهُ بِيَدِهِ وَمَسَحَهُ فَاسْتَقَامَ وَاقِفًا وَكَانَ سَمْكُ هَذَا الْجِدَارِ ثَلاثِينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَطُولُهُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ خَمْسَمِائَةِ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا فَاسْتَغْرَبَ مُوسَى وَقَالَ «**عَجَبًا أَتُجَازِي هَؤُلاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَسَاءُوا اللِّقَاءَ بِهَذَا الإِحْسَانِ لَوْ شِئْتَ لَأَخَذْتَ عَلَى فِعْلِكَ هَذَا أَجْرًا مِنْهُمْ نَسُدُّ بِهِ حَاجَاتِنَا**» فَقَالَ الْخَضِرُ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَنْ يَسْتَطِيعَ بَعْدَ الآنَ صَبْرًا «**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**» فَأَخَذَ مُوسَى بِثِيَابِهِ وَقَالَ «**لا أُفَارِقُكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَ أَبَاحَ لَكَ فِعْلَ مَا فَعَلْتَ**» فَلَمَّا الْتَمَسَ مُوسَى ذَلِكَ مِنْهُ أَخَذَ فِي الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ وَقَالَ «**سَأُبَيِّنُ لَكَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَيُصِيبُونَ مِنْهَا رِزْقًا يُعِينُهُمْ عَلَى الْكَسْبِ وَعَدَدُهُمْ عَشَرَةُ إِخْوَةٍ وَرِثُوهَا عَنْ أَبِيهِمْ بِكُلِّ وَاحِدٍ**

عِلَّةٌ لَيْسَتْ فِي الآخَرِ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْعَمَلَ وَخَمْسَةٌ يَعْمَلُونَ فَأَمَّا الْعُمَّالُ مِنْهُمْ فَأَحَدُهُمْ كَانَ مَجْذُومًا وَالْجُذَامُ مَرَضٌ جِلْدِيٌّ خَطِيرٌ **وَالثَّانِي أَعْوَرَ وَالثَّالِثُ أَعْرَجَ وَالرَّابِعُ ءَادَرَ** أَيْ مُصَابًا بِفَتْقٍ شَدِيدٍ **وَالْخَامِسُ مَحْمُومًا لا تَنْقَطِعُ عَنْهُ الْحُمَّى الدَّهْرَ كُلَّهُ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ، وَالْخَمْسَةُ الَّذِينَ لا يُطِيقُونَ الْعَمَلَ أَعْمَى وَأَصَمُّ لا يَسْمَعُ وَأَخْرَسُ وَمُقْعَدٌ وَمَجْنُونٌ. وَكَانَ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ فَاجِرٌ اسْمُهُ هُدَدُ بنُ بُدَدَ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ تَمُرُّ فِي بَحْرِهِ غَصْبًا وَيَتْرُكُ الَّتِي فِيهَا خَلَلٌ وَأَعْطَالٌ** ثُمَّ أَكْمَلَ الْخَضِرُ كَلامَهُ قَائِلًا **وَلَمْ يَكُنِ الإِخْوَةُ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يُرِيدُ الْمَلِكُ فِعْلَهُ فَأَظْهَرْتُ فِي السَّفِينَةِ عَيْبًا حَتَّى إِذَا جَاءَ خُدَّامُ الْمَلِكِ تَرَكُوهَا لِلْعَيْبِ الَّذِي فِيهَا وَهَذَا الَّذِي صَارَ إِذْ لَمْ يَأْخُذْهَا الْمَلِكُ ثُمَّ أَصْلَحْتُهَا لَهُمْ كَمَا رَأَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ فَانْتَفَعُوا بِهَا وَبَقِيَتْ لَهُمْ. وَأَمَّا الْغُلامُ الْمَقْتُولُ فَاسْمُهُ حَيْسُون وَكَانَ كَافِرًا وَأَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ وَكَانَا يَعْطِفَانِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى كُفْرِهِ فَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَقْتُلَهُ بِاعْتِبَارِ مَا سَيَئُولُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ إِذْ لَوْ عَاشَ لَأَتْعَبَ وَالِدَيْهِ بِكُفْرِهِ وَلِلَّهِ أَنْ يَحْكُمَ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفَ فِي مِلْكِهِ كَمَا يَشَاءُ لا يَظْلِمُ أَحَدًا»**. وَكَانَتْ أُمُّ الْغُلامِ يَوْمَ قُتِلَ حُبْلَى فَوَلَدَتْ بِنْتًا كَانَتْ أَرْحَمَ مِنَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا كَبِرَتْ هَذِهِ الْبِنْتُ أَدْرَكَتْ سَيِّدَنَا يُونُسَ بنَ مَتَّى فَآمَنَتْ بِهِ وَتَزَوَّجَهَا فَأَنْجَبَتْ عِدَّةَ أَنْبِيَاءَ فَهَدَى اللَّهُ بِهِمْ أُمَمًا كَثِيرَةً وَكَانَتِ الْعِبْرَةُ فِي قِصَّةِ هَذَا الْغُلامِ أَنَّهُ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ وَحَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ وَلَوْ بَقِيَ كَانَ فِيهِ هَلاكُهُمَا فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الأَمْرُ الثَّالِثُ وَهُوَ الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ حُكِيَ أَنَّ أَحَدَهُمَا اسْمُهُ أَصْرَمُ وَالآخَرَ صَرِيم وَاسْمُ أَبِيهِمَا كَاشَح وَأُمِّهِمَا دَهْنَا وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ كَنْزٌ لَهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ لَوْحٍ ذَهَبِيٍّ وَمَالٍ كَثِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ تَرَكَهُ لَهُمَا وَالِدُهُمَا الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يُؤَدِّي الأَمَانَاتِ وَالْوَدَائِعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَدْ حُفِظَا بِصَلاحِ أَبِيهِمَا. وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ «**إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ الرَّجُلَ الصَّالِحَ فِي ذُرِّيَّتِهِ**». وَلَمَّا كَانَ الْجِدَارُ مُشْرِفًا عَلَى السُّقُوطِ وَلَوْ سَقَطَ لَضَاعَ ذَلِكَ الْكَنْزُ أَرَادَ اللَّهُ إِبْقَاءَهُ عَلَى الْيَتِيمَيْنِ رِعَايَةً لِحَقِّهِمَا وَحَقِّ صَلاحِ وَالِدِهِمَا فَأَمَرَ اللَّهُ الْخَضِرَ بِإِقَامَةِ ذَلِكَ الْجِدَارِ لِيَحْفَظَ الْكَنْزَ الَّذِي سَيَكُونُ مِنْ نَصِيبِ الْيَتِيمَيْنِ عِنْدَمَا يَكْبَرَانِ وَكَانَ الْيَتِيمَانِ جَاهِلَيْنِ بِأَنَّ لَهُمَا كَنْزًا إِلَّا أَنَّ الْوَصِيَّ عَلَيْهِمَا كَانَ عَالِمًا بِهِ. ثُمَّ أَنَّ الْوَصِيَّ غَابَ وَأَشْرَفَ ذَلِكَ الْجِدَارُ فِي غَيْبَتِهِ عَلَى السُّقُوطِ. ثُمَّ قَالَ الْخَضِرُ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لِمُوسَى الْقَضَايَا الثَّلاثَ «**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**» أَيْ مَا فَعَلْتُهُ بِاجْتِهَادٍ مِنِّي وَرَأْيٍ إِنَّمَا فَعَلْتُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ أُوحِيَ إِلَيْهِ.

بَعْضُ مَنْ رَأَى الْخَضِرَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رُوِىَ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا تُوُفِّىَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُجِّىَ بِثَوْبٍ هَتَفَ هَاتِفٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلا يَرَوْنَ شَخْصَهُ «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ إِنَّ فِى اللَّهِ خَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَعِوَضًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ وَعَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ فَبِاللَّهِ ثِقُوا وَإِيَّاهُ فَارْجُوا فَإِنَّ الْمُصَابَ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ**» فَكَانَ الصَّحَابَةُ يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ. وَرُوِىَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ لَقِىَ الْخَضِرَ وَعَلَّمَهُ هَذَا الدُّعَاءَ وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً لِمَنْ قَالَهُ فِى إِثْرِ كُلِّ صَلاةٍ وَهُوَ «**يَا مَنْ لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَيَا مَنْ لا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ وَيَا مَنْ لا يَتَبَرَّمُ مِنْ إِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ أَذِقْنِى بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ**» وَيُرْوَى هَذَا كَذَلِكَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَذُكِرَ أَنَّ الْخَضِرَ وَإِلْيَاسَ لا يَزَالانِ حَيَّيْنِ فِى الأَرْضِ مَا دَامَ الْقُرْءَانُ فِى الأَرْضِ فَإِذَا رُفِعَ مَاتَا وَذُكِرَ أَنَّهُمَا يَجْتَمِعَانِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِى كُلِّ سَنَةٍ وَأَنَّهُمَا يَقُولانِ عِنْدَ افْتِرَاقِهِمَا «**بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِى ثَلاثَ مَرَّاتٍ ءَامَنَهُ اللَّهُ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالسَّرَقِ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ».

وَرُوِىَ أَنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا يَتَبَايَعَانِ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَكْثَرَا الْحَلِفَ بِاللَّهِ فَجَاءَهُمَا رَجُلٌ وَنَهَاهُمَا عَنْ كَثْرَةِ الْحَلِفِ وَوَعَظَهُمَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً فَأَشَارَ ابْنُ عُمَرَ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يَكْتُبَ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ عَنْهُ فَكَتَبَهَا وَحَفِظَهَا ثُمَّ خَرَجَ فَلُحِقَ فَلَمْ يُرَ فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَمِمَّنْ رَأَى الْخَضِرَ مِنْ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ سَيِّدُنَا عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِى شُوهِدَ وَهُوَ خَارِجٌ وَشَيْخٌ مُتَوَكِّئٌ عَلَى يَدِهِ فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَ لَهُ خَادِمُهُ رَبَاحُ بنُ عُبَيْدَةَ مَنِ الشَّيْخُ الَّذِى كَانَ مُتَوَكِّأً عَلَى يَدَيْكَ قَالَ أَرَأَيْتَهُ فَأَجَابَهُ نَعَمْ فَقَالَ ذَاكَ أَخِى الْخَضِرُ أَعْلَمَنِى أَنِّى سَأَحْكُمُ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَنِّى سَأَعْدِلُ فِيهَا.

وَقِيلَ فِى سَبَبِ تَوْبَةِ الإِمَامِ الزَّاهِدِ إِبْرَاهِيمَ بنِ أَدْهَمَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ شَابًّا قَدْ حُبِّبَ إِلَىَّ الصَّيْدُ فَخَرَجْتُ يَوْمًا أَتَتَبَّعُ صَيْدًا وَبَيْنَمَا أَنَا أُطَارِدُهُ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا يَقُولُ «**يَا إِبْرَاهِيمُ أَلِهَذَا خُلِقْتَ أَبِهَذَا أُمِرْتَ**» فَفَزِعْتُ وَوَقَفْتُ ثُمَّ تَعَوَّذْتُ بِاللَّهِ وَرَكَضَتِ الدَّابَّةُ فَتَكَرَّرَ الأَمْرُ مِرَارًا ثُمَّ هَتَفَ بِى هَاتِفٌ مِنْ تَحْتِ السَّرْجِ يَقُولُ «**وَاللَّهِ مَا لِهَذَا خُلِقْتَ وَلا بِهَذَا أُمِرْتَ**» فَنَزَلْتُ فَصَادَفْتُ رَاعِيًا لِأَبِى يَرْعَى الْغَنَمَ فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ وَكَانَتْ مِنْ صُوفٍ فَلَبِسْتُهَا وَأَعْطَيْتُهُ الْفَرَسَ

وَمَا كَانَ مَعِى وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَكَّةَ فَبَيْنَمَا أَنَا فِى الْبَادِيَةِ إِذْ أَنَا بِرَجُلٍ يَسِيرُ لَيْسَ مَعَهُ إِنَاءٌ وَلا زَادٌ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسَاءُ وَصَلَّى الْمَغْرِبَ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِكَلامٍ لَمْ أَسْمَعْهُ فَإِذَا أَنَا بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ لَذِيذٌ وَإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ مُنْعِشٌ فَأَكَلْتُ مَعَهُ وَشَرِبْتُ وَكُنْتُ عَلَى هَذَا أَيَّامًا وَعَلَّمَنِى اسْمَ اللَّهِ الأَعْظَمَ الَّذِى إِذَا دُعِىَ بِهِ أَجَابَ ثُمَّ غَابَ عَنِّى وَبَقِيتُ وَحْدِى فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَوْحِشٌ مِنَ الْوَحْدَةِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَإِذَا شَخْصٌ ءَاخِذٌ بِثِيَابِى بِلُطْفٍ فَقَالَ لِى «**سَلْ تُعْطَهُ**» فَرَاعَنِى قَوْلُهُ فَقَالَ لِى «**لا رَوَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَنَا أَخُوكَ الْخَضِرُ فَآنَسَنِى وَأَذْهَبَ عَنِّى هَمِّى**».

وَرُوِيَ أَنَّ الْخَضِرَ الآنَ عَلَى مِنْبَرٍ فِى الْبَحْرِ وَقَدْ أُمِرَتْ دَوَّابُ الْبَحْرِ أَنْ تَسْمَعَ لَهُ وَتُطِيعَ وَهُوَ حَىٌّ مَوْجُودٌ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَكِنَّهُ مَحْجُوبٌ عَنِ الأَبْصَارِ وَذَلِكَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالصَّلاحِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالصُّوفِيَّةُ وَحِكَايَاتُهُمْ فِى رُؤْيَتِهِ وَالِاجْتِمَاعِ بِهِ وَالأَخْذِ عَنْهُ وَسُؤَالِهِ وَجَوَابِهِ وَوُجُودِهِ فِى الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ وَمَوَاطِنِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ.

قِصَّةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ

لِنَأْخُذِ الْعَزِيمَةَ وَالثَّبَاتَ وَالْعِبْرَةَ مِنْ مَوْقِفِ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ الَّتِى كَانَتْ تُسَرِّحُ شَعْرَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ فَوَقَعَ الْمِشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُ فِرْعَوْنَ أَوَلَكِ رَبٌّ إِلَهٌ غَيْرُ أَبِى فَكَانَ جَوَابُهَا رَبِّى وَرَبُّ أَبِيكِ هُوَ اللَّهُ فَأَخْبَرَتِ الْبِنْتُ أَبَاهَا فَطَلَبَ مِنْهَا فِرْعَوْنُ الرُّجُوعَ عَنْ دِينِهَا فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ عَنِ الْحَقِّ. وَكَانَ فِرْعَوْنُ كَافِرًا جَبَّارًا لا يَرْحَمُ فَحَمَّى لَهَا مَاءً وَقَالَ ارْجِعِى يَا مَاشِطَةُ قَالَتْ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ «**اللَّهُ رَبٌّ مُنْتَقِمٌ اللَّهُ رَبٌّ مُنْتَقِمٌ**».

وَأُحْمِىَ التَّنُّورُ وَتَحْتَهُ النِّيرَانُ وَالزَّيْتُ مَعَهُ الْمَاءُ فِى الْقِدْرِ وَبَدَأَ يَرْمِى بِأَوْلادِهَا أَمَامَ عَيْنَيْهَا فَكَانَ يَرْمِى بِالْوَلَدِ فَيَنْفَصِلُ عَظْمُهُ عَنْ لَحْمِهِ وَهِىَ ثَابِتَةٌ مُتَمَسِّكَةٌ بِدِينِ الإِسْلامِ وَبَقِىَ بَيْنَ يَدَيْهَا طِفْلٌ رَضِيعٌ فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ فَقَالَ «**يَا أُمَّاهُ اصْبِرِى فَإِنَّ عَذَابَ الآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا فَلا تَتَقَاعَسِى فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ**» أَنْطَقَهُ اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ. فَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ لِى عِنْدَكَ طَلَبٌ أَنْ تَجْمَعَ الْعِظَامَ وَتَدْفِنَهَا فِى مَكَانٍ وَاحِدٍ فَقَالَ لَهَا لَكِ ذَلِكَ فَرَمَاهَا هِىَ وَرَضِيعَهَا فِى الزَّيْتِ الْحَامِى فَمَاتَتْ هِىَ وَأَوْلادُهَا شُهَدَاءَ. وَبَعْدَ مِئَاتِ السِّنِينَ لَمَّا أُسْرِىَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَمَّ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ قَبْرِهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً عَطِرَةً.

قِصَّةُ قَارُونَ لَعَنَهُ اللَّهُ

كَانَ قَارُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَعَةً فِي الرِّزْقِ وَكَثْرَةً فِي الأَمْوَالِ حَتَّى فَاضَتْ بِهَا خَزَائِنُهُ وَاكْتَظَّتْ صَنَادِيقُهُ بِمَا حَوَتْهُ مِنْهَا فَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ حَمْلَ مَفَاتِيحِهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الأَقْوِيَاءِ وَكَانَ يَعِيشُ بَيْنَ قَوْمِهِ عِيشَةَ التَّرَفِ فَكَانَ يَلْبَسُ الْمَلابِسَ الْفَاخِرَةَ وَلا يَخْرُجُ إِلَّا فِي زِينَتِهِ وَيَسْكُنُ الْقُصُورَ وَيَخْتَارُ لِنَفْسِهِ الْخَدَمَ وَالْعَبِيدَ وَيَسْتَمْتِعُ بِمَلَذَّاتِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

لَكِنْ قَارُونُ لَمْ يَكُنْ عَبْدًا شَكُورًا فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ أَخَذَ يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَيَتَكَبَّرُ عَلَى قَوْمِهِ وَيَفْتَخِرُ بِكَثْرَةِ مَا ءَاتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الأَمْوَالِ وَالْكُنُوزِ فَنَصَحَهُ النُّصَحَاءُ مِنْ قَوْمِهِ وَوَعَظُوهُ وَنَهَوْهُ عَنْ فَسَادِهِ وَبَغْيِهِ وَلَكِنَّهُ أَجَابَهُمْ جَوَابَ مُغْتَرٍّ مَفْتُونٍ مُسْتَكْبِرٍ مُدَّعِيًا أَنَّهُ لا يَحْتَاجُ إِلَى نَصَائِحِهِمْ لِأَنَّهُ اكْتَسَبَ مَالَهُ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ مُعْتَقِدًا عَلَى زَعْمِهِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ وَلِذَلِكَ أَعْطَاهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ عِنْدَمَا أُنْزِلَتْ فَرْضِيَّةُ الزَّكَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لِقَارُونَ مُذَكِّرًا إِيَّاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَقِّهِ عَلَيْهِ إِنَّ عَلَى كُلِّ أَلْفِ دِينَارٍ دِينَارًا وَعَلَى كُلِّ أَلْفِ دِرْهَمٍ دِرْهَمًا فَحَسَبَ قَارُونُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ زَكَاةٍ فَاسْتَكْثَرَهُ فَشَحَّتْ نَفْسُهُ فَكَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

ثُمَّ جَمَعَ قَارُونُ بَعْضَ مَنْ يَثِقُ بِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مُوسَى أَمَرَكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ فَأَطَعْتُمُوهُ وَهُوَ الآنَ يُرِيدُ أَخْذَ أَمْوَالِكُمْ فَقَالُوا لَهُ مُرْنَا بِمَا شِئْتَ.

قَالَ ءَامُرُكُمْ أَنْ تُحْضِرُوا سِبَرْتَا الْعَاصِيَةَ فَتَجْعَلُوا لَهَا أُجْرَةً عَلَى أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ مُوسَى أَرَادَ الزِّنَى بِهَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَأَرْسَلُوا لَهَا طَسْتًا مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءًا قِطَعًا ذَهَبِيَّةً.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ أَتَى قَارُونُ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مُتَظَاهِرًا بِالْوِدِّ فَقَالَ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ لِتَأْمُرَهُمْ وَتَنْهَاهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ سَرَقَ قَطَعْنَا يَدَهُ وَمَنْ زَنَى وَهُوَ غَيْرُ مُتَزَوِّجٍ جَلَدْنَاهُ وَإِنْ تَزَوَّجَ وَزَنَى رَجَمْنَاهُ حَتَّى يَمُوتَ.

فَقَالَ لَهُ قَارُونُ وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ.

قَالَ مُوسَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ إِنَّنِي لا أَقْرَبُ هَذِهِ الْفَوَاحِشَ.

فَقَالَ لَهُ قَارُونُ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ فَجَرْتَ بِسِبَرْتَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ ادْعُوهَا فَلَمَّا جَاءَتْ اسْتَحْلَفَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِاللَّهِ الَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ أَنْ تَصْدُقَ فَتَدَارَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ فَتَابَتْ وَتَبَرَّأَتْ مِمَّا

نَسَبُوا إِلَى مُوسَى وَقَالَتْ كَذَبُوا بَلْ جَعَلَ لِي قَارُونُ أُجْرَةً عَلَى أَنْ أَتَّهِمَكَ بِالزِّنَى فَسَجَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَدَعَا اللَّهَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مُرِ الأَرْضَ بِمَا شِئْتَ فَإِنَّهَا مُطِيعَةٌ لَكَ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي خَرَجَ قَارُونُ كَعَادَتِهِ فِي مَوْكِبٍ كَبِيرٍ يَضُمُّ ءَالافَ الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ ثِيَابُهُمْ بِالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَرَكِبُوا عَلَى بِغَالِهِمْ وَأَفْرَاسِهِمْ وَهُوَ يَتَقَدَّمُهُمْ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ زَيَّنَهَا وَقَدِ ارْتَدَى أَجْمَلَ ثِيَابِهِ وَأَفْخَرَهَا مَزْهُوًّا بِنَفْسِهِ مُتَطَاوِلًا وَالنَّاسُ عَلَى الْجَانِبَيْنِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِدَهْشَةٍ وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَّ بِهِ فَقَالَ هَنِيئًا لِقَارُونَ إِنَّهُ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ مَالٌ وَجَاهٌ.

فَلَمَّا سَمِعَهُمْ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ نَصَحُوهُمْ أَنْ لا يَغْتَرُّوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ.

وَقِيلَ إِنَّ قَارُونَ مَرَّ فِي مَسِيرِهِ عَلَى مَجْلِسٍ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَوْقَفَ الْمَوْكِبَ وَخَاطَبَهُ قَائِلًا يَا مُوسَى أَمَا لَئِنْ كُنْتَ فُضِّلْتَ عَلَيَّ بِالنُّبُوَّةِ فَلَقَدْ فُضِّلْتُ عَلَيْكَ بِالْمَالِ وَلَئِنْ شِئْتَ فَاخْرُجْ فَادْعُ عَلَيَّ وَأَدْعُو عَلَيْكَ فَخَرَجَ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ثَابِتَ الْقَلْبِ مُتَوَكِّلًا عَلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبَدَأَ قَارُونُ بِالدُّعَاءِ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ وَدَعَا سَيِّدُنَا مُوسَى وَقَالَ اللَّهُمَّ مُرِ الأَرْضَ فَلْتُطِعْنِي الْيَوْمَ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَقَالَ مُوسَى يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ فَأَخَذَتِ الأَرْضُ قَارُونَ الْمَلْعُونَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْخُبَثَاءِ إِلَى أَقْدَامِهِمْ ثُمَّ قَالَ يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكَبِهِمْ ثُمَّ إِلَى مَنَاكِبِهِمْ ثُمَّ قَالَ أَقْبِلِي بِكُنُوزِهِ وَأَمْوَالِهِ فَاهْتَزَّتِ الأَرْضُ تَحْتَ دَارِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالٍ ثُمَّ أَشَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِيَدِهِ فَقَالَ يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ فَابْتَلَعَتْهُمْ جَمِيعًا.

وَلَمَّا حَلَّ بِقَارُونَ مَا حَلَّ مِنْ خَسْفِ الأَرْضِ وَذَهَابِ الأَمْوَالِ وَخَرَابِ الدَّارِ وَخَسْفِهَا نَدِمَ مَنْ كَانَ تَمَنَّى مِثْلَ مَا أُوتِيَ وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُمْ كَقَارُونَ طُغَاةً مُتَجَبِّرِينَ مُتَكَبِّرِينَ فَيَخْسِفَ بِهِمُ الأَرْضَ.

أَصْحَابُ السَّبْتِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [سُورَةَ الْبَقَرَة].

عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ كَانَتْ قَرْيَةُ أَيْلَةَ الَّتِي ذُكِرَتْ قِصَّتُهَا فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ حَيْثُ كَانَ أَصْحَابُ السَّبْتِ الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

كَانَ الْيَهُودُ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ يَكْتُمُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّوْبِيخِ وَالذُّلِّ لَهُمْ عَلَى مَا جَرَى مَعَ بَعْضِ أَسْلافِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الإِهْلاكِ وَالْمَسْخِ لَكِنَّ اللَّهَ فَضَحَهُمْ فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ عِنْدَمَا أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْقِصَّةَ لِيُحَذِّرَ الْيَهُودَ مِنْ تَعَنُّتِهِمْ وَتَكَبُّرِهِمْ وَرَفْضِهِمُ الإِيمَانَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ مَا حَلَّ بِإِخْوَانِهِمْ فِي قَرْيَةِ أَيْلَةَ فَمَا هِيَ تِلْكَ الْقِصَّة.

كَانَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيَّامَ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَقَبْلَهَا يَمْتَنِعُونَ عَنِ الْعَمَلِ وَالتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ إِذْ كَانَ هَذَا الأَمْرُ حَرَامًا فِي شَرِيعَتِهِمْ ابْتِلاءً لَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَلِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ مَنْ يَلْتَزِمُ بِأَوَامِرِهِ وَمَنْ يَعْصِيهِ. وَكَانَتِ الْحِيتَانُ وَالأَسْمَاكُ تَأْتِي يَوْمَ السَّبْتِ حَتَّى إِنَّهَا تَكَادُ أَنْ تُصَادَ بِالْيَدِ مِنْ قُرْبِهَا لِأَنَّهَا أُلْهِمَتْ أَنَّهَا لا تُصَادُ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِنَهْيِهِ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ صَيْدِهَا فَكَانَتْ تَأْتِي بِكَمِيَّاتٍ كَبِيرَةٍ إِلَى شَاطِئِ قَرْيَةِ أَيْلَةَ وَتَتَزَاحَمُ هُنَاكَ فَلا يُخَوِّفُونَهَا وَلا يُفْزِعُونَهَا وَإِذَا كَانَ غَيْرُ يَوْمِ السَّبْتِ لَزِمَتِ الْحِيتَانُ وَالأَسْمَاكُ قَاعَ الْبَحْرِ فَلَمْ يُرَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ حَتَّى يَأْتِيَ السَّبْتُ التَّالِي.

وَلَكِنَّ النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ سُرْعَانَ مَا يَقُودُهَا الشَّيْطَانُ إِلَى الْعِصْيَانِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ أَحَدَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ اشْتَهَى أَكْلَ السَّمَكِ فَأَغْوَاهُ الشَّيْطَانُ وَزَيَّنَ لَهُ الْقِيَامَ بِحِيلَةٍ لِاصْطِيَادِ مَا يَشْتَهِي مِنْهَا فَأَتَى إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ يَوْمَ السَّبْتِ وَرَأَى سَمَكَةً كَبِيرَةً تَسْبَحُ قَرِيبَةً مِنْهُ فَرَبَطَ ذَيْلَهَا بِحَبْلٍ وَوَضَعَ الطَّرَفَ الآخَرَ فِي وَتِدٍ عَلَى الشَّاطِئِ وَذَهَبَ فَلَمَّا انْقَضَى النَّهَارُ عَادَ هَذَا الرَّجُلُ وَأَخَذَ السَّمَكَةَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَظَّفَهَا وَشَوَاهَا فَانْبَعَثَتْ رَائِحَتُهَا حَوْلَ دَارِهِ فَأَتَاهُ جِيرَانُهُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَ مَا فَعَلَ وَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ «إِنَّهُ جِلْدُ سَمَكَةٍ وَجَدْتُهُ وَشَوَيْتُهُ» فَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ الآخَرُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا شَمَّ النَّاسُ رَائِحَةَ الشِّوَاءِ سَأَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ «إِنْ شِئْتُمْ صَنَعْتُمْ كَمَا أَصْنَعُ» فَقَالُوا لَهُ «وَمَا صَنَعْتَ» فَأَخْبَرَهُمْ فَفَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلَ.

وَنَوَّعُوا فِي اسْتِعْمَالِ الْحِيلَةِ فَقَامَ بَعْضُهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِحَفْرِ حُفَرٍ مُتَّصِلَةٍ بِالْبَحْرِ بِوَاسِطَةِ مَمَرَّاتٍ يَسْهُلُ سَدُّهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ وَكَثُرَ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى فَعَلَهُ الْكَثِيرُونَ وَوَصَلَ بِهِمُ الأَمْرُ أَنِ اصْطَادُوهَا يَوْمَ السَّبْتِ عَلانِيَةً وَبَاعُوهَا فِي الأَسْوَاقِ فَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الِاعْتِدَاءِ.

وَلَمَّا جَاهَرَ الْفُسَّاقُ بِطَرِيقَتِهِمْ قَامَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُسْلِمُونَ وَنَهَوْهُمْ عَنْ هَذَا وَخَوَّفُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا فَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُسَّاقِ جِدَارًا فِي الْقَرْيَةِ وَلَمْ يَعُودُوا يُسَاكِنُوهُمْ.

وَفِي اللَّيْلِ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فَانْتَقَمَ مِنَ الَّذِينَ فَسَقُوا وَمَسَخَ شُبَّانَهُمْ قِرَدَةً وَعَجَائِزَهُمْ خَنَازِيرَ كَمَا قِيلَ فَقَامَ الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ صَبَاحًا وَذَهَبُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا مِنَ الْفَاسِقِينَ فَاسْتَغْرَبُوا وَتَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَامَ أَحَدُهُمْ وَوَضَعَ سُلَّمًا عَلَى الْجِدَارِ وَصَعِدَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْقَوْمِ رَأَى عَجَبًا إِذْ أَصْبَحَ الْفُسَّاقُ قِرَدَةً لَهَا أَذْنَابٌ يَتَعَاوَوْنَ وَيَقْفِزُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ وَخَنَازِيرَ تُصْدِرُ أَصْوَاتًا قَبِيحَةً فَفَتَحُوا عَلَيْهِمُ

الأَبْوَابَ وَدَخَلُوا وَصَارَ كُلُّ قِرْدٍ يَأْتِي قَرِيبَهُ مِنَ الإِنْسِ فَيَشُمُّ ثِيَابَهُ وَيَبْكِي فَيَقُولُ الإِنْسِيُّ «أَلَمْ نَنْهَكُمْ» فَيُشِيرُ الْقِرْدُ بِرَأْسِهِ «نَعَمْ».

وَكَانُوا قَبْلَ الْمَسْخِ قَدِ افْتَرَقُوا كَمَا قِيلَ إِلَى ثَلاثِ فِرَقٍ فِرْقَةٌ عَصَتْ وَصَادَتْ وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا وَهُمُ الَّذِينَ مُسِخُوا وَفِرْقَةٌ نَهَتْ وَتَنَحَّتْ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَفِرْقَةٌ تَنَحَّتْ وَلَمْ تَنْهَ وَلَمْ تَعْصِ وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ الأَخِيرَةُ قَالَتْ لِلْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي نَهَتْ عَنِ الْحَرَامِ «لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا عُصَاةً سَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَسَيُعَذِّبُهُمْ» عَلَى مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ بَعْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا عُرِفَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِالأُمَمِ الْعَاصِيَةِ السَّابِقَةِ فَقَالَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ «مَوْعِظَتُنَا مِنْ بَابِ التَّذْكِيرِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَيَتَرَاجَعُونَ». وَلَمْ تَهْلِكْ إِلَّا الْفِرْقَةُ الأُولَى الْعَاصِيَةُ وَأَنْجَى اللَّهُ الَّذِينَ نَهَوْا وَالَّذِينَ لَمْ يَعْصُوا.

وَلَمْ يَبْقَ الَّذِينَ مُسِخُوا أَحْيَاءً أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَلَمْ يَأْكُلُوا خِلالَهَا وَلَمْ يَشْرَبُوا وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ نَسْلٌ. وَكَانُوا عِبْرَةً بَالِغَةً لِمَنْ أَتَى بَعْدَهُمْ مِنَ الأُمَمِ وَلِمَنْ رَءَاهُمْ وَعَرَفَ قِصَّتَهُمْ.

الرِّيحُ الْمُسَخَّرَةُ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ

بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالإِسْلامِ كَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَرَزَقَهُ النُّبُوَّةَ وَالْمُلْكَ فَكَانَ مُلْكُهُ وَاسِعًا وَسُلْطَانُهُ عَظِيمًا.

وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ كَرِيمَةٍ مِنْهَا تَسْخِيرُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ بِحَيْثُ يُطِيعُونَهُ وَيُنَفِّذُونَ أَوَامِرَهُ وَمِنْهَا إِسَالَةُ النُّحَاسِ الْمُذَابِ لَهُ وَفَهْمُهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَجَعْلُ الرِّيحِ تَأْخُذُهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى بِسَاطٍ عَجِيبٍ فَمَا قِصَّةُ بِسَاطِ الرِّيحِ هَذَا.

حُكِيَ أَنَّ الْجِنَّ الْمُسَخَّرِينَ تَحْتَ إِمْرَةِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ صَنَعُوا لَهُ بِسَاطًا وَاسِعًا جِدًّا مِنْ خَشَبٍ مُكَلَّلًا بِالذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ بِحَيْثُ إِنَّهُ يَسَعُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الدُّورِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْقُصُورِ وَالْخِيَامِ وَالأَمْتِعَةِ وَالْخُيُولِ وَالْجِمَالِ وَالأَثْقَالِ وَالرِّجَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ.

وَوُضِعَ لَهُ فِي وَسَطِهِ مِنْبَرٌ مِنْ ذَهَبٍ يَقْعُدُ عَلَيْهِ وَحَوْلَهُ كَرَاسٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْعُدُ عَلَيْهَا الأَوْلِيَاءُ وَكَرَاسٍ مِنْ فِضَّةٍ يَقْعُدُ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَوْلَهُمُ النَّاسُ وَحَوْلَ النَّاسِ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ، وَالطَّيْرُ تُظِلُّهُ وَتَحْمِيهِ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ. وَكَانَ سَيِّدُنَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَثِيرَ الْغَزْوِ لِمُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ وَنَشْرِ الإِسْلامِ وَتَعْلِيمِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ وَلا شَبِيهَ لَهُ فَكَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ قِتَالَ أَعْدَاءٍ فِي أَيِّ بَلَدٍ مَا حَمَلَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْبِسَاطِ وَأَمَرَ رِيحًا مَخْصُوصَةً جَعَلَهَا اللَّهُ طَائِعَةً وَمُنْقَادَةً لَهُ فَتَدْخُلُ تَحْتَهُ وَتَرْفَعُهُ فَإِذَا صَارَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَرَهَا أَنْ تَكُونَ لَيِّنَةً كَالنَّسِيمِ فَتَسِيرُ

بِهِ فَإِنْ أَرَادَهَا أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ أَمَرَ الْعَاصِفَةَ فَحَمَلَتْهُ أَسْرَعَ فَوَضَعَتْهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ شَاءَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَكَانَ لِهَذَا الْبِسَاطِ سُرْعَةُ انْتِقَالٍ كَبِيرَةٌ جِدًّا حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ مَسَافَةَ شَهْرٍ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ لا يَتَعَدَّى الْخَمْسَ سَاعَاتٍ. وَكَانَتْ مَدِينَةُ تَدْمُرَ فِي بَرِّ الشَّامِ مُسْتَقَرَّ مُلْكِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ بَنَاهَا لَهُ الْجِنُّ كَمَا قِيلَ مِنَ الْحِجَارَةِ الضَّخْمَةِ الْعَرِيضَةِ وَالأَعْمِدَةِ الْعَالِيَةِ وَالرُّخَامِ الأَبْيَضِ وَالأَصْفَرِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا سَيِّدُنَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ ذَاتَ يَوْمٍ صَبَاحًا يَقْصِدُ إِصْطَخْرَ وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ مُدُنِ بِلادِ فَارِسَ وَفِيهَا مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ سُلَيْمَانَ وَتَبْعُدُ عَنِ الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فَوَصَلَ إِلَيْهَا ظُهْرًا بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ انْطَلَقَ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ أَنِ اسْتَرَاحَ إِلَى كَابُلَ فِي أَرْضِ خُرَاسَانَ أَفْغَانِسْتَانَ حَالِيًّا وَهِيَ تَبْعُدُ عَنْ إِصْطَخْرَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فَبَاتَ فِيهَا ثُمَّ عَادَ صَبَاحًا إِلَى تَدْمُرَ فَوَصَلَهَا ظُهْرًا.

وَمِنْ دَلائِلِ هَذِهِ الرِّحْلاتِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ بِهَا مَا وُجِدَ فِي مَنْزِلٍ قُرْبَ نَهْرِ دِجْلَةَ حَيْثُ عُثِرَ عَلَى لَوْحَةٍ كَتَبَ فِيهَا أَحَدُ صَحَابَةِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِمَّا مِنَ الإِنْسِ وَإِمَّا مِنَ الْجِنِّ مَا نَصُّهُ «نَحْنُ نَزَلْنَاهُ وَمَا بَنَيْنَاهُ وَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ غَدَوْنَا مِنْ إِصْطَخْرَ فَقُلْنَاهُ وَصَلْنَا ظُهْرًا وَنَحْنُ رَائِحُونَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَبَائِتُونَ فِي الشَّامِ».

وَمِمَّا رُوِيَ فِي تَرْحَالِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَذَلِكَ أَنَّهُ رَكِبَ الْبِسَاطَ مَرَّةً وَسَارَ فَمَرَّ فَوْقَ فَلَّاحٍ يَحْرُثُ أَرْضَهُ فَنَظَرَ نَحْوَهُ الْفَلَّاحُ وَقَالَ «لَقَدْ أُوتِيَ ءَالُ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا» وَسَيِّدُنَا سُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَحَمَلَتِ الرِّيحُ كَلامَهُ فَأَلْقَتْهُ فِي أُذُنِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَنَزَلَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْفَلَّاحِ فَقَالَ لَهُ «**إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكَ وَإِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِئَلَّا تَتَمَنَّى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ مِنْكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**» فَقَالَ الْفَلَّاحُ «أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ كَمَا أَذْهَبْتَ هَمِّي».

وَذَلِكَ لِأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّقَ الْقَلْبِ بِالرَّفَاهِيَةِ وَالتَّنَعُّمِ بَلْ كَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ سَعَةِ مُلْكِهِ وَعِظَمِ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الأَمْوَالِ.

وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَذْبَحُ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسِ غَنَمٍ وَثَلاثِينَ أَلْفَ رَأْسِ بَقَرٍ وَيُطْعِمُهَا لِلنَّاسِ وَهُوَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرَ وَيَأْتَدِمُ بِاللَّبَنِ الْحَامِضِ.

قِصَّةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ
وَبِلْقِيس وَءَاصِفَ بنِ بَرْخِيَا

كَذَلِكَ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ شَخْصٌ مِنْ أَتْبَاعِ سُلَيْمَانَ حَمَلَ عَرْشَ بِلْقِيس مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ بِكَرَامَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسِّرِّ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ حَمَلَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى بَرِّ الشَّامِ عَرْشَ بِلْقِيس بِقَدْرِ مَا يَمُدُّ الإِنْسَانُ عَيْنَهُ لِيَنْظُرَ مَدَّ بَصَرِهِ

قَبْلَ أَنْ يَطْرِفَ عَيْنَهُ أَىْ يُطْبِقَ عَيْنَهُ أَحْضَرَهُ وَهَذَا الْعَرْشُ شَىْءٌ عَظِيمٌ طُولُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٌ بِالْجَوَاهِرِ وَعَرْضُهُ أَرْبَعُونَ، سُلَيْمَانُ لَيْسَ رَغْبَةً فِى عَرْشِهَا هَذَا طَلَبَ إِحْضَارَهُ بَلْ لِتَقْتَنِعَ نَفْسُهُ، حَتَّى يَقْتَنِعَ قَلْبُهَا بِأَنَّ الإِسْلامَ الَّذِى يَدْعُو إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْبُدُ الشَّمْسَ، هَذِهِ بِلْقِيسُ كَانَتْ مَلِكَةُ سَبَأ سَبَأُ هَذِهِ أَرْضٌ فِى الْيَمَنِ، حَتَّى تُسْلِمَ هُوَ لَيْسَ رَغْبَةً فِى مَالِهَا فَعَلَ ذَلِكَ لَكِنْ حَتَّى تَنْبَهِرَ لِأَنَّهَا جَاءَتْ طَلَبَهَا سُلَيْمَانُ فَحَضَرَتْ خَاضِعَةً لِأَنَّ سُلَيْمَانَ قُوَّتُهُ قَاهِرَةٌ لا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ. بِلْقِيسُ أَسْلَمَتْ كَيْفَ لا تُسْلِمُ تَرَى هَذَا الْعَجَبَ ثُمَّ لا تُسْلِمْ. هَذَا الَّذِى أَحْضَرَ عَرْشَ بِلْقِيس مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ الْبَعِيدَةِ يُقَالُ لَهُ ءَاصِفُ بنُ بَرْخِيَا وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ إِنَّهُ مَلَكٌ مِنَ مَلائِكَةِ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضٌ إِنَّهُ ءَاصِفُ بنُ بَرْخِيَا صَاحِبُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى الْقَوْلِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ. هَذَا كَانَ وَلِيًّا مِنَ الأَوْلِيَاءِ مَا كَانَ نَبِيًّا وَعَلَى الْقَوْلِ الآخَرِ كَانَ مَلَكًا مِنَ مَلائِكَةِ اللَّهِ كَانَ يُلازِمُ سُلَيْمَانَ لِأَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ جَاهٌ عَظِيمٌ اللَّهُ تَعَالَى أَعْطَاهُ مُلْكًا لا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ كَانَ مَعَ هَذَا الْمُلْكِ الْعَظِيمِ الشَّيَاطِينُ الْكَافِرُونَ سَخَّرَهُمُ اللَّهُ لَهُ، إِذَا أَحَدٌ مِنْهُمْ خَالَفَ أَمْرَهُ يُحَطِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنَزِّلُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَذَابًا فَيَتَحَطَّمُ الشَّيَاطِينُ الْعَفَارِيتُ الْكِبَارُ كَانُوا يُطِيعُونَهُ وَيَخَافُونَهُ هَؤُلاءِ كَانُوا يَبْنُونَ لَهُ مَبَانِى فَخْمَةً وَيُخْرِجُونَ لَهُ مِنْ قَعْرِ الْبَحْرِ الْجَوَاهِرَ وَاللآلِئَ كَانُوا مُسَخَّرِينَ لَهُ وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ أَيْضًا كَانَتِ الرِّيحُ تَحْمِلُهُ وَجَيْشَهُ، بِسَاطُ الرِّيحِ يَحْمِلُهُ صَبَاحًا إِلَى مَسَافَةِ شَهْرٍ ثُمَّ بَعْدَ الظُّهْرِ يَرُدُّهُ وَغَيْرُ هَذَا مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ كَانَ هُوَ شَدِيدَ الرَّغْبَةِ فِى الْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ تَحَدَّثَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ امْرَأَةٍ وَأَمَّا أَهْلُ التَّارِيخِ الْمُؤَرِّخُونَ يَقُولُونَ كَانَ عِنْدَهُ ثَلاثُمِائَةِ مَهْرِيَّةٍ وَسَبْعُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ سَرَارِي هَذَا لَيْسَ شَيْئًا يَقِينًا إِنَّمَا الْيَقِينُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ امْرَأَةٍ لِأَنَّ الرَّسُولَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ وَمِنْ شِدَّةِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ فِى الْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ جِهَادِ الْكُفَّارِ لِنَشْرِ الإِسْلامِ ذَاتَ يَوْمٍ حَلَفَ أَنَّهُ يَطُوفُ عَلَى الْمِائَةِ فِى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ يَطُوفُ عَلَيْهِنَّ أَىْ يُجَامِعُنَّ لِتَحْمِلَ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِوَلَدٍ فَارِسٍ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ. الأَنْبِيَاءُ أَمْرُهُمْ عَجِيبٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا بِعَجَائِبَ وَفِى الآخِرَةِ جَعَلَ دَرَجَاتِهِمْ أَعْلَى مِنْ كُلِّ دَرَجَاتِ الْعِبَادِ هَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِى يَأْتِى بِهَا مِائَةَ امْرَأَةٍ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ هَذِهِ غَرِيبَةٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَشَرِ لا تَصِيرُ لَهُ هَذِهِ الْقُوَّةُ ثُمَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ وَالْعِنَايَةِ بِبَطْنِهِ هُوَ مَا كَانَ مُعْتَنِيًا بِبَطْنِهِ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بَدَلَ أَنْ يَأْكُلَ خُبْزَ الْقَمْحِ وَالرُّزِّ هَذَا الشَّعِيرُ قُوتُ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ أَهْلِ الشِّدَّةِ لِأَنَّهُ خَشِنٌ خُبْزُهُ لَيْسَ مِثْلَ خُبْزِ الْقَمْحِ وَلا لَذَّتُهُ كَلَذَّةِ خُبْزِ الْقَمْحِ، مَعَ كُلِّ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِى أَغْدَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ يَأْكُلُ أَفْخَرَ الْمَآكِلِ وَلا كَانَ يَشْرَبُ أَلَذَّ الْمَشَارِبِ لِأَنَّ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقٌ بِالآخِرَةِ وَهَذَا الْمُلْكُ الَّذِى أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَا جَمَعَهُ بِنِيَّةِ الِافْتِخَارِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّعَاظُمِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ

اللَّاتِى جَمَعَهُنَّ هَذَا الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ لِإِشْبَاعِ الشَّهْوَةِ بَلْ لِغَرَضٍ شَرْعِيٍّ دِينِيٍّ وَهَكَذَا كُلُّ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ تَعَلُّقٌ قَلْبِيٌّ بِالنِّسَاءِ وَلا بِالْمَالِ كُلُّهُمْ قُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِخَالِقِهِمْ.

ذِكْرُ كَيْفَ قُتِلَ نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ
وَمَاذَا حَصَلَ بَعْدَ قَتْلِهِ

قَتَلَتْ كُفَّارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ هَذَا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ ابْنُ خَالَةِ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ أُوذِيَ أَذًى شَدِيدًا وَبَلَغَ بِهِ الأَذَى إِلَى أَنْ قُتِلَ، مَلِكٌ ظَالِمٌ كَانَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ كَبُرَتْ ذَهَبَ جَمَالُهَا الَّذِى كَانَ بِهَا وَكَانَ لَهَا بِنْتٌ تَكُونُ هِيَ رَبِيبَةَ هَذَا الْمَلِكِ لَيْسَتْ بِنْتَهُ قَالَتْ لَهُ «تَزَوَّجْ بِنْتِي هَذِهِ» حَتَّى لا تَكُونَ بَعِيدَةً مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي هِيَ تَتَقَلَّبُ فِيهَا بِسَبَبِ هَذَا الْمَلِكِ قَالَ أَسْتَفْتِي يَحْيَى أَيَجُوزُ هَذَا أَمْ لا فَسَأَلَ نَبِيَّ اللَّهِ يَحْيَى فَقَالَ لَهُ «**حَرَامٌ**» فَقَالَ لَهَا قَالَ لِي يَحْيَى حَرَامٌ فَقَالَتْ لَهُ هَذَا اقْتُلْهُ كَيْفَ يُحَرِّمُ عَلَيْكَ كَيْفَ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُهُ أَنْتَ فَأَخَذَ بِكَلامِهَا فَقَتَلَهُ فَحُمِلَ رَأْسُ سَيِّدِنَا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَيْهِ فِي طَسْتٍ وَبَعْضُ دَمِهِ انْكَبَّ عَلَى الأَرْضِ فَظَلَّ الدَّمُ يَغْلِي مَا كَانَ يَهْدَأُ وَالأَرْضُ مَا كَانَتْ تَبْلَعُهُ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَافِرًا اسْمُهُ بُخْتَ نَصَّر فَجَاءَ هَذَا الْكَافِرُ مِنَ الْعِرَاقِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا فَهَدَأَ دَمُ يَحْيَى الَّذِى ظَلَّ يَغْلِي حَتَّى قُتِلَ مِنْ جَمَاعَةِ الْمَلِكِ الَّذِى فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ الْخَبِيثَ سَبْعُونَ أَلْفًا. هَذَا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ لَمْ يَكُنْ هَيِّنًا عَلَى اللَّهِ اللَّهُ تَعَالَى مَا سَلَّطَ عَلَيْهِ هَذَا الْكَافِرَ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِ فَحُمِلَ إِلَيْهِ رَأْسُهُ لِهَوَانِهِ عَلَى اللَّهِ بَلْ لِيَزِيدَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا شَرَفًا عِنْدَهُ لِذَلِكَ الآنَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ يُقَالُ إِنَّ جَسَدَهُ بِمَكَانٍ وَرَأْسَهُ بِمَكَانٍ، فِي صَيْدَاءَ يُقَالُ إِنَّ هُنَاكَ مَقَامًا يُقَالُ لَهُ مَقَامُ نَبِيِّ اللَّهِ يَحْيَى النَّاسُ يَزُورُونَهُ وَمَكَانٌ ءَاخَرُ أَيْضًا وَكَذَلِكَ أَبُوهُ سَيِّدُنَا زَكَرِيَّا نَبِيُّ اللَّهِ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ هَذَانِ عُرِفَا بِأَسْمَائِهِمَا أَمَّا الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الْكُفَّارُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَكَثِيرٌ لَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ أَسْمَاؤُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا سَمَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَإِنَّمَا قَالَ ﴿**وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ [سُورَةَ ءَالِ عِمْرَان] أَيِ الْيَهُود قَتَلُوا أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ.

قِصَّةُ عُزَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَرَدَتْ قِصَّةُ عُزَيْرٍ وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ صَالِحٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوجَزَةً فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنَ الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ وَهَا نَحْنُ نُورِدُهَا مُفَصَّلَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ لِمَا فِيهَا مِنْ إِظْهَارٍ لِعَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى انْقَسَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى عِدَّةِ أَقْسَامٍ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا مُتَّبِعًا لِلإِسْلامِ حَقَّ الاِتِّبَاعِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرُوا وَأَدْخَلُوا التَّحْرِيفَ عَلَى الدِّينِ زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِمَّا أَدَّى إِلَى حُدُوثِ فِتَنٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ تُؤَدِّي أَحْيَانًا بِحَيَاةِ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الَّذِينَ قُتِلُوا عَلَى أَيْدِي هَؤُلاءِ الْيَهُودِ الْمَلاعِين.

وَلَمَّا تَكَاثَرَ فَسَادُهُمْ وَطَغَوْا وَبَغَوْا وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا نَبِيَّيْنِ كَرِيمَيْنِ عَلَى اللهِ هُمَا سَيِّدُنَا زَكَرِيَّا وَوَلَدُهُ سَيِّدُنَا يَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ سَلَّطَ اللَّهُ الْمُنْتَقِمُ عَلَيْهِمْ حَاكِمًا كَافِرًا هُوَ بُخْتَنَصَّر أَتَى مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ بِجَيْشٍ جَرَّارٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي فِلَسْطِينَ فَغَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمُ الْكَثِيرَ وَأَسَرَ الْبَاقِينَ وَهَرَبَ الْقَلِيلُونَ ثُمَّ أَمَرَ جُنْدَهُ بِجَلْبِ كَمِيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَتْرِبَةِ وَوَضْعِهَا عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى صَارَتْ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ إِمْعَانًا فِي إِذَاقَتِهِمُ الذُّلَّ وَالْهَوَانَ.

وَأَخَذَ بُخْتَنَصَّر الأَسْرَى مَعَهُ إِلَى بَابِلَ وَكَانَ بَيْنَهُمْ بَعْضُ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الإِسْلامِ وَقَدْ دَفَنُوا التَّوْرَاةَ الأَصْلِيَّةَ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي مَكَانٍ عَرَفُوا مَوْضِعَهُ وَحْدَهُمْ وَكَانَ مِنْهُمْ عُزَيْرُ بنُ شَرْخِيَا الَّذِي اسْتَطَاعَ الْعَوْدَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ فَتْرَةٍ لَكِنَّهُ وَجَدَهُ عَلَى حَالَتِهِ الْبَالِيَةِ وَقَدْ دُمِّرَ مَا تَبَقَّى مِنْ بُيُوتٍ وَدُورٍ وَحَوْلَهَا الْجُثَثُ الْمُمَزَّقَةُ وَالأَطْرَافُ الْمُتَفَرِّقَةُ وَالْعِظَامُ الْمُقَطَّعَةُ فَمَرَّ بَيْنَهُمْ مُتَعَجِّبًا مِنْ حَالِهِمْ وَكَانَ يَجُرُّ وَرَاءَهُ حِمَارَهُ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَسَاتِينِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رَءَاهَا عَامِرَةً بِالْفَاكِهَةِ النَّضِرَةِ الطَّرِيَّةِ فَزَادَتْ دَهْشَتُهُ إِذِ الأَشْجَارُ مُثْمِرَةٌ وَالنَّاسُ مَيِّتُونَ فَقَالَ وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ الْعِبْرَةُ «**سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى إِحْيَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا بَعْدَمَا أَصْبَحُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ**». ثُمَّ تَنَاوَلَ مِنْ تِلْكَ الأَشْجَارِ عِنَبًا وَتِينًا وَمَلأَ مِنْهُمَا سَلَّةً لَهُ ثُمَّ عَصَرَ عِنَبًا فِي وِعَاءٍ وَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا وَقَعَدَ يَسْتَرِيحُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى أَمَاتَهُ اللَّهُ وَحَجَبَهُ عَنْ عُيُونِ النَّاسِ وَالسِّبَاعِ وَالطُّيُورِ.

وَبَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِ عُزَيْرٍ أَرْسَلَ اللَّهُ مَلَكًا إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ يُقَالُ لَهُ لُوسِكْ فَقَالَ لَهُ «**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْهَضَ بِقَوْمِكَ فَتَقْصِدَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِتُعَمِّرَهُ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الأَرَاضِي حَتَّى يَعُودَ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ**» فَأَمَرَ الْمَلِكُ لُوسِكْ عَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنْ مَمْلَكَتِهِ بِالْخُرُوجِ لِتَعْمِيرِ الْمَدِينَةِ وَعَادَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا فَعَمَرُوهَا فِي ثَلاثِينَ سَنَةً وَكَثُرُوا حَتَّى كَانُوا كَأَحْسَنِ حَالٍ مِنْ رَخَاءِ عَيْشٍ.

وَبَعْدَ اكْتِمَالِ مِائَةِ عَامٍ عَلَى مَوْتِ عُزَيْرٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَكَانَ قَدْ أَمَاتَهُ صَبَاحًا ثُمَّ بَعَثَهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ بَعْدَ مُرُورِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الطَّوِيلَةِ فَأَحْيَا مِنْهُ أَوَّلَ مَا أَحْيَا قَلْبَهُ لِيُدْرِكَ بِهِ وَعَيْنَيْهِ لِيَرَى بِهِمَا كَيْفِيَّةَ بَعْثِ الأَجْسَادِ فَيَقْوَى يَقِينُهُ ثُمَّ رَأَى عُزَيْرٌ سَائِرَ جَسَدِهِ كَيْفَ يُرَكَّبُ مِنْ جَدِيدٍ ثُمَّ أَتَاهُ مَلَكٌ كَرِيمٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَقَالَ لَهُ «**كَمْ لَبِثْتَ**» فَأَجَابَهُ عُزَيْرٌ عَلَى حَسَبِ مَا تَوَقَّعَهُ «**لَبِثْتُ يَوْمًا**» ثُمَّ رَأَى أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغْرُبْ كُلُّهَا بَعْدُ فَقَالَ «**أَوْ بَعْضَ**

يَوْمٍ» فَأَوْضَحَ لَهُ الْمَلَكُ الْكَرِيمُ قَائِلًا «**بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ**» فَنَظَرَ إِلَى سَلَّةِ التِّينِ وَالْعِنَبِ مَا زَالَتْ كَمَا قَطَفَهَا طَازِجَةً نَضِرَةً وَإِلَى الشَّرَابِ فِى الْوِعَاءِ لَمْ يَتَعَفَّنْ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ «**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**» فَنَظَرَ إِلَيْهِ حَيْثُ رَبَطَهُ بِالشَّجَرَةِ فَوَجَدَهُ مَيِّتًا وَعِظَامُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ بَيْضَاءَ نَخِرَةً وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَطْرَافُهُ وَبَلِيَتْ وَسَمِعَ صَوْتَ مَلَكٍ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ «**أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ تَجَمَّعِى بِإِذْنِ اللَّهِ**» فَانْضَمَّتْ أَجْزَاءُ الْعِظَامِ إِلَى بَعْضِهَا ثُمَّ الْتَصَقَ كُلُّ عُضْوٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ الضِّلَعُ إِلَى الضِّلَعِ وَالذِّرَاعُ إِلَى مَكَانِهِ ثُمَّ جَاءَ الرَّأْسُ إِلَى مَوْضِعِهِ وَرُكِّبَتِ الأَعْصَابُ وَالْعُرُوقُ ثُمَّ أَنْبَتَ اللَّهُ اللَّحْمَ الطَّرِىَّ عَلَى الْهَيْكَلِ الْعَظْمِىِّ وَكَسَاهُ بِالْجِلْدِ الَّذِى انْبَسَطَ عَلَى اللَّحْمِ ثُمَّ خَرَجَ الشَّعَرُ مِنَ الْجِلْدِ.

وَعِنْدَهَا جَاءَ مَلَكٌ فَنَفَخَ الرُّوحَ بِإِذْنِ اللَّهِ فِى مِنْخَرَىِ الْحِمَارِ فَقَامَ يَنْهَقُ فَهَبَطَ عُزَيْرٌ إِلَى الأَرْضِ سَاجِدًا لِلَّهِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ ءَايَةً مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَجِيبَةِ الْبَاهِرَةِ وَهِىَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَقَالَ «**أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**».

وَرُوِىَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عُزَيْرٌ قَبْلَ مِائَةِ عَامٍ كَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ عَامًا أَسْوَدَ الشَّعَرِ قَوِىَّ الْبُنْيَةِ وَقَدْ تَرَكَ زَوْجَتَهُ حَامِلًا فَلَمَّا مَاتَ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ كَانَ عُمُرُهُ مِائَةَ عَامٍ عِنْدَمَا عَادَ أَبُوهُ إِلَى الْحَيَاةِ فَرَكِبَ عُزَيْرٌ حِمَارَهُ وَأَتَى مَحَلَّتَهُ حَيْثُ كَانَ يَسْكُنُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُمْ إِذْ قَدْ وُلِدَ أُنَاسٌ وَمَاتَ أُنَاسٌ وَقَصَدَ مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ عَجُوزًا عَمْيَاءَ مُقْعَدَةً كَانَتْ خَادِمَةً عِنْدَهُمْ وَهِىَ بِنْتُ عِشْرِينَ عَامًا فَقَالَ لَهَا «**أَهَذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ**» قَالَتْ «**نَعَمْ**» وَبَكَتْ بُكَاءً غَزِيرًا وَأَكْمَلَتْ قَائِلَةً «**لَقَدْ ذَهَبَ عُزَيْرٌ مُنْذُ عَشَرَاتِ السِّنِينَ وَنَسِيَهُ النَّاسُ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ جِدًّا ذَكَرَ عُزَيْرًا إِلَّا الآنَ**».

قَالَ «**أَنَا عُزَيْرٌ أَمَاتَنِى اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ وَهَا قَدْ بَعَثَنِى**» فَاضْطَرَبَ أَمْرُ هَذِهِ الْعَجُوزِ ثُمَّ قَالَتْ «**إِنَّ عُزَيْرًا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ لا يَدْعُو لِمَرِيضٍ أَوْ صَاحِبِ بَلاءٍ إِلَّا تَعَافَى بِإِذْنِ اللَّهِ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِىَ جَسَدِى وَيَرُدَّ بَصَرِى**» فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا هِىَ ذَاتُ بَصَرٍ حَادٍّ وَوَجْهٍ مُشْرِقٍ قَدْ قَامَتْ وَاقِفَةً عَلَى رِجْلَيْهَا كَأَنَّهُ مَا أَصَابَهَا ضُرٌّ قَائِلَةً «**أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ**».

ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَهُمْ أَوْلادُهُ وَأَحْفَادُهُ وَرُءُوسُهُمْ وَلِحَاهُمْ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ وَمِنْهُمْ مَنْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَارَبَ الْخَمْسِينَ وَبَيْنَ الْقَوْمِ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ الَّذِينَ أَتْعَبَ الزَّمَانُ أَجْسَادَهُمْ فَانْحَنَوْا وَأَذَابَ جُلُودَهُمْ وَصَاحَتْ «**إِنَّ عُزَيْرًا الَّذِى فَقَدْتُمُوهُ مُنْذُ مِائَةِ عَامٍ قَدْ رَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَجُلًا قَوِيًّا يَمْشِى مِشْيَةَ الشَّبَابِ الْكَامِلِينَ**» وَظَهَرَ لَهُمْ عُزَيْرٌ بَهِىَ الطَّلْعَةِ سَوِىَّ الْخَلْقِ شَدِيدَ الْعَضَلاتِ أَسْوَدَ الشَّعَرِ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَمْتَحِنُوهُ فَأَتَى

ابْنُهُ وَقَالَ لَهُ «**لَقَدْ كَانَتْ أُمِّي تُخْبِرُنِي أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي شَامَةٌ سَوْدَاءُ مِثْلُ الْهِلالِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَأَرِنَا إِيَّاهَا**» فَكَشَفَ عُزَيْرٌ عَنْ ظَهْرِهِ فَظَهَرَتِ الشَّامَةُ ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَتَيَقَّنُوا أَكْثَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَبِيرٌ بَيْنَهُمْ «**أَخْبِرَنَا أَجْدَادُنَا أَنَّ بُخْتَنَصَّر لَمَّا هَاجَمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَحْرَقَ التَّوْرَاةَ وَلَمْ يَبْقَ مِمَّنْ حَفِظَهُ غَيْبًا إِلَّا الْقَلِيلُ وَمِنْهُمْ عُزَيْرٌ فَإِنْ كُنْتَ هُوَ فَاتْلُ عَلَيْنَا مَا كُنْتَ تَحْفَظُ**» فَقَامَ وَلَحِقُوا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي دَفَنَ فِيهِ التَّوْرَاةَ عِنْدَ هُجُومِ بُخْتَنَصَّر فَأَخْرَجَهَا وَكَانَتْ مَلْفُوفَةً بِخِرْقَةٍ فَتَعَفَّنَ بَعْضُ وَرَقِهَا وَجَلَسَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَهُ فَأَمْسَكُوا بِالتَّوْرَاةِ يُتَابِعُونَ مَا سَيَتْلُو وَتَلا التَّوْرَاةَ لَمْ يَتْرُكْ ءَايَةً مِنْهَا وَلَمْ يُحَرِّفْ جُزْءًا وَلَمْ يُنْقِصْ حَرْفًا. عِنْدَ ذَلِكَ صَافَحُوهُ مُصَدِّقِينَ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ وَلَكِنَّهُمْ لِجَهْلِهِمْ لَمْ يَزْدَادُوا إِيمَانًا بَلْ كَفَرُوا وَقَالُوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى.

وِلادَةُ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾ الآيَةَ [سُورَةَ الْمَائِدَة] هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ كَمَا خَلَقَ ءَادَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [سُورَةَ ءَالِ عِمْرَان].

وَأُمُّ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى هِيَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ الصِّدِّيقَةُ الْوَلِيَّةُ الْعَذْرَاءُ الطَّاهِرَةُ الَّتِي تَرَبَّتْ فِي بَيْتِ الْفَضِيلَةِ وَعَاشَتْ عِيشَةَ الطُّهْرِ وَالتَّقْوَى وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ [سُورَةَ التَّحْرِيم]. وَمِمَّا جَاءَ فِي قِصَّةِ حَمْلِهَا وَوَضْعِهَا أَنَّهَا ذَهَبَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَكَانٍ لِتَقْضِيَ أَمْرًا فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ مُتَشَكِّلًا بِشَكْلِ شَابٍّ أَبْيَضِ الْوَجْهِ ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] أَيْ فَقَالَ لَهَا إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا لِيَهَبَهَا وَلَدًا صَالِحًا طَاهِرًا مِنَ الذُّنُوبِ ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] أَيْ قَالَتْ مَرْيَمُ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَقْرَبْنِي زَوْجٌ وَلَمْ أَكُنْ فَاجِرَةً زَانِيَةً ﴿**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] أَيْ فَأَجَابَهَا جِبْرِيلُ عَنْ تَعَجُّبِهَا بِأَنَّ خَلْقَ وَلَدٍ مِنْ غَيْرِ أَبٍ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلِيَجْعَلَهُ عَلامَةً لِلنَّاسِ وَدَلِيلًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِيَجْعَلَهُ رَحْمَةً وَنِعْمَةً لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ وَءَامَنَ بِهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ

﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم].

نَفَخَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا فَحَمَلَتْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ثُمَّ تَنَحَّتْ بِحَمْلِهَا بَعِيدًا خَوْفَ أَنْ يُعَيِّرَهَا النَّاسُ بِوِلادَتِهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ثُمَّ أَلْجَأَهَا وَجَعُ الْوِلادَةِ إِلَى سَاقِ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ وَتَمَنَّتِ الْمَوْتَ خَوْفًا مِنْ أَذَى النَّاسِ فَنَادَاهَا جِبْرِيلُ يُطَمْئِنُهَا وَيُخْبِرُهَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ تَحْتَهَا نَهْرًا صَغِيرًا وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَهُزَّ جِذْعَ النَّخْلَةِ لِيَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا الرُّطَبُ الْجَنِيُّ وَأَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ مِمَّا رَزَقَهَا اللَّهُ وَأَنْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَأَنْ تَقُولَ لِمَنْ رَءَاهَا وَسَأَلَهَا عَنْ وَلَدِهَا إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ أَنْ لا أُكَلِّمَ أَحَدًا.

ثُمَّ إِنَّ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلامُ أَتَتْ قَوْمَهَا تَحْمِلُ مَوْلُودَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى يَدِهَا فِي بَيْتِ لَحْمٍ فَقَالُوا لَهَا لَقَدْ فَعَلْتِ فِعْلَةً مُنْكَرَةً عَظِيمَةً فَإِنَّ أَبَاكِ لَمْ يَكُنْ رَجُلَ سُوءٍ وَلَمْ تَكُنْ أُمُّكِ زَانِيَةً وَظَنُّوا بِهَا السُّوءَ وَصَارُوا يُوَبِّخُونَهَا وَيُؤَنِّبُونَهَا وَهِيَ سَاكِتَةٌ لا تُجِيبُ لِأَنَّهَا أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهَا نَذَرَتْ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا وَلَمَّا ضَاقَ بِهَا الْحَالُ أَشَارَتْ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَهَا قَالُوا لَهَا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] عِنْدَ ذَلِكَ أَنْطَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَكَانَ رَضِيعًا ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] اعْتِرَافٌ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا أَوَّلُ مَا نَطَقَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] إِقْرَارٌ مِنْهُ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقَوْلُهُ ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا**﴾ [سُورَةَ مَرْيَم] أَيْ جَعَلَنِي نَفَّاعًا مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهْتُ.

دَعَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ الإِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوهُ وَحَسَدُوهُ وَقَالُوا عَنْهُ سَاحِرٌ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ فَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ جَاءَ بِدِينِ الْحَقِّ وَالْهُدَى دِينِ الإِسْلامِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ كُلُّ الأَنْبِيَاءِ مِنْ ءَادَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَالأَرْغِفَةُ الثَّلاثَةُ

رُوِىَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ صَحِبَهُ رَجُلٌ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكُونُ مَعَكَ فَانْطَلَقَا فَانْتَهَيَا إِلَى شَطِّ نَهْرٍ فَجَلَسَا يَتَغَدَّيَانِ وَمَعَهُمَا ثَلاثَةُ أَرْغِفَةٍ فَأَكَلا رَغِيفَيْنِ وَبَقِىَ رَغِيفٌ فَقَامَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى النَّهْرِ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدِ الرَّغِيفَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ مَنْ أَخَذَ الرَّغِيفَ قَالَ لا أَدْرِى فَانْطَلَقَ وَمَعَهُ الرَّجُلُ فَرَأَى ظَبْيَةً أَىْ غَزَالَةً وَمَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا فَدَعَا وَاحِدًا فَأَتَاهُ فَذَبَحَهُ وَاشْتَوَى مِنْهُ فَأَكَلَ هُوَ وَذَلِكَ الرَّجُلُ ثُمَّ خَاطَبَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الظَّبْىَ بَعْدَ أَنْ ذَبَحَهُ وَأَكَلا مِنْهُ وَقَالَ لَهُ قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَامَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَرَاكَ هَذِهِ الآيَةَ مَنْ أَخَذَ الرَّغِيفَ قَالَ لا أَدْرِى فَانْطَلَقَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى مَفَازَةٍ أَىْ فَلاةٍ فَجَمَعَ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُرَابًا وَكَثِيبًا أَىْ رَمْلًا ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ذَهَبًا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَارَ ذَهَبًا فَقَسَّمَهُ ثَلاثَةَ أَقْسَامٍ فَقَالَ ثُلُثٌ لِى وَثُلُثٌ لَكَ وَثُلُثٌ لِلَّذِى أَخَذَ الرَّغِيفَ فَقَالَ أَنَا الَّذِى أَخَذْتُ الرَّغِيفَ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كُلُّهُ لَكَ وَفَارَقَهُ.

فَانْتَهَى لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِى أَخَذَ الذَّهَبَ رَجُلانِ أَرَادَا أَنْ يَأْخُذَا مِنْهُ الذَّهَبَ وَيَقْتُلاهُ فَقَالَ لَهُمَا هُوَ بَيْنَنَا أَثْلاثًا فَقَبِلا ذَلِكَ فَقَالَ يَذْهَبُ وَاحِدٌ إِلَى الْقَرْيَةِ حَتَّى يَشْتَرِىَ لَنَا طَعَامًا فَذَهَبَ وَاحِدٌ وَاشْتَرَى طَعَامًا وَقَالَ فِى نَفْسِهِ «لِأَىِّ شَىْءٍ أُقَاسِمُهُمَا فِى هَذَا الْمَالِ، أَنَا أَجْعَلُ فِى هَذَا الطَّعَامِ سُمًّا فَأَقْتُلُهُمَا وَءَاخُذُ هَذَا الْمَالَ جَمِيعَهُ فَجَعَلَ فِى الطَّعَامِ سُمًّا وَقَالا هُمَا فِيمَا بَيْنَهُمَا لِأَىِّ شَىْءٍ نَجْعَلُ لَهُ الثُّلُثَ إِذَا رَجَعَ إِلَيْنَا قَتَلْنَاهُ وَاقْتَسَمْنَا الْمَالَ نِصْفَيْنِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِمَا قَتَلاهُ ثُمَّ أَكَلا الطَّعَامَ الْمَسْمُومَ فَمَاتَا فَبَقِىَ ذَلِكَ الْمَالُ بَقِىَ الذَّهَبُ فِى الْمَفَازَةِ وَأُولَئِكَ الثَّلاثَةُ قَتْلَى عِنْدَهُ فَمَرَّ عَلَيْهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذِهِ الدُّنْيَا فَاحْذَرُوهَا.

مَائِدَةُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾.

كَانَ لِكُلِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ بِدِينِ الإِسْلامِ دِينِ الْحَقِّ مُعْجِزَاتٌ عَدِيدَةٌ تَأْيِيدًا لَهُمْ وَتَصْدِيقًا لِنُبُوَّتِهِمْ.

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا مُعْجِزَاتٍ عَظِيمَةً كَثِيرَةً مِنْهَا مُعْجِزَةُ نُزُولِ الْمَائِدَةِ.

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى قَدْ أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ وَهُمْ خِيرَةُ مَنْ ءَامَنُوا بِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بِصِيَامِ ثَلاثِينَ يَوْمًا فَلَمَّا أَتَمُّوهَا كَانُوا مَعَهُ فِي صَحْرَاءَ وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى إِذَا خَرَجَ تَبِعَهُ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ أَصْحَابُهُ وَبَعْضُهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الدُّعَاءَ لَهُمْ لِمَرَضٍ بِهِمْ أَوْ عِلَّةٍ إِذْ كَانُوا أَصْحَابَ عَاهَاتٍ وَإِعَاقَاتٍ وَالْبَعْضُ الآخَرُ يَتْبَعُونَهُ لِلِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّشْوِيشِ.

سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِنْزَالَ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ صِيَامَهُمْ وَتَكُونَ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ وَطَلَبُوا أَنْ تَكُونَ كَافِيَةً لِأَوَّلِهِمْ وَءَاخِرِهِمْ وَلِغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ وَلَكِنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى وَعَظَهُمْ فِي ذَلِكَ وَخَافَ أَلَّا يَقُومُوا بِشُكْرِ اللَّهِ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهَا وَهُمْ قَدْ رَأَوِا الْكَثِيرَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ فَلِمَاذَا يَطْلُبُونَ الْمَزِيدَ.

وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الأَكْلَ مِنْهَا لِلتَّبَرُّكِ. وَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ قَامَ إِلَى حَيْثُ كَانَ يُصَلِّي وَلَبِسَ ثِيَابًا مِنْ شَعَرٍ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ وَبَكَى خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَخَذَ يَتَضَرَّعُ وَيَدْعُو بِأَنْ يُجَابُوا إِلَى مَا طَلَبُوا فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ وَنَزَلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ غَمَامَةٌ فَوْقَهَا وَأُخْرَى تَحْتَهَا وَحَوْلَهَا الْمَلائِكَةُ وَصَارَتْ تَدْنُو شَيْئًا فَشَيْئًا وَكُلَّمَا اقْتَرَبَتْ مِنْهُمْ سَأَلَ عِيسَى الْمَسِيحُ رَبَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا رَحْمَةً لا نِقْمَةً وَأَنْ يَجْعَلَهَا سَلامًا وَبَرَكَةً فَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَىْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَهِيَ مُغَطَّاةٌ بِمِنْدِيلٍ فَقَامَ يَكْشِفُ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ «**بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ**» وَإِذَا عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَامِ سَبْعُ أَسْمَاكٍ كَبِيرَةٍ وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ وَخَلٌّ وَمِلْحٌ وَرُمَّانٌ وَعَسَلٌ وَثِمَارٌ وَهُمْ يَجِدُونَ لَهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً جِدًّا لَمْ يَكُونُوا يَجِدُونَ مِثْلَهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

بَلَغَ الْخَبَرُ الْيَهُودَ فَجَاءُوا غَمًّا وَكَمَدًا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَرَأَوْا عَجَبًا ثُمَّ أَمَرَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الْحَوَارِيِّينَ بِالأَكْلِ مِنْهَا فَقَالُوا لَهُ لا نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ فَقَالَ عِيسَى إِنَّمَا يَأْكُلُ مِنْهَا مَنْ طَلَبَهَا وَسَأَلَهَا فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَبْدَأُوا بِالأَكْلِ مِنْهَا أَمَرَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمَرْضَى وَأَصْحَابَ الْعَاهَاتِ وَالْمُقْعَدِينَ وَالْعُمْيَانَ وَكَانُوا قَرِيبًا مِنَ الأَلْفِ وَثَلاثِمَائَةٍ أَنْ يَأْكُلُوا فَأَطَاعُوا فَأَكَلُوا مِنْهَا وَحَصَلَتْ بَرَكَاتُ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْعَظِيمَةِ إِذْ شُفِيَ كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ أَوْ ءَافَةٌ أَوْ مَرَضٌ مُزْمِنٌ وَصَارَ الْفُقَرَاءُ أَغْنِيَاءَ فَنَدِمَ النَّاسُ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهَا لِمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلاحِ حَالِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَكَلُوا وَلَمَّا تَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى الْمَائِدَةِ جَعَلَ سَيِّدُنَا عِيسَى دَوْرًا لِكُلٍّ مِنْهُمْ وَكَانَ يَأْكُلُ ءَاخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَةُ ءَالافِ شَخْصٍ.

وَلَمَّا تَمَّ أَرْبَعُونَ يَوْمًا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَا عِيسَى اجْعَلْ مَائِدَتِي هَذِهِ لِلْفُقَرَاءِ دُونَ الأَغْنِيَاءِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَنْ لا يَخُونُوا فَيَأْكُلُ مِنْهَا غَنِيٌّ وَأَنْ لا يَدَّخِرُوا وَلا يَرْفَعُوا مِنْ طَعَامِهَا وَيُخَبِّئُوهُ لِغَدٍ فَخَانَ مَنْ خَانَ وَادَّخَرَ مَنِ ادَّخَرَ فَرُفِعَتِ الْمَائِدَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَتَكَلَّمَ مُنَافِقُوهُمْ فِي ذَلِكَ وَشَكَّكُوا النَّاسَ بِعِيسَى عَلَيْهِ

السَّلامُ فَقَالَ اللَّهُ «**يَا عِيسَى إِنِّي ءَاخِذٌ بِشَرْطِي**» أَيْ سَأُعَذِّبُ مَنْ كَفَرَ فَلَمَّا قَامَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ نَوْمِهِمْ فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَكَانُوا ثَلاثَةً وَثَلاثِينَ شَخْصًا تَحَوَّلُوا إِلَى خَنَازِيرَ بَشِعَةٍ وَصَارُوا يَأْكُلُونَ الأَوْسَاخَ مِنْ حُفَرِ الأَقْذَارِ بَعْدَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَيَنَامُونَ عَلَى الْفِرَاشِ اللَّيِّنِ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَبْكُونَ وَجَاءَ هَؤُلاءِ الْخَنَازِيرُ فَطَأْطَئُوا رُءُوسَهُمْ وَصَارُوا يَبْكُونَ وَتَجْرِي دُمُوعُهُمْ فَعَرَفَهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى وَصَارَ يَقُولُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ «**أَلَسْتَ فُلانًا**» فَيُومِئُ بِرَأْسِهِ وَلا يَسْتَطِيعُ الْكَلامَ وَبَقوا كَذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ دَعَا سَيِّدُنَا عِيسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ فَأَصْبَحُوا لا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبُوا هَلِ الأَرْضُ ابْتَلَعَتْهُمْ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَتَحَدَّثَ النَّاسُ عَنْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْعَظِيمَةِ فَآمَنَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَازْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ يَقِينًا وَثَبَاتًا فِي إِيمَانِهِمْ.

مُعْجِزَاتُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الْمُتَوَالِيَاتُ

لَمَّا بَلَغَ سَيِّدُنَا عِيسَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلامُ الثَّلاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَخَرَجَ يَجُوبُ الْبِلادَ وَيَجُولُ فِي الْقُرَى يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ قَائِلًا لِلنَّاسِ «**اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَءَامِنُوا بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**» فَآمَنَ بِهِ أَوَّلَ مَنْ ءَامَنَ اثْنَا عَشَرَ شَخْصًا يُسَمَّوْنَ الْحَوَارِيِّينَ.

يُرْوَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَوَّلِ مُعْجِزَاتِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ وَالِدَتَهُ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلامُ دَفَعَتْهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ لِلْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ شَتَّى وَءَاخِرُ مَنْ دَفَعَتْهُ إِلَيْهِمْ كَانُوا جَمَاعَةَ صَابِغِي الثِّيَابِ يُبَيِّضُونَهَا وَيُلَوِّنُونَهَا فَأَرَادَ صَاحِبُ الْعَمَلِ السَّفَرَ فَقَالَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدِي ثِيَابٌ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةُ الأَلْوَانِ وَقَدْ عَلَّمْتُكَ الصِّبْغَةَ فَاصْبِغْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِاللَّوْنِ الَّذِي حَدَّدْتُهُ لَكَ وَوَضَعْتُ خَيْطًا مِنَ اللَّوْنِ الْمَطْلُوبِ عَلَيْهَا فَسَخَّنَ سَيِّدُنَا عِيسَى وِعَاءً وَاحِدًا كَبِيرًا وَوَضَعَ فِيهِ أَلْوَانًا عَدِيدَةً ثُمَّ وَضَعَ الثِّيَابَ كُلَّهَا فِي هَذَا الْوِعَاءِ وَقَالَ كُونِي بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى مَا أُرِيدُهُ مِنْكِ فَعَادَ صَاحِبُ الْعَمَلِ مِنَ السَّفَرِ وَالثِّيَابُ كُلُّهَا فِي الْوِعَاءِ فَلَمَّا رَءَاهَا دُهِشَ وَقَالَ لَقَدْ أَفْسَدْتَهَا فَأَخْرَجَ سَيِّدُنَا عِيسَى ثَوْبًا أَحْمَرَ وَثَوْبًا أَصْفَرَ وَءَاخَرَ أَخْضَرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ عَلَى كُلِّ ثَوْبٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْهِ صِبْغَتُهُ فَعَجِبَ صَاحِبُ الْعَمَلِ وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ فَآمَنَ بِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ فَآمَنُوا بِهِ وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ جُمْلَةِ الْحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَشُدُّونَ أَزْرَ سَيِّدِنَا عِيسَى فِي دَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى. وَتَوَالَتِ الْمُعْجِزَاتُ فَمَرَّ يَوْمًا بِجَمَاعَةٍ يَصْطَادُونَ السَّمَكَ وَرَئِيسُهُمْ يُدْعَى شَمْعُونَ فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى «**مَا تَصْنَعُونَ**» قَالُوا نَصِيدُ السَّمَكَ قَالَ «**أَفَلا تَمْشُونَ حَتَّى نَصِيدَ النَّاسَ**» أَيْ لِنَهْدِيَهُمْ إِلَى الإِسْلامِ قَالُوا وَمَنْ أَنْتَ فَأَجَابَ «**أَنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ**

وَرَسُولُهُ» فَسَأَلُوهُ دَلِيلًا يَدُلُّهُمْ عَلَى صِدْقِهِ فِي مَا قَالَ وَكَانَ شَمْعُونُ قَدْ رَمَى بِشَبَكَتِهِ فِي الْمَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَمَا اصْطَادَ شَيْئًا فَأَمَرَهُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِإِلْقَاءِ شَبَكَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى مُتَضَرِّعًا إِلَيْهِ فَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي تِلْكَ الشَّبَكَةِ مِنَ السَّمَكِ مَا كَادَتْ تَتَمَزَّقُ مِنْ كَثْرَتِهِ فَاسْتَعَانُوا بِأَهْلِ سَفِينَةٍ أُخْرَى وَمَلَئُوا السَّفِينَتَيْنِ مِنَ السَّمَكِ فَعِنْدَ ذَلِكَ ءَامَنُوا بِهِ وَانْطَلَقُوا مَعَهُ فَصَارُوا مِنْ جُمْلَةِ الْحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَصْطَادُونَ السَّمَكَ فَلَمَّا ءَامَنُوا بِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ صَارُوا يَصْطَادُونَ النَّاسَ لِيَهْدُوهُمْ إِلَى دِينِ الإِسْلامِ وَسُمُّوا بِالْحَوَارِيِّينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ وَقِيلَ بَلْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَنْصَارَ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَعْوَانَهُ الْمُخْلِصِينَ فِي مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ.

لَمْ يَكُنِ الْيَهُودُ بَعِيدِينَ عَنْ أَخْبَارِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَظْهَرُ عَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ وَشَعَرُوا وَكَأَنَّ الْبِسَاطَ يُسْحَبُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَنَّهُ يُهَدِّدُ كَرَاسِيَهُمْ وَمَنَاصِبَهُمْ فَكَمْ غَرُّوا أُنَاسًا وَأَضَلُّوهُمْ وَحَادُوا بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ لِمَآرِبِهِمُ الدَّنِيئَةِ الْخَبِيثَةِ وَهَا هُوَ سَيِّدُنَا عِيسَى الثَّابِتُ الْقَوِيُّ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ يَفْضَحُ أَسْرَارَهُمْ وَيَنْشُرُ بَيْنَ النَّاسِ مَخَازِيَهُمْ فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ عَلَى مُحَارَبَتِهِ أَيْنَمَا حَلَّ وَتَكْذِيبِهِ حَيْثُمَا ذَهَبَ.

وَيَوْمًا قَالُوا لَهُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ وَدَعْوَتِكَ فَصَوِّرْ لَنَا خُفَّاشًا مِنَ الطِّينِ وَاجْعَلْهُ يَطِيرُ فَقَامَ سَيِّدُنَا عِيسَى مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَخَذَ طِينًا وَجَعَلَ مِنْهُ خُفَّاشًا ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ فَقَامَ يَطِيرُ بِإِذْنِ اللَّهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَسَطَ دَهْشَةِ النَّاظِرِينَ وَلَكِنَّهُ مَا إِنْ غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ حَتَّى سَقَطَ مَيِّتًا فَاغْتَاظَ الْيَهُودُ إِذْ طَلَبُوا الْخُفَّاشَ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ وَأَغْرَبِ الْخَلْقِ وَمِنْ أَكْمَلِ الطُّيُورِ خَلْقًا لِأَنَّ لِأُنْثَاهُ ثَدِيَّيْنِ وَأَسْنَانًا وَأُذُنَيْنِ وَمِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ يَطِيرُ بِغَيْرِ رِيشٍ وَيَلِدُ كَمَا يَلِدُ الْحَيَوَانُ وَلا يَبِيضُ كَمَا تَبِيضُ سَائِرُ الطُّيُورِ فَيَكُونُ لَهُ الضَّرْعُ يَخْرُجُ مِنْهُ اللَّبَنُ وَلا يُبْصِرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ وَلا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَإِنَّمَا يَرَى فِي سَاعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ سَاعَةً وَبَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ سَاعَةً وَيَضْحَكُ كَمَا يَضْحَكُ الإِنْسَانُ وَتَحِيضُ أُنْثَاهُ كَمَا تَحِيضُ الْمَرْأَةُ وَكَانَ تَسْوِيَةُ الطِّينِ وَالنَّفْخُ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى وَالْخَلْقُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكَانَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ كَانَ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْبَرَصُ مَرَضٌ يُصِيبُ الْجِلْدَ وَيَكُونُ عَلَى شَكْلِ بَيَاضٍ يُغَطِّي مِسَاحَاتٍ مِنَ الْجِسْمِ فَيَنْفِرُ النَّاسُ مِنْ صَاحِبِهِ وَخُصَّ هَذَانِ الْمَرَضَانِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا دَاءَانِ مُعْضِلانِ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى زَمَنِ سَيِّدِنَا عِيسَى الطِّبَّ فَأَرَاهُمُ اللَّهُ الْمُعْجِزَةَ عَلَى يَدَيْ سَيِّدِنَا عِيسَى مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ أَحْيَا أَرْبَعَةً مِنَ الْخَلْقِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَانَ سَيِّدُنَا حِزْقِيلُ قَبْلَ سَيِّدِنَا عِيسَى أَحْيَا ثَمَانِيَةً وَهُوَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الَّذِينَ أَحْيَاهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ وَاسْمُهُ عَازَرُ إِذْ لَمَّا مَرِضَ أَرْسَلَتْ أُخْتُهُ إِلَى

سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ عَازَرَ يَمُوتُ فَسَارَ إِلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَوَصَلَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ فَأَتَى قَبْرَهُ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَقَامَ عَازَرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَاشَ وَوُلِدَ لَهُ وَمِنَ الَّذِينَ أُحْيُوا بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى يَدَىْ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ ابْنُ الْعَجُوزِ فَإِنَّهُ مُرَّ بِهِ مَحْمُولًا عَلَى سَرِيرِهِ فَدَعَا لَهُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَقُومَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَقَامَ وَنَزَلَ عَنْ أَكْتَافِ الرِّجَالِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ حَمَلَ سَرِيرَهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

وَكَذَلِكَ فَعَلَ مَعَ أَحَدِ الْمُلُوكِ إِذْ كَانَ مَحْمُولًا وَجَرَى مَعَهُ مَا جَرَى مَعَ ابْنِ الْعَجُوزِ لَكِنَّ الْيَهُودَ الْحَسَدَةَ لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا تَعَنُّتًا «إِنَّكَ تُحْيِي مَنْ كَانَ مَوْتُهُ قَرِيبًا فَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَمُوتُوا بَلْ أُصِيبُوا بِإِغْمَاءٍ أَوْ سَكْتَةٍ فَأَحْيِ لَنَا سَامَ بنَ نُوحٍ» وَكَانَ لِسَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَرْبَعَةُ أَبْنَاء ثَلاثَةٌ أَسْلَمُوا وَنَجَوْا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ أَمَّا الِابْنُ الرَّابِعُ كَنْعَانُ فَقَدْ أَبَى أَنْ يُؤْمِنَ وَلَمْ يَصْعَدِ السَّفِينَةَ مَعَ وَالِدِهِ وَإِخْوَتِهِ فَمَاتَ غَرَقًا.

فَقَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» فَخَرَجَ سَيِّدُنَا عِيسَى وَخَرَجَ الْقَوْمُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَبْرِهِ فَدَعَا اللَّهَ فَخَرَجَ سَامٌ وَقَدْ كَانَ مِنْ وَقْتِ مَوْتِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةِ ءَالافِ سَنَةٍ فَالْتَفَتَ سَامٌ وَقَالَ لِلنَّاسِ مُشِيرًا إِلَى سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ «**صَدِّقُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ**» ثُمَّ عَادَ إِلَى حَالِهِ فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَكَذَّبَهُ الْبَعْضُ الآخَرُ وَقَالُوا هَذَا سِحْرٌ. وَرُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِي إِحْيَائِهِ لِلْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ كَانَ يَضْرِبُ بِعَصَاهُ الْمَيِّتَ أَوِ الْقَبْرَ أَوِ الْجُمْجُمَةَ فَيَحْيَا الإِنْسَانُ وَيُكَلِّمُهُ وَيَعِيشُ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُنْبِئُ قَوْمَهُ بِمَا يَأْكُلُونَهُ وَيَدَّخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ طَلَبُوا مِنْهُ ءَايَةً أُخْرَى وَقَالُوا أَخْبِرْنَا بِمَا نَأْكُلُ فِي بُيُوتِنَا وَمَا نَدَّخِرُ لِلْغَدِ فَأَخْبَرَهُمْ فَقَالَ «**يَا فُلانُ أَنْتَ أَكَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَأَنْتَ أَكَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَادَّخَرْتَ كَذَا وَكَذَا**».

ذِكْرُ حِكَايَةٍ طَيِّبَةٍ حَصَلَتْ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَعَ الْحَوَارِيِّينَ

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الأَقْوِيَاءِ وَمِمَّا يُرْوَى عَنْهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ الطَّيِّبَةِ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ سَائِرًا مَعَ هَؤُلاءِ الْجَمَاعَةِ الْحَوَارِيِّينَ فَأَتَوْا عَلَى جِيفَةِ كَلْبٍ أَنْتَنَتْ فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ مَعَهُ أَخَذُوا بِآنَافِهِمْ حَتَّى اجْتَازُوا الْكَلْبَ أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى لَمْ يَفْعَلْ فَقَالُوا بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزُوا هَذِهِ الْجِيفَةَ مَا أَشَدَّ نَتْنَ هَذَا الْكَلْبِ فَقَالَ عِيسَى مَا أَشَدَّ بَيَاضَ أَسْنَانِهِ فَقَالُوا لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ هَذَا فَقَالَ أُرِيدُ أَنْ لا أُعَوِّدَ لِسَانِي الذَّمَّ يَعْنِي الْكَلامَ الْقَبِيحَ الَّذِي لا خَيْرَ فِيهِ أُرِيدُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي تَجَنُّبَهُ، حِفْظُ اللِّسَانِ مَطْلُوبٌ هَذَا سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَّمَهُمْ بِهَذَا حِفْظَ اللِّسَانِ.

قِصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى وَجَمَاعَتِهِ لَمَّا مَرُّوا بِقَبْرٍ

هَذَا الْقَبْرُ وَصَفَهُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، مَرَّةً عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ وَجَمَاعَتُهُ الْمُؤْمِنُونَ أَتَوْا إِلَى قَبْرٍ فَالَّذِينَ مَعَهُ جَمَاعَتُهُ قَالُوا مَا أَضْيَقَ الْقَبْرَ هَكَذَا فَقَالَ لَهُمْ «**لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَرَوْنَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ إِنَّ لِلْقَبْرِ لَشَأْنًا**» مَعْنَاهُ الأُمُورُ الْخَفِيَّةُ لِلْقَبْرِ حَالاتٌ خَفِيَّةٌ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، هَذَا الْقَبْرُ الَّذِى تَرَوْنَهُ مَسَافَةً قَصِيرَةً ضَيِّقَةً اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُهُ وَاسِعًا عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَتَنَعَّمُونَ فِيهِ.

قِصَّةُ جُرَيْجٍ الَّذِى كَانَ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ

كَانَ ذَاكَ الَّذِى يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا عِيسَى مِنَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَى شَرِيعَتِهِ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ صَلاةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَيَصُومُونَ صِيَامَهُ عَلَى حَسَبِ تَعَالِيمِ الْمَسِيحِ عِيسَى فَهَذَا جُرَيْجٌ كَانَ مِنْهُمْ كَانَ اعْتَزَلَ النَّاسَ كَانَ تَجَرَّدَ لِلْعِبَادَةِ كَانَتْ لَهُ أُمٌّ تَأْتِيهِ مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ إِلَى الصَّوْمَعَةِ الَّتِى هُوَ اعْتَزَلَ فِيهَا لِعِبَادَةِ اللَّهِ كَانَ هُوَ وَلِيًّا حَقِيقِيًّا اتَّبَعَ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلامُ اتِّبَاعًا كَامِلًا أَدَّى الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ مَا هُوَ الْوَاجِبُ فِى شَرِيعَةِ عِيسَى وَمَا هُوَ الْحَرَامُ فِى شَرِيعَةِ عِيسَى وَتَمَسَّكَ بِالنَّوَافِلِ زَادَ عَلَى الْفَرَائِضِ تَجَرَّدَ لِلْعِبَادَةِ اعْتَزَلَ النَّاسَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ فِى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ بَنَى صَوْمَعَةً مِنْ طِينٍ لَيْسَ بِنَاءَ فَخْفَخَةٍ لِأَنَّ هَمَّهُ الآخِرَةُ التَّجَرُّدُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ ثُمَّ النَّاسُ أَهْلُ الْبَلَدِ صَارُوا يَعْتَقِدُونَ فِيهِ حَتَّى مَلِكُ تِلْكَ الْبِلادِ صَارَ يَعْتَقِدُ فِيهِ عِنْدَهُ جُرَيْجٌ صَارَ إِنْسَانًا مُعْتَقَدًا فِيهِ تَقِيًّا عَابِدًا مِنَ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ ثُمَّ امْرَأَةٌ فَاسِدَةٌ قَالَتْ لِبَعْضِ الْفَاسِدِينَ الْفَاسِقِينَ أَنَا أَفْتِنُهُ فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَتَعَرَّضَتْ لَهُ، صَوْمَعَتُهُ فِى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ وَهِىَ وَقَفَتْ بِحَيْثُ يَرَاهَا مُقَابِلَ بَابِهِ صَارَتْ تَتَعَرَّضُ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا مَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَفْتِنَهُ ثُمَّ هُنَاكَ كَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ رَجُلٌ رَاعٍ يَرْعَى فَوَاقَعَهَا هَذَا الرَّاعِى فَحَمَلَتْ مِنْهُ ثُمَّ لَمَّا ظَهَرَ حَمْلُهَا قَالَتْ هَذَا مِنْ جُرَيْجٍ، لَمَّا تَأَكَّدُوا أَنَّهَا حَامِلٌ بِأَنْ وَضَعَتْ ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَبِأَيْدِيهِمُ الْفُؤُوسُ لِيَهْدِمُوا لَهُ صَوْمَعَتَهُ قَالُوا هَذَا الَّذِى كُنَّا نَحْنُ نَعْتَقِدُ فِيهِ أَنَّهُ وَلِيٌّ يَفْجُرُ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ وَيُخْبِلُهَا أَخَذُوهُ وَوَضَعُوا فِى عُنُقِهِ حَبْلًا وَجَرُّوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ بِالْفُؤُوسِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمْهِلُونِى حَتَّى أُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ تَوَضَّأَ، أُمَّةُ عِيسَى كَانَ لَهُمْ وُضُوءٌ وَصَلاةٌ فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ كَمَا نَحْنُ، تَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْغُلامِ الْمَوْلُودِ الَّذِى وَضَعَتْهُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْبَغِيُّ يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ أَىْ مَنْ أَبُوكَ صُورَةً فَقَالَ أَبِى الرَّاعِى، اللَّهُ أَنْطَقَهُ فَلَمَّا سَمِعُوا هَذِهِ التَّبْرِئَةَ انْكَبُّوا عَلَيْهِ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا لَهُ نَبْنِى لَكَ

صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لا أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ طِينٍ، هَذَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَيِ الْبُسْتَانِ

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْقَلَمِ شَيْئًا مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَيِ الْبُسْتَانِ الَّذِينَ لَمْ يُؤَدُّوا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَحَرَمَهُمْ مِنْهُ عِقَابًا عَلَى نِيَّتِهِمُ الْخَبِيثَةِ فَمَا تَفَاصِيلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ.

كَانَتِ الْيَمَنُ مَشْهُورَةً بِكَثْرَةِ بَسَاتِينِهَا وَأَرَاضِيهَا الْخِصْبَةِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ أَهَمِّ مُدُنِهَا صَنْعَاءَ فِي نَاحِيَةٍ اسْمُهَا ضَوْرَانُ عَاشَ رَجُلٌ صَالِحٌ مَعَ أَوْلادِهِ عِيشَةً طَيِّبَةً حَيْثُ كَانَ لَهُ أَرْضٌ عَظِيمَةُ الِاتِّسَاعِ مُنَوَّعَةُ الزُّرُوعِ كَثِيرَةُ الأَشْجَارِ وَافِرَةُ الأَثْمَارِ فَهُنَا نَخِيلٌ وَهُنَاكَ أَعْنَابٌ وَهُنَالِكَ بُقُولٌ فَغَدَتْ مُتْعَةً لِلنَّاظِرِينَ وَنُزْهَةً لِلْقَاصِدِينَ يَأْتُونَهَا لِلرَّاحَةِ وَالتَّمَتُّعِ بِمَنْظَرِهَا الْجَمِيلِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مُسْلِمًا مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ وَكَانَ كُلَّمَا حَانَ وَقْتُ حَصَادِ الزُّرُوعِ دَعَا الْبُسْتَانِيَّ وَأَعْوَانَهُ فَيَقْطَعُونَ بِالْمَنَاجِلِ مَا يَقْطَعُونَهُ وَيَقْطِفُونَ الثِّمَارَ ثُمَّ يَبْعَثُ بِطَلَبِ جَمَاعَاتِ الْفُقَرَاءِ عَلَى مَا عَوَّدَهُمْ عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ فَلا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الدُّخُولِ بَلْ يُعْطِيهِمْ نَصِيبًا وَافِرًا هَذَا يَمْلَأُ أَوْعِيَتَهُ الَّتِي أَتَى بِهَا وَذَاكَ يَحْمِلُ فِي ثِيَابِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَخْطَأَهُ الْمِنْجَلُ فَلَمْ يَقْطَعْهُ فَكَانَ لَهُمْ وَكَذَلِكَ مَا سَقَطَ مِنَ الْقَمْحِ بَعْدَ أَنْ يُجْمَعَ فَوْقَ الْبِسَاطِ وَمَا تَرَكَهُ الْحَاصِدُ وَمَا تَنَاثَرَ بَيْنَ أَشْجَارِ النَّخِيلِ بَعْدَ فَرْطِ ثِمَارِهَا رِزْقًا حَلالًا طَيِّبًا وَجَرَى عَلَى هَذَا كُلَّ عَامٍ.

لَمْ يَتَحَمَّلْ بَعْضُ أَبْنَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ رُؤْيَةَ جُزْءٍ مِنْ مَالِ أَبِيهِمْ مُوَزَّعًا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَبُسْتَانِهِ مَفْتُوحًا لِلْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَنَّهُمْ مِثْلُهُمْ سَوَاءٌ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِوَالِدِهِ إِنَّكَ بِعَطَائِكَ لِلْفُقَرَاءِ تَمْنَعُنَا حَقَّنَا وَتُضَيِّقُ عَلَيْنَا فِي رِزْقِنَا وَقَالَ الِابْنُ الآخَرُ قَدْ نَعُودُ بَعْدَكَ فُقَرَاءَ نَمُدُّ الأَيْدِيَ لِلنَّاسِ نَشْحَذُ مِنْهُمْ وَهَمَّ الثَّالِثُ بِالْكَلامِ فَأَسْكَتَهُ الْوَالِدُ وَأَدَارَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْجَمِيعِ وَقَالَ مَا أَرَاكُمْ إِلَّا خَاطِئِينَ فِي الْوَهْمِ وَالتَّقْدِيرِ هَذَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ مَكَّنَنِي فِيهِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ حُقُوقًا زَكَاةً لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَالُ بِهَذَا الأَمْرِ يَزِيدُ وَيُبَارَكُ فِيهِ وَعَلَى هَذَا تَعَوَّدْتُ مُنْذُ كُنْتُ شَابًّا وَقَدِ الْتَزَمْتُ بِهِ رَجُلًا كَهْلًا فَكَيْفَ بِي أَنْ أَتْرُكَهُ الْيَوْمَ وَأَنَا شَيْخٌ وَمَوْتِي قَرِيبٌ. وَلَمْ يَمْكُثِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ طَوِيلًا إِذْ أُصِيبَ بِمَرَضٍ وَتُوُفِّيَ تَارِكًا أَوْلادَهُ وَبُسْتَانَهُ الْوَاسِعَ.

وَمَضَتِ الأَيَّامُ سَرِيعَةً وَحَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ وَتَرَقَّبَ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ حُلُولَهُ لِيَأْتُوا وَيَأْخُذُوا نَصِيبَهُمْ كَمَا عَوَّدَهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ كُلَّ عَامٍ.

وَاجْتَمَعَ الأَبْنَاءُ الْبُخَلاءُ يُعِدُّونَ لِلْحَصَادِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ لَنْ نُعْطِيَ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنَ الْبُسْتَانِ شَيْئًا لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ وَلَنْ يَعُودَ مَأْوًى لِقَاصِدٍ أَوِ ابْنِ سَبِيلٍ فَإِنَّنَا إِذَا فَعَلْنَا هَذَا زَادَ مَالُنَا وَعَلا شَأْنُنَا.

وَقَالَ أَوْسَطُهُمْ وَكَانَ كَأَبِيهِ طَيِّبًا يُحِبُّ عَمَلَ الْخَيْرِ إِنَّكُمْ تُقْدِمُونَ عَلَى أَمْرٍ تَظُنُّونَهُ أَوْفَرَ لَكُمْ وَلَكِنَّهُ يَحْوِي الشَّرَّ وَسَيَقْضِي عَلَى بُسْتَانِكُمْ مِنْ جُذُورِهِ إِنَّكُمْ لَوْ حَرَمْتُمُ الْفُقَرَاءَ وَلَمْ تُعْطُوا الْمَسَاكِينَ وَالْمُسْتَحِقِّينَ زَكَاةَ الزَّرْعِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِقَابَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْصَاعُوا وَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا أَنْ يَقُومُوا أَوَّلَ الصُّبْحِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ النَّاسُ فَيَأْتُوا إِلَى بُسْتَانِهِمْ وَيَقْطِفُوا ثِمَارَهُ وَيَحْصُدُوا زَرْعَهُ وَيَقْتَسِمُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلا يَبْقَى شَيْءٌ لِلْفُقَرَاءِ.

وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِمًا بِمَا يَكِيدُونَهُ وَمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْلًا بِبَلاءٍ شَدِيدٍ فَاقْتُلِعَتْ نَبَاتَاتُهُمْ وَاحْتَرَقَتْ شَجَرَاتُهُمْ وَجَفَّتْ أَوْرَاقُهُمْ وَأَنْهَارُهُمْ وَأَصْبَحَ بُسْتَانُهُمْ أَسْوَدَ كَاللَّيْلِ.

وَطَلَعَ عَلَيْهِمُ النَّهَارُ وَهُمْ عَلَى مَشَارِفِ بُسْتَانِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ أَهَذَا بُسْتَانُنَا وَقَدْ تَرَكْنَاهُ بِالأَمْسِ مُورِقًا بِأَشْجَارِهِ وَافِرًا بِثِمَارِهِ مَا نَظُنُّ هَذَا بُسْتَانَنَا وَإِنَّنَا ضَالُّونَ عَنْهُ.

قَالَ أَوْسَطُهُمْ بَلْ هِيَ جَنَّتُكُمْ حُرِمْتُمْ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يُحْرَمَ الْفَقِيرُ مِنْهَا وَجُوزِيتُمْ عَلَى بُخْلِكُمْ وَشُحِّكُمْ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يَلُومُ الْبَعْضَ الآخَرَ فَالأَوَّلُ يَقُولُ أَنْتَ أَشَرْتَ عَلَيْنَا بِمَنْعِ الْمَسَاكِينِ وَيَقُولُ الآخَرُ بَلْ أَنْتَ زَيَّنْتَ لَنَا حِرْمَانَهُمْ فَيُجِيبُهُ أَحَدُهُمْ أَنْتَ خَوَّفْتَنَا الْفَقْرَ وَيَقُولُ ءَاخِرُهُمْ بَلْ أَنْتَ الَّذِي رَغَّبْتَنَا بِجَمْعِ الْمَالِ ثُمَّ قَالُوا يَا رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ أَيْ عَصَيْنَا رَبَّنَا بِمَنْعِ الزَّكَاةِ. وَأَدْرَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عِنْدَمَا أَظْهَرُوا اسْتِعْدَادَهُمْ لِلتَّوْبَةِ وَقَالُوا إِنْ أَبْدَلَنَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا سَنَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ وَالِدُنَا فَدَعَوُا اللَّهَ وَتَضَرَّعُوا وَتَابُوا إِلَيْهِ فَأَبْدَلَهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَمَرَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَقْتَلِعَ بُسْتَانَهُمُ الْمَحْرُوقَ وَيَجْعَلَهُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ وَأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بُسْتَانًا عَامِرًا وَيَجْعَلَهُ مَكَانَ الأَوَّلِ فَكَانَتِ الْبَرَكَةُ فِيهِ ظَاهِرَةً إِذْ كَانَ عُنْقُودُ الْعِنَبِ فِيهِ ضَخْمًا جِدًّا وَعَادُوا إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ وَالِدُهُمْ لا يَمْنَعُونَ فَقِيرًا وَلا مِسْكِينًا يُطَهِّرُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

أَصْحَابُ الْكَهْفِ

ذُكِرَتْ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ وَفِيهَا عِبَرٌ وَءَايَاتٌ وَبَرَاهِينُ تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ فِي تَدْبِيرِ مَخْلُوقَاتِهِ. وَتَفَاصِيلُ الْقِصَّةِ كَمَا رُوِيَتْ أَنَّ مَلِكًا اسْمُهُ دُقْيَانُوس أَمَرَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ أُفْسُوس فِي نَوَاحِي تُرْكِيَا حَالِيًّا بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ زَارَ الْمَدِينَةَ أَحَدُ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُمُ الْمُسَمَّوْنَ بِالْحَوَارِيِّينَ وَكَانَ مُسْلِمًا دَاعِيًا إِلَى دِينِ الإِسْلامِ فَعَمِلَ فِي حَمَّامٍ يَغْتَسِلُ فِيهِ النَّاسُ وَلَمَّا رَأَى صَاحِبُ الْحَمَّامِ بَرَكَةً عَظِيمَةً مِنْ هَذَا الْعَامِلِ سَلَّمَهُ شُؤُونَ الْعَمَلِ كُلَّهَا. وَتَعَرَّفَ ذَلِكَ الْحَوَارِيُّ إِلَى فِتْيَانٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَعَلَّمَهُمُ التَّوْحِيدَ وَتَنْزِيهَ اللهِ تَعَالَى عَنِ الْوَلَدِ وَالشَّكْلِ وَالتَّحَيُّزِ فِي الْمَكَانِ وَأَنَّهُ لا يُشْبِهُ شَيْئًا وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمُوا وَءَامَنُوا بِاللهِ وَطَبَّقُوا مَا عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ التَّعَالِيمِ وَالأَحْكَامِ.

اشْتَهَرَ أَمْرُ هَؤُلاءِ الْفِتْيَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ الْتَزَمُوا الإِسْلامَ وَعِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ فَرُفِعَ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ دُقْيَانُوس وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا دِينَكَ وَاسْتَخَفُّوا بِمَا تَعْبُدُ مِنْ أَصْنَامٍ وَكَفَرُوا بِهَا فَأَتَى بِهِمُ الْمَلِكُ إِلَى مَجْلِسِهِ وَأَمَرَهُمْ بِتَرْكِ الإِسْلامِ وَهَدَّدَهُمْ بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ثُمَّ زَعَمَ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا فِتْيَانًا صِغَارًا لا عُقُولَ لَهُمْ وَقَالَ إِنَّهُ لَنْ يَقْتُلَهُمْ فَوْرًا بَلْ سَيُعْطِيهِمْ مُهْلَةً لِلتَّفْكِيرِ قَبْلَ تَنْفِيذِ تَهْدِيدِهِ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دُقْيَانُوس سَافَرَ خِلالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ فَاغْتَنَمَ الْفِتْيَةُ الْفُرْصَةَ وَتَشَاوَرُوا فِي الْهُرُوبِ بِدِينِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ إِنِّي أَعْرِفُ كَهْفًا فِي ذَاكَ الْجَبَلِ كَانَ أَبِي يُدْخِلُ فِيهِ غَنَمًا فَلْنَذْهَبْ وَلْنَخْتَفِ فِيهِ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لَنَا وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَخَرَجُوا يَلْعَبُونَ بِالْكُرَةِ وَهُمْ يُدَحْرِجُونَهَا أَمَامَهُمْ لِئَلَّا يَشْعُرَ النَّاسُ بِهِمْ حَتَّى هَرَبُوا وَكَانَ عَدَدُهُمْ سَبْعَةً وَأَسْمَاؤُهُمْ مَكْسَلَمِينَ أَمْلِيخَا مَرطُونِس يَنْيُونِس سَازَمُونِس دَوَانَوَانِس وَكَشْفِيطِطْ وَتَبِعَهُمْ كَلْبٌ صَارَ يَنْبَحُ عَلَيْهِمْ فَطَرَدُوهُ فَعَادَ فَطَرَدُوهُ مِرَارًا وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهَ الْكُفَّارُ إِلَى مَكَانِهِمْ بِسَمَاعِهِمْ نِبَاحَهُ فَرَفَعَ الْكَلْبُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ كَالدَّاعِي وَأَنْطَقَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ يَا قَوْمُ لِمَ تَطْرُدُونَنِي لِمَ تَرْجُمُونَنِي لِمَ تَضْرِبُونَنِي لا تَخَافُوا مِنِّي فَوَاللهِ إِنَّنِي لا أَكْفُرُ بِاللهِ وَكَانَ اسْمُ الْكَلْبِ قِطْمِير فَاسْتَيْقَنَ الْفِتْيَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَمْنَعُ الأَذَى عَنْهُمْ وَاشْتَغَلُوا بِالدُّعَاءِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

وَمَا زَالُوا فِي سَيْرِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْكَهْفِ وَهُنَاكَ وَجَدُوا ثِمَارًا فَأَكَلُوهَا وَمَاءً فَشَرِبُوهُ ثُمَّ اسْتَلْقَوْا قَلِيلًا لِتَرْتَاحَ أَقْدَامُهُمْ وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى أَحَسُّوا بِالنُّعَاسِ يُدَاعِبُ أَجْفَانَهُمْ فَتَثَاقَلَتْ رُءُوسُهُمْ وَنَامُوا عَلَى الأَرْضِ نَوْمًا عَمِيقًا مِنْ دُونِ أَنْ يُغْمِضُوا أَعْيُنَهُمْ.

وَتَعَاقَبَ لَيْلٌ إِثْرَ نَهَارٍ وَمَضَى عَامٌ وَرَاءَ عَامٍ وَالْفِتْيَةُ رَاقِدُونَ وَالنَّوْمُ مَضْرُوبٌ عَلَى ءَاذَانِهِمْ أَىْ مُنِعُوا مِنْ أَنْ يَسْمَعُوا شَيْئًا لِأَنَّ النَّائِمَ إِذَا سَمِعَ اسْتَيْقَظَ لا تُزْعِجُهُمْ زَمْجَرَةُ الرِّيَاحِ وَلا يُوقِظُهُمْ قَصْفُ الرَّعْدِ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فَلا تُصِيبُهُمْ بِحَرِّهَا كَرَامَةً لَهُمْ فَإِذَا طَلَعَتْ مَالَتْ عَنْ يَمِينِ كَهْفِهِمْ وَإِذَا غَرَبَتْ تَمُرُّ عَنْ شِمَالِهِ فَلا تُصِيبُهُمْ فِي ابْتِدَاءِ النَّهَارِ وَلا فِي ءَاخِرِهِ وَلا تُعْطِيهِمْ إِلَّا الْيَسِيرَ مِنْ شُعَاعِهَا وَلا تُغَيِّرُ أَلْوَانَهُمْ وَلا تُبْلِي ثِيَابَهُمْ.

وَكَانُوا لَوْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ نَاظِرٌ لَحَسِبَهُمْ مُسْتَيْقِظِينَ وَهُمْ رُقُودٌ لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مَفْتُوحَةٌ لِئَلَّا تَفْسُدَ بِطُولِ الْغَمْضِ وَلِأَنَّهَا إِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةً لِلْهَوَاءِ كَانَ أَنْسَبَ لَهَا.

وَكَانُوا كَذَلِكَ يُقَلَّبُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ وَذَلِكَ لِئَلَّا تَأْكُلَ الأَرْضُ لُحُومَهُمْ وَقِيلَ إِنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلائِكَةِ الْكِرَامِ كَانَ مُوَكَّلًا بِتَقْلِيبِهِمْ.

وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ شَخْصٌ لَهَرَبَ وَمُلِئَ رُعْبًا مِنْهُمْ لِمَا غَشِيَتْهُمْ مِنَ الْهَيْبَةِ وَحُفُّوا بِهِ مِنْ رُعْبٍ لِوَحْشَةِ مَكَانِهِمْ وَكَانَ النَّاسُ مَحْجُوبِينَ عَنْهُمْ حَمَاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ فَلا يَجْسُرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الدُّنُوِّ إِلَيْهِمْ.

وَلَمَّا مَضَتْ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ مُنْذُ نَوْمِهِمْ فِي الْكَهْفِ بَعَثَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَوْمِهِمْ وَهُمْ لا يَكَادُونَ يُمْسِكُونَ نُفُوسَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَتَسَاءَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ كَمْ لَبِثْنَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ وَقَالَ أَحَدُهُمْ نَحْنُ رَقَدْنَا فِي الصَّبَاحِ وَهَذِهِ الشَّمْسُ تُقَارِبُ الْغُرُوبَ وَقَالَ الرَّابِعُ دَعُونَا مِنْ تَسَاؤُلِكُمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ وَلَكِنْ فَلْنَبْعَثْ وَاحِدًا مِنَّا وَلْنُعْطِهِ مِنْ دَرَاهِمِنَا لِيَجْلِبَ لَنَا طَعَامًا وَلْيَكُنْ حَذِرًا ذَكِيًّا حَتَّى لا يَعْرِفَهُ أَحَدٌ فَيَلْحَقَ بِهِ وَيَصِلَ إِلَيْنَا فَيُخْبِرَ الْمَلِكَ دُقْيَانُوس وَجَمَاعَتَهُ فَيَعْلَمُوا بِمَكَانِنَا وَيُعَذِّبُونَا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ أَوْ يَفْتِنُونَا عَنْ دِينِنَا.

وَكَانَ دُقْيَانُوس مَلِكُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ قَدْ مَاتَ وَتَوَلَّى مُلْكَ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ صَالِحٌ وَفِي زَمَانِهِ اخْتَلَفَ أَهْلُ بَلَدِهِ فِي الْحَشْرِ وَبَعْثِ الأَجْسَادِ مِنَ الْقُبُورِ فَشَكَّ فِي ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ وَاسْتَبْعَدُوهُ وَقَالُوا إِنَّمَا تُحْشَرُ الأَرْوَاحُ فَقَطْ وَأَمَّا الأَجْسَادُ فَيَأْكُلُهَا التُّرَابُ وَلا تَعُودُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ تُبْعَثُ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ جَمِيعًا وَقَوْلُهُمْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ فَاغْتَمَّ الْمَلِكُ لِهَذَا وَكَادَتْ أَنْ تَحْصُلَ فِتْنَةٌ فَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُسَهِّلَ الْحُجَّةَ وَالْبَيَانَ لإِظْهَارِ الْحَقِّ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ دَخَلَ إِلَى مَدِينَةِ أُفْسُوس وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ اسْمُهُ أَمْلِيخَا لِجَلْبِ الطَّعَامِ وَكَانَ خَائِفًا حَذِرًا وَدُهِشَ مِنْ تَغَيُّرِ الْمَعَالِمِ وَشَكْلِ الأَبْنِيَةِ فَهَذِهِ النَّاحِيَةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مِسَاحَاتٌ لِرَعْيِ الْغَنَمِ فَصَارَتْ قُصُورًا عَالِيَةً وَهُنَاكَ قُصُورٌ صَارَتْ خَرَائِبَ

مُدَمَّرَةً وَتِلْكَ وُجُوهٌ لَمْ يَعْرِفْهَا وَصُوَرٌ لَمْ يَأْلَفْهَا وَتَحَيَّرَتْ نَظَرَاتُهُ وَكَثُرَتْ لَفَتَاتُهُ وَظَهَرَ الِاضْطِرَابُ فِي مِشْيَتِهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ قَائِلًا أَغَرِيبٌ أَنْتَ عَنْ هَذَا الْبَلَدِ وَعَمَّ تَبْحَثُ قَالَ لَسْتُ غَرِيبًا وَلَكِنِّي أَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ أَشْتَرِيهِ فَلا أَرَى مَكَانَ بَيْعِهِ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُهُ فَمَضَى بِهِ إِلَى بَائِعِ طَعَامٍ فَلَمَّا أَخْرَجَ دَرَاهِمَهُ وَأَعْطَاهَا لِلتَّاجِرِ اسْتَغْرَبَ مَنْظَرَهَا إِذْ كَانَ عَلَيْهَا صُورَةُ الْمَلِكِ دُقْيَانُوس الَّذِي مَاتَ مُنْذُ ثَلاثِمَائَةِ سَنَةٍ وَأَكْثَرَ فَحَسِبَ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَى كَنْزٍ وَأَنَّ مَعَهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً وَدَرَاهِمَ وَفِيرَةً فَاجْتَمَعَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ وَأَخَذُوهُ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ.

وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ فَكَانَ يَنْتَظِرُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ رُؤْيَةَ هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي سَمِعَ عَنْهُ مِنْ أَجْدَادِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ فَحَكَى لَهُ أَمْلِيخَا مَا جَرَى مَعَهُ وَمَعَ أَصْحَابِهِ فَسُرَّ الْمَلِكُ بِذَلِكَ وَقَالَ لِقَوْمِهِ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ ءَايَةً لِتُبَيِّنَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ.

وَسَارَ الْمَلِكُ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُرَافِقُهُمْ أَمْلِيخَا فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْكَهْفِ قَالَ لَهُمْ أَنَا أَدْخُلُ عَلَيْهِمْ لِئَلَّا يَفْزَعُوا فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمُ الأَمْرَ وَطَمْأَنَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ دُقْيَانُوس مَاتَ وَأَنَّ الْمَلِكَ الْحَالِيَّ مُسْلِمٌ صَالِحٌ فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَخَرَجُوا إِلَى الْمَلِكِ وَحَيَّوْهُ وَحَيَّاهُمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى كَهْفِهِمْ فَلَمَّا رَءَاهُمْ مَنْ شَكَّ فِي بَعْثِ الأَجْسَادِ تَرَاجَعَ وَاعْتَقَدَ الصَّوَابَ أَنَّ الْحَشْرَ يَكُونُ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَعًا.

وَحِينَئِذٍ أَعْمَى اللَّهُ تَعَالَى أَبْصَارَ النَّاسِ عَنْ أَثَرِ الْكَهْفِ وَحَجَبَهُ عَنْهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ ابْنُوا بُنْيَانًا لِيَكُونَ مَعْلَمًا لَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى مَكَانِهِمْ وَقَالَ ءَاخَرُونَ ابْنُوا مَسْجِدًا لِلتَّبَرُّكِ بِهِمْ.

وَهَكَذَا كَانَتْ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى تَذْكِرَةً لِلنَّاسِ وَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً وَدَلِيلًا عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَأَنَّهُ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

قِصَّةُ الِامْرَأَةِ الصَّالِحَةِ
وَهِيَ بِنْتُ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ

امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مُسْلِمَةً عَابِدَةً صَالِحَةً ابْنَةَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ تَقَدَّمَ لِخِطْبَتِهَا رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهِ ثُمَّ قَالَتْ لِجَارِيَةٍ لَهَا انْطَلِقِي وَالْتَمِسِي لِي رَجُلًا وَرِعًا زَاهِدًا نَاسِكًا فَقِيرًا فَانْطَلَقَتِ الْجَارِيَةُ فَوَجَدَتْ فَقِيرًا عَابِدًا وَرِعًا فَجَاءَتْ بِهِ إِلَى مَوْلاتِهَا فَقَالَتْ لَهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِي ذَهَبْتُ مَعَكَ إِلَى مَنْ يَعْقِدُ نِكَاحِي عَلَيْكَ فَفَعَلَ فَعَقَدُوا النِّكَاحَ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ انْطَلِقْ بِي إِلَى أَهْلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ إِلَّا هَذَا الْكِسَاءَ الَّذِي عَلَى ظَهْرِي هُوَ دِثَارِي بِاللَّيْلِ وَلِبَاسِي بِالنَّهَارِ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ رَضِيتُ بِكَ عَلَى ذَلِكَ. ابْنَةُ الْمُلُوكِ تَقُولُ لِلْفَقِيرِ الْوَرِعِ رَضِيتُ بِكَ

عَلَى ذَلِكَ وَكَانَ يَكْسِبُ بِالنَّهَارِ وَيَأْتِيهَا بِاللَّيْلِ بِمَا تُفْطِرُ عَلَيْهِ وَلَمْ تَكُنْ تُفْطِرُ بِالنَّهَارِ بَلْ تَصُومُ تَطَوُّعًا لِلَّهِ تَعَالَى وَكَانَ إِذَا أَتَاهَا بِشَيْءٍ أَفْطَرَتْ عَلَيْهِ وَحَمِدَتِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، قَالَتْ الآنَ تَفَرَّغْتُ لِلْعِبَادَةِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ يَأْتِيهَا بِهِ فَفَزِعَ مِنْ ذَلِكَ وَشَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ زَوْجَتِي جَالِسَةٌ فِي بَيْتِهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ تَنْتَظِرُ أَنْ ءَاتِيَهَا بِشَيْءٍ تُفْطِرُ عَلَيْهِ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَدَعَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَسْأَلُكَ لِدُنْيَاىَ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِرِضَا زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رِزْقًا مِنْ لَدُنْكَ فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ لُؤْلُؤَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ رَاعَهَا ذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذِهِ اللُّؤْلُؤَةِ الَّتِي لَمْ أَرَ مِثْلَهَا قَطُّ عِنْدَ أَهْلِي فَقَالَ لَهَا طَلَبْتُ الْيَوْمَ قُوتًا فَلَمْ يُفْتَحْ لِي بِشَيْءٍ فَدَعَوْتُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَزَقَنِي هَذِهِ اللُّؤْلُؤَةَ مِنَ السَّمَاءِ. فَقَالَتِ ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ الَّذِي دَعَوْتَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ فَابْتَهِلْ إِلَيْهِ وَاسْأَلْهُ وَقُلِ اللَّهُمَّ سَيِّدِي وَمَوْلاَىَ إِنْ كَانَ هَذَا شَيْئًا رَزَقْتَنَا فِي الدُّنْيَا فَبَارِكْ لَنَا فِيهِ وَإِنْ كَانَ مِمَّا ادَّخَرْتَهُ لَنَا فِي الآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ فَارْفَعْهُ فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَرُفِعَتِ اللُّؤْلُؤَةُ فَرَجِعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ فَقَالَتِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانَا مَا ادَّخَرَ لَنَا فِي الآخِرَةِ ثُمَّ قَالَتْ لا أُبَالِي الآنَ أَنْ لا أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ وَشَكَرَتِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ.

الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ وَالْكَافِرُ الشَّقِيُّ

ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ الْعَدِيدَ مِنَ الأَمْثَالِ لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ بَعْضَ الْحِكَمِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَعَوَاقِبِ تَصَرُّفَاتِهِمْ.

وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ حَيْثُ وَرَدَتْ قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنًا تَقِيًّا وَالآخَرُ كَافِرًا غَنِيًّا شَقِيًّا فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَدْلَهُ وَضَرَبَ مَثَلَهُمَا كَيْ لا يَغْتَرَّ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَيَنْسُوا الآخِرَةَ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَوَانِ أَحَدُهُمَا اسْمُهُ يَهُوذَا وَهُوَ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ طَيِّبٌ يُحِبُّ الْخَيْرَ وَيُكْثِرُ مِنْهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْمُهُ فَرْطُوسُ وَكَانَ عَابِدًا لِلأَصْنَامِ كَافِرًا جَاحِدًا شَحِيحًا بَخِيلًا جَافِي الطَّبْعِ.

وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُمَا اقْتَسَمَا مَالَهُ فَأَنْفَقَ كُلٌّ مِنْهُمَا حِصَّتَهُ فِي مَا يُلائِمُ طَبْعَهُ وَمَا يُحِبُّ. أَمَّا يَهُوذَا فَقَدِ اشْتَرَى عَبِيدًا مَمْلُوكِينَ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَأَعْتَقَهُمْ وَجَعَلَهُمْ أَحْرَارًا لِلَّهِ تَعَالَى ثُمَّ اشْتَرَى ثِيَابًا بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَسَا الْفُقَرَاءَ الْعُرَاةَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاشْتَرَى بِأَلْفٍ ثَالِثَةٍ طَعَامًا وَأَطْعَمَ الْجَائِعِينَ وَبَنَى الْمَسَاجِدَ وَأَكْثَرَ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَبَذْلِ الْمَعْرُوفِ وَأَعَانَ مَنِ اسْتَطَاعَ إِعَانَتَهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِمَا فَعَلَ رَاجِيًا الثَّوَابَ وَالرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمَّا فَرْطُوسُ الأَخُ الْكَافِرُ فَإِنَّهُ مَا كَادَ يَسْتَلِمُ مَالَهُ حَتَّى وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَفَاتِيحَ وَحَرَمَ الْفَقِيرَ السَّائِلَ وَشَتَمَ مَنْ قَصَدَهُ لِلإِعَانَةِ وَأَغْلَقَ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِ أَنِينِ الْمُحْتَاجِينَ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَنْ رُؤْيَةِ الأَطْفَالِ الْجَائِعِين ثُمَّ تَزَوَّجَ مِنْ نِسَاءٍ غَنِيَّاتٍ وَاشْتَرَى بَقَرًا وَغَنَمًا فَتَوَالَدَتْ وَنَمَتْ نُمُوًّا مُفْرِطًا وَاشْتَغَلَ بِالتِّجَارَةِ بِبَاقِى مَالِهِ فَرَبِحَ رِبْحًا كَبِيرًا حَتَّى فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ غِنًى.

وَبَنَى لِنَفْسِهِ جَنَّتَيْنِ أَىْ بُسْتَانَيْنِ كَبِيرَيْنِ جِدًّا زَرَعَهُمَا أَعْنَابًا وَكُرُومًا فَأَوْرَقَا وَأَثْمَرَا وَأَحَاطَهُمَا بِشَجَرِ النَّخِيلِ ثُمَّ نَوَّعَ فِى الْمَزْرُوعَاتِ فَجَعَلَ فِيهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْخُضَارِ وَالْفَاكِهَةِ وَلَمْ يُنْقِصْ مِنْهَا شَيْئًا وَكَانَتِ الأَشْجَارُ مُتَوَاصِلَةً مُتَشَابِكَةً لا يَقْطَعُهَا وَيَفْصِلُ بَيْنَهَا إِلَّا النَّهْرُ الْجَارِى الَّذِى يَسْقِى الزُّرُوعَ بِمَائِهِ الرَّقْرَاقِ فَتَمَيَّزَ الْبُسْتَانَانِ بِالشَّكْلِ الْحَسَنِ وَالتَّرْتِيبِ الأَنِيقِ وَالطُّرُقَاتِ الَّتِى جَعَلَهَا ذَاكَ الْكَافِرُ فِيهِمَا لِلتَّنَزُّهِ وَالتَّمَتُّعِ بِمَنْظَرِهِمَا.

وَكَانَ الْجَدِيرُ بِفَرْطُوسَ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ الَّذِى مَنَحَهُ كُلَّ تِلْكَ النِّعَمِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا وَأَنْ يَشْكُرَهُ وَيُذْعِنَ لَهُ وَيَحْمَدَهُ وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَفْتِنُهُمُ الأَمْوَالُ وَتَجْعَلُهُمْ يَتَكَبَّرُونَ وَهَكَذَا كَانَ فَرْطُوسُ الَّذِى لَمْ يَزْدَدْ إِلَّا كُفْرًا وَطُغْيَانًا.

وَأَدْرَكَتْ يَهُوذَا الْمُؤْمِنَ الْحَاجَةُ فَأَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ أَجِيرًا لِيَأْكُلَ فَقَالَ لَوْ ذَهَبْتُ إِلَى أَخِى لِأَعْمَلَ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ لَنْ يُمَانِعَ فَجَاءَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ فَتْحِ الْعَدِيدِ مِنَ الأَبْوَابِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ حَاجَتَهُ فَقَالَ فَرْطُوسُ الْكَافِرُ أَلَمْ أُقَاسِمْكَ الْمَالَ نِصْفَيْنِ فَمَا صَنَعْتَ بِمَالِكَ.

فَأَجَابَهُ يَهُوذَا الْمُؤْمِنُ «**تَصَدَّقْتُ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى رَاجِيًا الأَجْرَ الْوَفِيرَ**».

فَقَالَ فَرْطُوسُ مُتَهَكِّمًا إِذَنْ أَنْتَ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ، مَا أَرَاكَ إِلَّا سَفِيهًا مُضَيِّعًا لِمَالِهِ وَمَا جَزَاؤُكَ عِنْدِى عَلَى سَفَاهَتِكَ إِلَّا الْحِرْمَانُ انْظُرْ مَاذَا صَنَعْتُ بِمَالِى حَتَّى صَارَ عِنْدِى مِنَ الثَّرْوَةِ وَحُسْنِ الْحَالِ مَا تَرَى وَذَلِكَ أَنِّى كَسَبْتُ وَأَنْتَ سَفِهْتَ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ يُرِيهِ مَا عِنْدَهُ وَفِى نَفْسِهِ الْكِبْرُ وَالْكُفْرُ وَأَنْكَرَ الْبَعْثَ وَفَنَاءَ دَارِهِ وَمَا زَرَعَ فِى الْبُسْتَانَيْنِ وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عَقْلِهِ وَعَدَمِ يَقِينِهِ بِاللهِ وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَكُفْرِهِ بِالآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَقِيَامَةٌ كَمَا تَزْعُمُ فَلَنْ أَخْسَرَ شَيْئًا فَكَمَا أَعْطَانِى اللهُ هَذِهِ النِّعَمَ فِى الدُّنْيَا فَسَيُعْطِينِى أَفْضَلَ مِنْهَا فِى الآخِرَةِ لِكَرَامَتِى عِنْدَهُ.

فَوَعَظَهُ أَخُوهُ يَهُوذَا وَحَذَّرَهُ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ الَّذِى خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جَعَلَهُ رَجُلًا سَوِيًّا ثُمَّ يُمِيتُهُ وَيُحَاسِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَلا مَثِيلَ وَلا شَبِيهَ وَلا مَكَانَ لَهُ خَالِقِ كُلِّ شَىْءٍ. وَقَالَ لَهُ إِنَّ الَّذِى تُعَيِّرُنِى بِهِ مِنَ الْفَقْرِ سَيَعُودُ عَلَيْكَ بِالْعِقَابِ فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يَرْزُقَنِى اللهُ فِى الآخِرَةِ جَنَّةً خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ هَذِهِ الْفَانِيَةِ ثُمَّ إِنَّكَ لا تَأْمَنْ عَلَى الْبُسْتَانَيْنِ مِنَ الْعَوَاصِفِ وَتَقَلُّبِ الرِّيَاحِ الَّتِى قَدْ تَجْعَلُ مِنْهَا أَوْرَاقًا جَافَّةً تَتَطَايَرُ هُنَا وَهُنَاكَ وَهَذَا الْمَاءُ الْعَذْبُ إِذَا غَارَ فِى الأَرْضِ فَكَيْفَ تَطْلُبُهُ وَمَنْ ذَا يَنْصُرُكَ إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَخْذُلَكَ.

وَلَمَّا رَأَى يَهُوذَا أَنَّ أَخَاهُ الْكَافِرَ مَا زَالَ مُصِرًّا عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ يَمْرَحُ بَيْنَ أَزْهَارِهِ وَأَشْجَارِهِ تَرَكَهُ وَخَرَجَ.

وَفِي اللَّيْلِ حَدَثَ مَا تَوَقَّعَهُ يَهُوذَا إِذْ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى مَطَرًا غَزِيرًا وَعَوَاصِفَ كَثِيرَةً أَحْرَقَتِ الْبُسْتَانَيْنِ وَهَدَمَتِ الْعَرَائِشَ وَابْتَلَعَتِ الأَرْضُ مَاءَ النَّهْرِ فَجَفَّ وَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ رَدِيئَةً لا نَبَاتَ فِيهَا وَلا شَجَرَ وَقَدْ مُلِئَتْ بِالْوَحْلِ فَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيْهَا. وَلَمَّا قَامَ فَرْطُوسُ صَبَاحًا ذَهَبَ كَعَادَتِهِ إِلَى الْبُسْتَانَيْنِ لِيَتَنَزَّهَ وَيَتَفَيَّأَ تَحْتَ ظِلالِ الْكُرُومِ وَلَمَّا رَأَى مَا حَلَّ بِهِمَا جَفَّ حَلْقُهُ وَأَخَذَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ عَلامَةَ التَّحَسُّرِ وَالتَّأَسُّفِ وَنَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي كَفَرَ بِسَبَبِهِ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَإِنْكَارِهِ لِلْبَعْثِ وَقَالَ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَتَرَكَهُ أَصْحَابُ السُّوءِ الَّذِينَ كَانُوا يُعِينُونَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَتَجَبُّرِهِ لَمَّا صَارَ فَقِيرًا فَغَدَا وَحِيدًا لا نَاصِرَ لَهُ إِذْ إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابُهَا خَيْرٌ وَعَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ.

قِصَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدِ مَنَافٍ

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَعْنَاهُ خَادِمُ الْمُطَّلِبِ الْمُطَّلِبُ يَكُونُ عَمَّهُ. كَانَ رَكِبَ عَلَى بَعِيرٍ خَلْفَ عَمِّهِ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ رَثَّةً فَقِيلَ لَهُ مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ، خَجِلَ أَنْ يَقُولَ ابْنُ أَخِي لِأَنَّهُ كَانَ رَثَّ الْهَيْئَةِ فَقَالَ عَبْدِي فَسَمَّوْهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَّا اسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ أَمَّا عَبْدُ مَنَافٍ مَعْنَاهُ عَبْدُ الْمُرْتَقَى لَيْسَ مَعْنَاهُ عَبْدُ الصَّنَمِ، الْمَنَافُ الْمَكَانُ الَّذِي يُصْعَدُ إِلَيْهِ يُقَالُ لَهُ مَنَاف لَيْسَ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْمُرْتَقَى خَلَقَهُ، لا إِنَّمَا مَعْنَاهُ يُلازِمُ الأُمُورَ الصِّعَابَ أَوْ بِمَعْنَى الْمَدْحِ لَهُ بِمَعْنَى ءَاخَرَ أَنَّهُ مُلازِمٌ لِلرِّفْعَةِ.

الْهِجْرَةُ

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ بِالتَّبْلِيغِ وَالإِنْذَارِ فَكَانَ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللهِ وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ فَكَانَ يَمُرُّ بَيْنَ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَوْسِمِ مِنْ نَوَاحٍ شَتَّى وَيَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا وَدَعَا إِلَى الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْبَغِي فَآمَنَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ وَبَقِيَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى الْكُفْرِ وَصَارُوا يُؤْذُونَهُ وَأَصْحَابَهُ فَلَمَّا اشْتَدَّ الأَذَى عَلَيْهِمْ هَاجَرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْهِجْرَةُ الأُولَى وَكَانُوا نَحْوَ ثَمَانِينَ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ وَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ فِي الْمَوْسِمِ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنَ الْخَزْرَجِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمُوا ثُمَّ ازْدَادَ عَدَدُهُمْ فِي الْعَامِ التَّالِي فَلَمَّا انْصَرَفُوا بَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ الصَّحَابَةِ لِيُعَلِّمُوهُمُ الْقُرْءَانَ وَلِيَدْعُوا مَنْ لَمْ يُسْلِمْ إِلَى الإِسْلامِ فَلَمَّا كَثُرَ أَنْصَارُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرِبَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِالْهِجْرَةِ إِلَيْهَا.

فَهَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَكْثَرُهُمْ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ وَكَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ فِي وَضْحِ النَّهَارِ وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مُمْتَشِقًا سَيْفَهُ قَائِلًا لِصَنَادِيدِ قُرَيْشٍ بِصَوْتٍ جَهِيرٍ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ تُفْصَلَ رَأْسُهُ أَوْ تَثْكَلَهُ أُمُّهُ أَوْ تَتَرَمَّلَ امْرَأَتُهُ أَوْ يُيَتَّمَ وَلَدُهُ أَوْ تَذْهَبَ نَفْسُهُ فَلْيَتْبَعْنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي فَإِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى يَثْرِبَ فَمَا تَجَرَّأَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ يَحُولَ دُونَهُ وَدُونَ الْهِجْرَةِ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلًا جَلْدًا نَسِيبًا وَسِيطًا لِيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ بِكَيْدِ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَيَتَسَجَّى بِبُرْدٍ لَهُ أَخْضَرَ فَفَعَلَ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ وَمَعَهُ حَفْنَةٌ تُرَابٍ فَجَعَلَ يَذُرُّهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿**يس وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ وَأَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ فَلَمَّا أَصْبَحُوا فَإِذَا هُمْ بِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ فَسَأَلُوهُ عَنِ النَّبِيِّ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فَرَكِبُوا يَطْلُبُونَهُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَارَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ مُرَافَقَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْهِجْرَةِ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ السَّلامُ لا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا.

وَكَانَتِ الصُّحْبَةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَارَا حَتَّى وَصَلا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ فَدَخَلاهُ وَجَاءَتِ الْعَنْكَبُوتُ فَنَسَجَتْ عَلَى بَابِهِ وَجَاءَتْ حَمَامَةٌ فَبَاضَتْ وَرَقَدَتْ فَلَمَّا وَصَلَ رِجَالُ قُرَيْشٍ إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنَّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَحْفَظُنَا وَيَنْصُرُنَا وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ مَعَهُمَا فِي الْغَارِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِذَاتِهِ مَعَهُمَا فِي الْغَارِ بَلِ

الْمَعِيَّةُ هُنَا هِيَ مَعِيَّةُ النُّصْرَةِ أَيِ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَنْصُرُنَا وَيَحْمِينَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ يَحُلُّ مَكَانًا فَهُوَ الْمَوْجُودُ بِلا مَكَانٍ وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ صِفَاتِ الْخَلْقِ.

لَقَدْ حَمَى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَمَنْ مَعَهُ وَأَكْمَلا طَرِيقَهُمَا حَتَّى وَصَلا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبْشَرُوا بِقُدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَّى الرَّسُولُ يَثْرِبَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ وَسَمَّى أَهْلَهَا الأَنْصَارَ وَبَنَى فِيهَا مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ.

فَائِدَةٌ لَمْ تَكُنْ هِجْرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَهُوَ أَشْجَعُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تَكُنْ لِأَجْلِ الشُّهْرَةِ وَالْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ مَكَّةَ وَسَادَاتُهَا وَقَالُوا لَهُ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ إِيَّاهُ وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ دَعْوَتَهُ دَعْوَةُ حَقٍّ لا بُدَّ أَنْ يُؤَدِّيَهَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَهُوَ أَشْرَفُ وَأَسْمَى مِنْ أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهُ الدُّنْيَا وَالْجَاهَ وَالسُّلْطَانَ لِهَذَا فَقَدْ قَالَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَاللَّهِ يَا عَمُّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ.

وَلَمْ تَكُنْ هِجْرَتُهُ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ وَالتَّنَعُّمِ بَلْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ دَوْلَةِ الإِيمَانِ وَنَشْرِ كَلِمَةِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ.

مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِنَّ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ قِيلَ بَيْنَ الأَلْفِ وَالثَّلاثَةِ ءَالافٍ وَأَعْظَمُ الْمُعْجِزَاتِ مُعْجِزَةُ الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ الْمُعْجِزِ الْمُبِينِ وَحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ الَّذِي وَصَفَهُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [سُورَةَ فُصِّلَت] وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مَا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيًّا مُعْجِزَةً إِلَّا وَأَعْطَى مُحَمَّدًا مِثْلَهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا» فَقِيلَ لِلشَّافِعِيِّ أَعْطَى اللَّهُ عِيسَى إِحْيَاءَ الْمَوْتَى فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ حَنِينَ الْجِذْعِ حَتَّى سُمِعَ صَوْتُهُ فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ» فَقَدْ جَاءَ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا أَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلامًا نَجَّارًا قَالَ «**إِنْ شِئْتِ**» قَالَ فَعَمِلَتْ لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ لَهُ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ

فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ وَكَانَ الْحَسَنُ لَمَّا يَرْوِى هَذِهِ الْحَادِثَةَ يَبْكِى وَيَقُولُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ أَفَلَيْسَ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ أَحَقَّ أَنْ يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللَّهِ الَّذِى اضْطَجَعَ يَوْمًا تَحْتَ شَجَرَةٍ فَجَاءَ إِلَيْهِ أَعْرَابِىٌّ مُشْرِكٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ فَقَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ مَشْهُورًا وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى الْيَوْمَ فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ «**اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**» فَجَاءَ جِبْرِيلُ وَدَفَعَ الْمُشْرِكَ فِى صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى فَقَالَ لا أَحَدَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ يَحْفُرُونَ الْخَنْدَقَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ فَأَخْبَرُوا بِذَلِكَ قَائِدَهُمْ مُحَمَّدًا فَجَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَسَمَّى ثَلاثًا ثُمَّ ضَرَبَ الصَّخْرَةَ فَنَزَلَتْ رَمْلًا سَائِلًا.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ بِغُلامٍ يَوْمَ وُلِدَ وَقَدْ لَفَّهُ فِى خِرْقَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يَا غُلامُ مَنْ أَنَا**» فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْغُلامَ فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ**» فَكَانَ هَذَا الْغُلامُ يُسَمَّى مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَنَّهُ كَانَ يَرَى أَصْحَابَهُ وَهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَقَالَ «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى أَمَامَكُمْ فَلا تَسْبِقُونِى فِى الرُّكُوعِ وَلا فِى السُّجُودِ وَلا تَرْفَعُوا رُؤُسَكُمْ فَإِنِّى أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِى وَمِنْ خَلْفِى**» الْحَدِيثَ.

وَفِى يَوْمِ حُنَيْنٍ هَزَمَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُفَّارَ بِحَصَيَاتٍ رَمَاهُمْ بِهَا كَمَا رَوَى الْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ فِى وُجُوهِ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ».

فَائِدَةٌ إِنَّ الَّذِى يُظْهِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَيْدِى الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَوَارِقِ لا يُعَارَضُ بِالْمِثْلِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سِحْرًا، السِّحْرُ يُعَارَضُ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ أَمَّا الْمُعْجِزَةُ لا تُعَارَضُ بِالْمِثْلِ فَالْمُعْجِزَةُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ أَىْ مُخَالِفٌ لِلْعَادَةِ يَأْتِى عَلَى وَفْقِ دَعْوَى مَنِ ادَّعَوُا النُّبُوَّةَ سَالِمٌ مِنَ الْمُعَارَضَةِ بِالْمِثْلِ صَالِحٌ لِلتَّحَدِّى.

غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى

أَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَ اللهِ وَهَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ أَنِ اشْتَدَّ الأَذَى وَالتَّعْذِيبُ عَلَيْهِمْ وَتَرَكُوا مُمْتَلَكَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ الصَّادِقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُعَوِّضُ عَنْهُمْ وَيُخْلِفُ عَلَيْهِمْ وَمَا كَانَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ اللِّئَامِ إِلَّا أَنِ اسْتَوْلَوْا عَلَى هَذِهِ الأَمْوَالِ وَذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ لِيُتَاجِرُوا بِهَا ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَكَّةَ فِي قَافِلَةٍ مُحَمَّلَةٍ بِالْكَثِيرِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَحْمَالِ وَالْجِمَالِ.

وَصَلَتْ أَخْبَارُ هَذِهِ الْقَافِلَةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدِ امْتَلَأَتْ خَيْرًا بِالنَّبِيِّ وَصَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ وَزَادَتْ قُوَّتُهُمْ وَتَعَبَّأَتْ نُفُوسُهُمْ لِمُجَاهَدَةِ عَدُّوِهِمْ.

وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ الْمُشَرَّفَةِ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الأَبْطَالِ الْمُقْبِلِينَ عَلَى الْجِهَادِ بِقُلُوبٍ قَوِيَّةٍ وَاثِقَةٍ مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلاثَمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَالأَعْلامُ وَالْبَيَارِقُ حَوْلَهُمْ تُرَفْرِفُ وَتَعْلُو.

لَكِنَّ خَبَرَ خُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ لِلْقِتَالِ بَلَغَ الْقَافِلَةَ الَّتِي كَانَ عَلَى رَأْسِهَا أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ رُءُوسِ الْكُفْرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ حِرَاسَةٌ كَافِيَةٌ لِتَمْنَعَ عَنْهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتَهُ فَبَعَثَ بِرَجُلٍ اسْمُهُ ضِمْضِم إِلَى مَكَّةَ يَسْتَنْجِدُ بِأَهْلِهَا.

وَوَصَلَ ضِمْضِمُ إِلَى مَكَّةَ صَارِخًا مُوَلْوِلًا طَالِبًا النَّجْدَةَ فَأَسْرَعَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِتَجْمِيعِ قُوَاهُمْ وَجُنْدِهِمْ وَسِلاحِهِمْ وَمَضَوْا إِلَى مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ غَيَّرَ أَبُو سُفْيَانَ مَسِيرَةَ الْقَافِلَةِ بَيْنَ الشَّامِ وَمَكَّةَ وَابْتَعَدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَعْهُودِ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَحْرِ وَلَمْ يَعْلَمِ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ خَرَجُوا لِمُسَاعَدَةِ الْقَافِلَةِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَا قَبْلَ بَدْرٍ وَهِيَ اسْمُ نَاحِيَةٍ فَنَزَلُوا هُنَاكَ وَأَرْسَلُوا ثَلاثَةَ أَشْخَاصٍ لِلاسْتِكْشَافِ فَعَادُوا وَقَدْ قَبَضُوا عَلَى غُلامَيْنِ خَرَجَا لِجَلْبِ الْمَاءِ لِمُعَسْكَرِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَعَلِمَ عِنْدَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَصَحَابَتُهُ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ لِمُقَاتَلَتِهِمْ وَأَنَّ عَدَدَهُمْ قَرِيبُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ.

اسْتَشَارَ النَّبِيُّ الأَعْظَمُ صَحَابَتَهُ فَقَامَ كِبَارُهُمْ وَتَكَلَّمُوا فَأَحْسَنُوا وَأَجَادُوا وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ خَيْرًا وَالأَنْصَارُ خَيْرًا وَكَانَ مِنْهُمْ سَيِّدُنَا سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيَّ أَنَّ الأَنْصَارَ لَنْ يَخْذُلُوهُ أَبَدًا وَلَوْ أَمَرَهُمْ بِخَوْضِ الْبَحْرِ لَخَاضُوهُ مَعَهُ وَخَتَمَ بِقَوْلِهِ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ فَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَيْشِهِ وَهُوَ يَقُولُ «**أَبْشِرُو فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي**

إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» أَىْ إِمَّا أَنْ نَرْبَحَ الْغَنَائِمَ الَّتِي فِي الْقَافِلَةِ وَإِمَّا أَنْ نَهْزِمَ الْجَيْشَ الَّذِى خَرَجَ لِحِمَايَتِهَا وَنَزَلُوا قُرْبَ بَدْرٍ ذَاتِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ.

وَكَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْقَافِلَةَ الَّتِي خَرَجُوا لِحِمَايَتِهَا قَدْ نَجَتْ وَوَصَلَتْ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَ ذَلِكَ رَفَضُوا الْعَوْدَةَ وَأَصَرُّوا عَلَى مُقَاتَلَةِ النَّبِيِّ حِقْدًا مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ الإِسْلامِيَّةِ الْعَظِيمَةِ وَكَرَاهِيَةً لِصَحابَتِهِ الْكِرَامِ.

وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَطَرَ الْخَفِيفَ فَصَارَ التُّرَابُ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ جَامِدًا يَسْهُلُ الْمَسِيرُ عَلَيْهِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَقَدْ صَارَ الرَّمْلُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَحْلًا مُزْعِجًا تَغُوصُ فِيهِ أَقْدَامُهُمْ وَأَقْدَامُ بَعِيرِهِمْ مِمَّا أَعَاقَهُمْ وَأَخَّرَهُمْ.

وَأَحَاطَ الْمُسْلِمُونَ بِتِلالٍ مُطِلَّةٍ عَلَى بِرْكَةِ مَاءٍ كَبِيرَةٍ فِي بَدْرٍ وَجَاءَهَا الْكُفَّارُ لِيَشْرَبُوا مِنْهَا فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ يَصْطَادُونَهُمْ الْوَاحِدَ تِلْوَ الآخَرِ وَتَقَابَلَ الْجَيْشَانِ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ وَفِيهِ الصَّحَابَةُ الأَفَاضِلُ الشُّجْعَانُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ إِعْلاءَ كَلِمَةِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَجَيْشُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَيُرِيدُونَ قَتْلَ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

وَكَانَتْ خِطَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا أَشَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا يَبْدَأُوا الْقِتَالَ حَتَّى يُحِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ عِنْدَهَا يَظْهَرُ الرُّمَاةُ الْمُخْتَبِئُونَ عَلَى التِّلالِ الْمُحِيطَةِ بِمَكَانِ الْمَعْرَكَةِ وَيَرْمُونَ ظُهُورَ الْكُفَّارِ بِرِمَاحِهِمْ وَهَكَذَا كَانَ.

وَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا وَتَضَارَبَتِ السُّيُوفُ وَلَمَعَتِ الرِّمَاحُ وَتَطَايَرَ الْغُبَارُ وَعَلَتِ التَّكْبِيرَاتُ الصَّادِحَةُ وَكَانَ الْمَدَدُ الْكَبِيرُ.

فَقَدْ أَمَدَّ اللَّهُ تَعَالَى جَيْشَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِئَاتٍ وَءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ الْكِرَامِ أَتَوْا عَلَى خُيُولِهِمْ يُحَارِبُونَ وَيُقَاتِلُونَ يَتَقَدَّمُهُمْ سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى فَرَسِهِ حَيْزُوم.

وَكَانَ الْمُقَاتِلُ الْمُسْلِمُ يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ وَكَانَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَفِي نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْنَةً مِنَ التُّرَابِ وَرَمَى بِهَا قُرَيْشًا وَقَالَ «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**» وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ «**شُدُّوا عَلَيْهِمْ**» فَكَانَتْ هَزِيمَةُ الْمُشْرِكِينَ وَقُتِلَ مِنْهُمُ الْكَثِيرُ وَأُسِرَ الْكَثِيرُ. كَانَ بَيْنَ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ رَأْسُ الْكُفْرِ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ وَأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ وَهُوَ الَّذِى كَانَ يُعَذِّبُ سَيِّدَنَا بِلالًا الْحَبَشِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِنْدَمَا أَرَادُوا طَرْحَهُ فِي بِئْرِ الْقَلِيبِ كَانَ قَدْ تَقَطَّعَ فَوَضَعُوا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ مَا طَمَرَهُ.

وَعَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتُهُ الأَجِلَّاءُ مُنْتَصِرِينَ مُعَزَّزِينَ وَلَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى عِبْرَةٌ أَنَّ الْفِئَةَ الْقَلِيلَةَ قَدْ تَغْلِبُ الْفِئَةَ الْكَثِيرَةَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَشَهِدَ رَمَضَانُ نَصْرًا كَبِيرًا لِلْمُسْلِمِينَ سَجَّلَهُ التَّارِيخُ بِسُطُورٍ مِنْ نُورٍ.

غَزْوَةُ أُحُدٍ

بَعْدَ أَنِ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ انْتِصَارًا كَبِيرًا فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَوْقَعُوا فِيهِمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَتْلَى عَادَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى مَكَّةَ حِينَ كَانَتْ مَكَّةُ تَحْتَ سُلْطَةِ الْمُشْرِكِينَ يَجُرُّونَ وَرَاءَهُمْ أَذْيَالَ الْخَيْبَةِ وَوَجَدُوا أَنَّ قَافِلَةَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ رَجَعَتْ بِأَمَانٍ فَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبِيعُوا بَضَائِعَهَا وَالرِّبْحُ الَّذِي سَيَجْنُونَهُ يُجَهِّزُوا بِهِ جَيْشًا لِمُقَاتَلَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْذِ الثَّأْرِ لِمَقْتَلِ ءَابَائِهِمْ وَإِخْوَتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمُ الَّذِينَ حَارَبُوا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَالصَّحَابَةَ وَأَرَادُوا الْقَضَاءَ عَلَى الإِسْلامِ فِي بَدْرٍ.

اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْسَلَتْ مَبْعُوثَيْنِ إِلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْحَلِيفَةِ طَلَبًا لِلْمُقَاتِلِينَ فَاجْتَمَعَ ثَلاثَةُ ءَالافِ مُشْرِكٍ مَعَ دُرُوعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَكَانَ مَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ نَاقَةً عَلَيْهَا رُكِّبَتْ الْهَوَادِجُ وَهِيَ الْبُيُوتُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى ظُهُورِ الْجِمَالِ وَجَلَسَتْ فِيهِنَّ بَعْضُ النِّسَاءِ الْمُشْرِكَاتِ لِيُشَجِّعْنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَتَذْكِيرِهِمْ بِالْهَزِيمَةِ فِي بَدْرٍ.

وَفِي أَثْنَاءِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ طَلَبَ أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ الْخُرُوجَ مَعَهُ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ بِذَلِكَ وَأَرْسَلَ الْعَبَّاسُ سِرًّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَذِّرُهُ مِنَ الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ فَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ «**إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا** أَيْ فِي الْمَنَامِ **رَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي** أَيْ حَدِّ سَيْفِي **ثَلْمًا** أَيْ كَسْرًا **وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدَيَّ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ**» وَكَانَ مَعْنَى هَذَا الْمَنَامِ الَّذِي رَءَاهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْبَقَرَ نَاسٌ يُقْتَلُونَ وَأَمَّا الثَّلْمُ فِي السَّيْفِ فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ يُقْتَلُ.

خَرَجَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِجَيْشِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قُرْبَ جَبَلِ أُحُدٍ حَيْثُ كَانَ النَّبِيُّ الأَعْظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَلَّى صَلاةَ الْجُمُعَةِ بِالنَّاسِ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَالثَّبَاتِ وَخَرَجَ بِسَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ شُجَاعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ خَوْفًا مِنَ الْقِتَالِ. وَكَانَتْ خِطَّةُ الْحَرْبِ الَّتِي وَضَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ فِي وَجْهِهِ وَيَضَعَ خَلْفَهُ جَبَلَ أُحُدٍ وَحَمَى ظَهْرَهُ بِخَمْسِينَ مِنَ الرُّمَاةِ الْمَهَرَةِ صَعِدُوا عَلَى هَضَبَةٍ عَالِيَةٍ مُشْرِفَةٍ عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ وَجَعَلَ قَائِدَهُمْ صَحَابِيًّا كَرِيمًا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ أَنْ يَبْقَوْا

فِي أَمَاكِنِهِمْ وَأَنْ لا يَتْرُكُوهَا حَتَّى يَأْذَنَ لَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ «**ادْفَعُوا الْخَيْلَ عَنَّا بِالنِّبَالِ**» وَقَسَّمَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عِدَّةِ أَقْسَامٍ جَعَلَ قَائِدًا لِكُلٍّ مِنْهَا وَتَسَلَّمَ هُوَ قِيَادَةُ الْمُقَدِّمَةِ.

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ فَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ الْبَتَّارَةُ بِقُوَّةٍ وَكَانَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَجُلٌ شُجَاعٌ مَشْهُودٌ لَهُ بِالثَّبَاتِ فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ اسْمُهُ أَبُو دُجَانَةَ سَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفًا فَأَخَذَهُ وَرَبَطَ عَلَى رَأْسِهِ قِطْعَةً حَمْرَاءَ عَلامَةَ الْقِتَالِ ثُمَّ شَهَرَ سَيْفَهُ لا يَقِفُ شَيْءٌ أَمَامَهُ إِلَّا حَطَّمَهُ وَأَوْقَعَهُ أَرْضًا وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لا يَدَعُ جَرِيحًا مُسْلِمًا إِلَّا قَتَلَهُ فَلَحِقَ بِهِ أَبُو دُجَانَةَ لِيُرِيحَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ حَتَّى الْتَقَيَا فَضَرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ ضَرْبَةً تَلَقَّاهَا الأَخِيرُ بِكُلِّ عَزْمٍ وَثَبَاتٍ ثُمَّ بَادَلَهُ بِضَرْبَةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ سَيْفِهِ فَقَتَلَهُ.

وَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا وَفَعَلَ الرُّمَاةُ الْمُسْلِمُونَ فِعْلَتَهُمْ إِذْ كَانُوا مِنْ أَحَدِ أَسْبَابِ تَرَاجُعِ الْكُفَّارِ وَفِرَارِهِمْ وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ حَصَلَتْ حَادِثَةٌ أَلِيمَةٌ غَيَّرَتْ مِنْ مَسَارِ نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ إِذْ إِنَّ الرُّمَاةَ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِمَايَةِ ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَمِ تَرْكِ أَمَاكِنِهِمْ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُمْ تَرَكَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ مَكَانَهُ ظَنًّا أَنَّ الْمَعْرَكَةَ حُسِمَ أَمْرُهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَثَرٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَنَزَلُوا لِيَأْخُذُوا مِنَ الْغَنَائِمِ وَبَقِيَ أَقَلُّ مِنْ عَشَرَةِ رُمَاةٍ أَبَوْا أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَقَالُوا نُطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ وَنَثْبُتُ مَكَانَنَا فَنَظَرَ خَالِدُ بنُ الْوَلِيدِ وَكَانَ مَا زَالَ مُشْرِكًا إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاةِ فَتَوَجَّهَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَسَلَّلُوا فَفَاجَئُوا الرُّمَاةَ الْقَلِيلِينَ مِنَ الْخَلْفِ وَقَتَلُوهُمْ بِمَا فِيهِمْ قَائِدُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ. عِنْدَهَا تَعَالَتْ صَيْحَاتُ الْمُشْرِكِينَ وَفُوجِئَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا مُحَاصَرِينَ فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَاشْتَدَّ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ عِنْدَهَا عَادَ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهَجَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَجْمَةً شَرِسَةً وَرَفَعُوا عَنِ الأَرْضِ رَايَتَهُمُ الْمُتَّسِخَةَ. وَكَانَ عَدَدٌ مِنَ الْكُفَّارِ قَدِ اتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مُهَاجَمَةِ النَّبِيِّ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَاسْتَغَلُّوا فُرْصَةَ ابْتِعَادِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ وَانْقَضُّوا عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ الشَّرِيفَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ رَمَاهُ بِحِجَارَةٍ فَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَى وَهِيَ أَحَدُ أَسْنَانِهِ الأَمَامِيَّةِ وَشُقَّتْ شَفَتُهُ الشَّرِيفَةُ وَهَجَمَ ءَاخَرُ فَجَرَحَ وَجْنَةَ النَّبِيِّ أَيْ أَعْلَى خَدِّهِ الشَّرِيفِ بِالسَّيْفِ وَرَفَعَهُ فَرَدَّهُ النَّبِيُّ وَلَكِنَّهُ سَقَطَ فَجُرِحَتْ رُكْبَتُهُ الشَّرِيفَةُ وَسَالَ دَمُهُ عَلَى الأَرْضِ وَأَقْبَلَ مُشْرِكٌ اسْمُهُ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ حَامِلًا حَرْبَتَهُ وَوَجَّهَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ مِنْهُ وَقَتَلَهُ بِهَا.

وَلَمَّا جُرِحَ النَّبِيُّ الأَعْظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ وَأَقْبَلَ لِحِمَايَتِهِ خَمْسَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا وَرَكَضَ أَبو دُجَانَةَ وَجَعَلَ مِنْ ظَهْرِهِ تُرْسًا لِرَسُولِ اللَّهِ فَكَانَتِ السِّهَامُ تَنْهَالُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ يَحْمِي بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ أَعْظَمَ الْكَائِنَاتِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَازْدَادَتِ الْمَصَائِبُ إِذْ قَدْ جَاءَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُشْرِكٌ مَاهِرٌ بِالرِّمَايَةِ اسْمُهُ وَحْشِيٌّ أَمَرَهُ سَيِّدُهُ بِقَتْلِ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهُ حُرًّا إِنْ قَتَلَهُ وَبَقِيَ طِيلَةَ الْمَعْرَكَةِ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَةَ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ أَمَامَهُ فَرَفَعَ حَرْبَتَهُ وَهَزَّهَا ثُمَّ رَمَاهَا فَاخْتَرَقَتْ جَسَدَ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي وَقَعَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَانْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِانْسِحَابِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ انْتَصَرُوا وَلا يُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَسِرَ بَلْ إِنَّ الَّذِينَ خَالَفُوا أَوَامِرَهُ خَابُوا وَسَبَّبُوا الْخَسَارَةَ لِأَنْفُسِهِمْ.

وَدَفَنَ الْمُسْلِمُونَ شُهَدَاءَهُمْ فِي أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدُوا وَلَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي جَوٍّ حَزِينٍ جَاءَتْ إِحْدَى نِسَاءِ الأَنْصَارِ قَدْ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا شَهِيدَيْنِ.

فَلَمَّا أُخْبِرَتْ قَالَتْ مَاذَا حَلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا لَهَا هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ قَالَتْ أَرُونِيهِ فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ دَمَعَتْ عَيْنَاهَا فَرَحًا بِسَلامَتِهِ وَقَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ هَيِّنَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا تُوَازِي مُصِيبَتَنَا بِفَقْدِكَ.

وَهَكَذَا انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ الَّتِي كَانَتْ دَرْسًا تَعَلَّمَ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ أَهَمِيَّةَ الِالْتِزَامِ بِأَوَامِرِ النَّبِيِّ وَتَعَالِيمِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَنَّ أَوَامِرَهُ كُلَّهَا فِيهَا الْخَيْرُ وَالْفَلاحُ.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

مُنْذُ أَنْ بَدَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِظْهَارِ دَعْوَتِهِ كَانَ الْيَهُودُ لا يَتْرُكُونَ فُرْصَةً إِلَّا وَيَغْتَنِمُونَهَا لِإِيذَائِهِ وَإِيذَاءِ أَصْحَابِهِ عَلَنًا وَفِي الْخَفَاءِ يَكِيدُونَ الْمَكَائِدَ وَيُضْمِرُونَ الْخُبْثَ وَالْكَرَاهِيَةَ وَالْحِقْدَ وَيُعْلِنُونَهَا فِتَنًا وَحُرُوبًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَلَكِنَّ غَزْوَةَ خَيْبَرَ الَّتِي حَصَلَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ كَانَتْ حَرْبًا فَاصِلَةً أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا النَّصْرَ فِي تَفَوُّقِ الْمُسْلِمِينَ رَغْمَ قِلَّتِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمُ الْمُدَعَّمِ بِعُدَدِهِ وَعَتَادِهِ.

سَبَقَ مَعْرَكَةَ خَيْبَرَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَالَّذِي اتُّفِقَ فِيهِ أَنْ لا يُسَاعِدُوا أَحَدًا عَلَى مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَفْقَدَ الْيَهُودَ مُسَانَدَةً كَثِيرَةً مِنَ الْعَرَبِ فَكَانَ الْحَلُّ عِنْدَهُمْ بِأَنْ تَتَجَمَّعَ وَتَتَحَالَفَ كُلُّ قُوَاهُمْ لِتَقْوَى شَوْكَتُهُمْ فِي مُوَاجَهَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذَا مَا تَمَّ حَيْثُ تَحَصَّنَ كَثِيرٌ مِنْ يَهُودِ الْحِجَازِ فِي نَاحِيَةٍ تُدْعَى خَيْبَرَ تَبْعُدُ نَحْوَ مِائَةِ مِيلٍ شَمَالَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

وَخَيْبَرُ عِبَارَةٌ عَنْ أَرْضٍ وَاسِعَةٍ ذَاتِ وَاحَاتٍ خِصْبَةٍ يَكْثُرُ فِيهَا النَّخِيلُ وَتَضُمُّ حُصُونًا مَنِيعَةً لِلْيَهُودِ مُقَسَّمَةً إِلَى ثَلاثِ مَنَاطِقَ قِتَالِيَّةٍ مُحَصَّنَةٍ وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ فَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ جُبَنَاءَ أَثْنَاءَ الْمَعَارِكِ لا يُحَارِبُونَ إِلَّا مِنْ

دَاخِلِ حُصُونِهِمْ وَمِنْ وَرَاءِ الْجُدْرَانِ وَقَدْ أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الأَمْرِ فَوَضَعَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِطَّتَهُ عَلَى أَسَاسِ مُفَاجَأَتِهِمْ وَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ وَأَثْنَاءَ شُعُورِهِمْ بِالأَمْنِ.

خَرَجَ جَيْشُ الْمُجَاهِدِينَ بِقِيَادَةِ أَشْجَعِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّجَاهِ خَيْبَرَ فِي أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ الَّذِينَ عَشِقُوا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِيهِمْ مِائَتَا فَارِسٍ وَنَزَلُوا وَادِيًا اسْمُهُ الرَّجِيعُ لِيَمْنَعُوا قَبِيلَةَ غَطَفَانَ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْيَهُودِ فِي حَرْبِهِمْ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي خَيْبَرَ فَلَمَّا خَرَجَتْ قَبِيلَةُ غَطَفَانَ وَتَرَكَتْ دِيَارَهَا سَمِعُوا خَلْفَهُمْ حِسًّا فَظَنُّوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَتَوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فَرَجَعُوا خَائِفِينَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَلَمْ يُحَارِبُوا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَكْمَلُوا سَيْرَهُمْ إِلَى خَيْبَرَ. وَأَثْنَاءَ الْمَسِيرِ الطَّوِيلِ شَغَلَ الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَارَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَامِرُ بنُ الأَكْوَعِ يُنْشِدُ لَهُمْ يُشَجِّعُهُمْ عَلَى الْمُضِيِّ لِلْجِهَادِ قَائِلًا

وَاللَّهِ لَوْلا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا

فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ عِنْدَمَا سَمِعَ مَا فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْحَمَاسِ وَالتَّشْجِيعِ. وَوَصَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ لَيْلًا إِلَى مَشَارِفِ خَيْبَرَ وَظَهَرَتْ حُصُونُهَا فَعَسْكَرُوا حَوْلَهَا وَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَفِي الصَّبَاحِ اسْتَيْقَظَ أَهْلُهَا لِيَجِدُوا أَنَّهُمْ مُحَاصَرُونَ وَمُحَاطُونَ بِعَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ فَدَبَّ فِي نُفُوسِهِمُ الرُّعْبُ وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ ثُمَّ نَادَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْتٍ ارْتَجَّتْ لَهُ حُصُونُ الْكُفْرِ وَقَالَ «**اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ**» فَرَدَّدَهَا الصَّحَابَةُ خَلْفَهُ فَأَيْقَنَ الْيَهُودُ أَنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ.

رُمِيَتِ السِّهَامُ كَشُهُبِ النَّارِ فَوْقَ أَوَّلِ الْحُصُونِ وَهُوَ يُدْعَى حِصْنَ نَاعِم مَا دَفَعَ بِأَهْلِهِ إِلَى الْهَرَبِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَى مَا جَاوَرَهُ مِنْ حُصُونٍ وَقُتِلَ عِنْدَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ قَتَلَهُ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ مَرْحَب بِضَرْبَةٍ فِي رَأْسِهِ. وَفِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ النَّخِيلِ الْمُحِيطِ بِالْحُصُونِ حَتَّى يَنْكَشِفَ الْيَهُودُ إِذَا مَا هَجَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَغَاظَهُمْ هَذَا كَثِيرًا ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ تَسَلَّمَ الرَّايَةَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَغَارَ عَلَى بَعْضِ الْحُصُونِ وَتَبِعَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَارَاتٍ سَرِيعَةٍ فَأَسَرَ يَهُودِيًّا مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ أَعْلَمَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْيَهُودَ خَرَجُوا مِنْ حِصْنِ النُّطَاةِ وَتَسَلَّلُوا إِلَى حِصْنٍ ءَاخَرَ اسْمُهُ الشَّقُّ فَحَاصَرُوهُ وَتَرَامَى الطَّرَفَانِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفْنَةً مِنْ حَصَى وَرَمَى بِهَا الْحِصْنَ فَاهْتَزَّ بِأَهْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ غَرِقَ فِي الأَرْضِ فَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَأَخَذُوهُ.

بَقِيَ حُصُونٌ مِنْهَا الصَّعْبُ وَالْوَطِيحُ وَالسُّلالِمُ وَالْقَمُوصُ وَقَدْ تَحَصَّنَ بِهَا الْيَهُودُ أَشَدَّ التَّحَصُّنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَقْوِيَةِ الْحِصَارِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَحَابَتِهِ الْمُجَاهِدِينَ «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ**» ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ بِمَرَضٍ فِي عَيْنَيْهِ فَتَفَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمَا فَشُفِيَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَدَّمَ بِمَنْ مَعَهُ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَحَدِ الْحُصُونِ الْبَاقِيَةِ خَرَجَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْيَهُودِ فَقَاتَلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ تَلَقَّى ضَرْبَةً فَوَقَعَ التُّرْسُ مِنْهُ عِنْدَهَا حَصَلَتْ لَهُ كَرَامَةٌ عَظِيمَةٌ كَوْنُهُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَقَدْ تَنَاوَلَ بَابًا كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ وَجَعَلَهُ تُرْسًا أَبْقَاهُ فِي يَدِهِ يُقَاتِلُ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ أَلْقَى الْبَابَ وَجَاءَ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لِيَقْلِبُوا هَذَا الْبَابَ فَمَا اسْتَطَاعُوا.

اسْتَمَرَّ الْقِتَالُ وَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ هَجْمَةً قَوِيَّةً عَلَى حِصْنِ الصَّعْبِ بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ الْفَاضِلِ حَبَّابِ بنِ الْمُنْذِرِ فَخَرَجَ مِنْهُ يَهُودِيٌّ مُتَعَجْرِفٌ هُوَ نَفْسُهُ مَرْحَب الَّذِى قَتَلَ الصَّحَابِيَّ مَحْمُودَ بنَ مَسْلَمَةَ وَنَادَى مَنْ يُبَارِزُنِى فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّحَابِيِّ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ شَقِيقِ مَحْمُودٍ لِيُبَارِزَهُ وَيَأْخُذَ بِثَأْرِ أَخِيهِ وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا «**اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ**» فَتَقَاتَلا طَوِيلًا ثُمَّ عَاجَلَهُ مُحَمَّدٌ بِضَرْبَةٍ قَاصِمَةٍ قَتَلَتْهُ وَقِيلَ إِنَّ الَّذِى قَتَلَ الْيَهُودِيَّ مَرْحَب هُوَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَصْمُدْ حِصْنُ الصَّعْبِ طَوِيلًا حَتَّى فُتِحَ وَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ مُنْتَصِرِينَ وَكَانَ فِي الْحِصْنِ الْكَثِيرُ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَأَكَلَ الْمُسْلِمُونَ حَاجَتَهُمْ مِنْهُ بَعْدَ مَا نَالَهُمُ الْكَثِيرُ مِنَ التَّعَبِ وَالْجُوعِ وَوَجَدُوا فِيهِ الْكَثِيرَ مِنَ السُّيُوفِ وَالدُّرُوعِ وَالنِّبَالِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعَتَادِ الْحَرْبِيِّ الَّذِى اسْتَعْمَلُوهُ فِي حَرْبِهِمْ فَنَفَعَهُمْ نَفْعًا كَبِيرًا.

وَتَجَدَّدَ الْقِتَالُ إِذْ مَا زَالَتْ بَعْضُ الْحُصُونِ لَمْ تَسْقُطْ وَبَقِيَ الْيَهُودُ يَهْرُبُونَ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى حِصْنٍ ءَاخَرَ هُوَ حِصْنُ الزُّبَيْرِ فَلَحِقَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَحَاصَرُوهُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الْمَاءِ عَنْهُمْ لِإِجْبَارِهِمْ عَلَى الْخُرُوجِ فَمَا كَانَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا أَنْ فَتَحُوا الْحِصْنَ وَخَرَجُوا مِنْهُ يُقَاتِلُونَ وَجْهًا لِوَجْهٍ فَقُهِرُوا وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفًا لِلْمُسْلِمِينَ.

وَتَدَاعَتْ حُصُونُ خَيْبَرَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ وَسَقَطَ حِصْنُ الْوَطِيحِ وَالسُّلالِمِ وَكَانَا ءَاخِرَ مَا افْتُتِحَ فَلَمَّا أَيْقَنَ الْيَهُودُ بِالْهَلاكِ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوقِفَ الْحَرْبَ وَاسْتَسْلَمُوا عَلَى أَنْ لا يُقْتَلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَيَتَخَلَوْا عَنْ حُصُونِهِمْ كُلِّهَا بِمَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالٍ وَمَتَاعٍ.

وَهَكَذَا غُلِبَ الْيَهُودُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُمْ وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَأْمَنٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ إِلَى جِهَةِ بِلادِ الشَّامِ بَعْدَمَا أَصْبَحُوا فِي مَأْمَنٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ.

وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرَ حَدَثًا عَظِيمًا اهْتَزَّتْ لَهُ أَرْكَانُ قُرَيْشٍ فَقَدْ كَانَ نَبَأُ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ مُذْهِلًا وَمُرَوِّعًا عِنْدَ قُرَيْشٍ إِذْ كَانُوا لا يَتَوَقَّعُونَ انْهِيَارَ حُصُونِ خَيْبَرَ الْمَنِيعَةِ وَلا الْيَهُودُ أَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ غَزْوَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا عَشَرَةَ أَضْعَافِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَهُمُ السِّلاحُ الْكَثِيرُ وَفِي حُصُونٍ مَنِيعَةٍ هُزِمُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْقَلِيلِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَرْضٍ مَكْشُوفَةٍ غَيْرَ مُحَصَّنِينَ وَلا يَمْلِكُونَ السِّلاحَ الْكَافِيَ وَلا الطَّعَامَ الْمَخْزُونَ وَهَذَا لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهِ تَحْتَ لِوَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ يَنْصُرْ دِينَ اللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ.

قِصَّةُ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ شَكَّ الرَّاوِي فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي

فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالنَّاقَةُ الْعُشَرَاءُ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الشِّينِ وَبِالْمَدِّ هِيَ الْحَامِلُ. قَوْلُهُ أَنْتَجَ وَفِي رِوَايَةٍ فَنَتَجَ مَعْنَاهُ تَوَلَّى نِتَاجَهَا وَالنَّاتِجُ لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةِ لِلْمَرْأَةِ. وَقَوْلُهُ وَلَّدَ هَذَا هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ أَيْ تَوَلَّى وِلادَتَهَا وَهُوَ بِمَعْنَى أَنْتَجَ فِي النَّاقَةِ فَالْمُوَلِّدُ وَالنَّاتِجُ وَالْقَابِلَةُ بِمَعْنًى لَكِنْ هَذَا لِلْحَيَوَانِ وَذَاكَ لِغَيْرِهِ. وَقَوْلُهُ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ هُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ أَيِ الأَسْبَابُ. وَقَوْلُهُ لا أَجْهَدُكَ مَعْنَاهُ لا أَشُقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي. وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ لا أَحْمَدُكَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ وَمَعْنَاهُ لا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا قَالُوا لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ أَيْ عَلَى فَوَاتِ طُولِهَا.

قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَمْشِي مُتَبَخْتِرًا

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَ هَذِهِ الأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ كَانَ يَمْشِي مُتَبَخْتِرًا يَنْظُرُ فِي جَانِبَيْهِ أَعْجَبَهُ ثَوْبُهُ وَشَعَرُهُ تَهْيِئَةُ شَعَرِهِ وَحُسْنُ شَعَرِهِ، بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مُتَبَخْتِرًا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ الأَرْضَ فَبَلَعَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا. هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا عِبْرَةً حَتَّى يَعْتَبِرَ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ.

قِصَّةُ امْرَأَةٍ عَرَضَتِ ابْنَتَهَا عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ بِنْتَهَا عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَتْ تَمْدَحُهَا لِلرَّسُولِ بِالْجَمَالِ وَبِأَنَّهَا تَامَّةُ الصِّحَّةِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ لَهَا صُدَاعٌ فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا حَاجَةَ لِي فِيهَا**» وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مُتَقَلِّبًا فِي الرَّاحَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَابَ بِالْبَلاءِ قَلِيلُ الْخَيْرِ فِي الآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ فَالَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا.

قِصَّةُ أَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سُلَيْمٍ

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ

قَالَ لا فَقَالَتْ فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ قَال فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**» قَالَ فَحَمَلَتْ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدِ احْتُبِسْتُ بِمَا تَرَى تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلامًا فَقَالَتْ لِي أُمِّي يَا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالصُّرَعَةُ بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيرًا.

قِصَّةُ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمَ فِي الْمَدِينَةِ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ عَامَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْعٍ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ جَاءَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّكُمْ مُطْلٌ فَلَمْ يُعَنِّفْهُ النَّبِيُّ وَلا أَظْهَرَ الْغَضَبَ مِنْهُ ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ بِوَفَاءِ دَيْنِهِ عَلَى وَجْهِ الإِحْسَانِ. فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكْفَهِرَّ فِي وَجْهِ هَذَا الْيَهُودِيِّ الَّذِي أَهَانَهُ مِنْ ذَمِّهِ وَذَمِّ عَشِيرَتِهِ لِأَنَّ كَلامَهُ شَامِلٌ لَهُ وَلِعَشِيرَتِهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَعَشِيرَتُكَ تُمَاطِلُونَ الدَّيْنَ.

فَأَسْلَمَ هَذَا الْيَهُودِيُّ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ هَلْ يَجِدُ فِيهِ الْعَلامَاتِ الَّتِي هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ مِنْ صِفَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَءَاهَا كُلَّهَا أَسْلَمَ.

قِصَّةُ إِسْلامِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سَيِّدُنَا عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ بنِ نُفَيْلٍ وَأُمُّهُ حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ لَقَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارُوقِ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَسْلَمَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَكَانَ

عُمُرُهُ سِتَّةً وَعِشْرِينَ عَامًا أَسْلَمَ بَعْدَ نَحْوِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَفِي قِصَّةِ إِسْلامِهِ عِدَّةُ رِوَايَاتٍ مِنْهَا مَا ذُكِرَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَحِقْتُ بِهِ فَإِذَا هُوَ فِي الصَّلاةِ فَقُمْتُ خَلْفَهُ فَاسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْحَاقَّةِ فَبَدَأْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ نَظْمِ الْقُرْءَانِ فَقُلْتُ هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ**﴾ [سُورَةَ الْحَاقَّة] فَقَالَ عُمَرُ إِذًا هُوَ كَاهِنٌ فَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ فَقَالَ عُمَرُ وَقَعَ الإِسْلامُ فِي قَلْبِي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَالرِّوَايَةُ الأُخْرَى قِيلَ إِنَّ عُمَرَ خَرَجَ مُتَقَلِّدًا بِالسَّيْفِ فَوَجَدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تَعْمَدُ يَا عُمَرُ قَالَ أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا فَقَالَ وَكَيْفَ تَأْمَنُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَرَاكَ قَدْ تَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى الْعَجَبِ إِنَّ أُخْتَكَ وَخَتَنَكَ أَيْ صِهْرَكَ قَدْ تَرَكَا دِينَكَ فَأَتَاهُمَا عُمَرُ وَكَانُوا يَقْرَؤُونَ ﴿**طَهَ**﴾ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ وَكَانَ عِنْدَهُمْ أَحَدُ الصَّحَابَةِ وَهُوَ الْخَبَّابُ فَطَرَقَ عُمَرُ الْبَابَ وَفَتَحُوا لَهُ فَقَالَ أَسْمِعُونِي فَقَالُوا هُوَ حَدِيثٌ تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا ثُمَّ قَالَ عُمَرُ اتَّبَعْتَ مُحَمَّدًا فَقَالَ لَهُ صِهْرُهُ أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ فَبَدَأَ يَضْرِبُ صِهْرَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا فَجَاءَتْ أُخْتُهُ تُرِيدُ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ زَوْجِهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ مُتَوَكِّلٍ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَتَوَقَّفَ عُمَرُ عَنْ ضَرْبِ صِهْرِهِ ثُمَّ طَلَبَ الصَّحِيفَةَ فَلَمَّا أُعْطِيَتْ لَهُ الصَّحِيفَةُ وَرَأَى فِيهَا ﴿**طَهَ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى**﴾ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾.

فَقَالَ دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَّابُ خَرَجَ وَقَالَ لَهُ أَبْشِرْ يَا عُمَرُ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لَكَ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعَمْرِو بنِ هِشَامٍ أَيْ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ دُلُّونِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ الأَرْقَمِ فِي الصَّفَا وَرَاحَ إِلَى هُنَاكَ وَضَرَبَ الْبَابَ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عُمَرُ فَفَتَحَ الْبَابَ وَتَقَدَّمَ نَحْوَ النَّبِيِّ فَأَخَذَهُ الرَّسُولُ الأَعْظَمُ أَشْجَعُ خَلْقِ اللَّهِ أَخَذَهُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَقَالَ «**أَسْلِمْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اللَّهُمَّ اهْدِهِ**» فَمَا تَمَالَكَ عُمَرُ أَنْ وَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ**» فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

قِصَّةُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنْ مَا تَيَسَّرَ لَهُ الِاجْتِمَاعُ بِالرَّسُولِ كَانَ بِالْيَمَنِ ثُمَّ أَيَّامَ عُمَرَ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ بِسَيِّدِنَا عُمَرَ كَانَ مِنَ الزَّاهِدِينَ الْعَابِدِينَ، مَرَّةً كَانَ يُسَبِّحُ بِالسُّبْحَةِ ثُمَّ نَامَ فَصَارَتِ السُّبْحَةُ تَدُورُ فِي يَدِهِ وَهُوَ نَائِمٌ وَتَقُولُ «**سُبْحَانَكَ يَا مُنْبِتَ النَّبَاتِ وَيَا دَائِمَ الثَّبَاتِ**» ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَنَادَى زَوْجَتَهُ قَالَ يَا أُمَّ مُسْلِمٍ تَعَالَيْ انْظُرِي إِلَى أَعْجَبِ الأَعَاجِيبِ فَلَمَّا جَاءَتْ سَكَتَتِ السُّبْحَةُ. يَا دَائِمَ الثَّبَاتِ مَعْنَاهُ الَّذِي وُجُودُهُ لا نِهَايَةَ لَهُ. أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيُّ كَانَ يُكَذِّبُ الأَسْوَدَ الْعِنْسِيَّ الَّذِي ادَّعَى فِي الْيَمَنِ أَنَّهُ نَبِيٌّ. مَرَّةً أَخَذَهُ الْعِنْسِيُّ فَأَدْخَلَهُ نَارًا فَلَمْ يَحْتَرِقْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يَحْتَرِقْ فَقَالَ لَهُ ابْتَعِدْ عَنْ أَرْضِي، هَذَا سَيِّدُنَا عُمَرُ قَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

قِصَّةُ الْعَلاءِ بنِ الْحَضْرَمِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ بَعْدَمَا تُوُفِّيَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ اسْمُهُ الْعَلاءُ بنُ الْحَضْرَمِيّ هَذَا كَانَ خَرَجَ قَائِدًا فِي الْغَزْوِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ هَذَا الْقَائِدُ جَاءَ لِيُلاحِقَ الْعَدُوَّ الْكُفَّارَ فَمَا وَجَدَ سَفِينَةً يَلْحَقُ بِهَا الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَخَذُوا السُّفُنَ وَهَرَبُوا بِهَا هُوَ أَوَّلًا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ يَا عَلِيُّ يَا كَرِيمُ وَخَاضَ الْبَحْرَ فَلَمْ تَبْتَلَّ رُكْبَتُهُ ثُمَّ قَالَ لِلْجَيْشِ خُوضُوا فَخَاضُوا فَقَطَعُوا مِنْ دُونِ أَنْ يَلْحَقَهُمْ تَعَبٌ ثُمَّ لَحِقُوا الْعَدُوَّ فَظَفِرُوا بِهِمْ وَكَسَرُوهُمْ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ السَّفْرَةِ تُوُفِّيَ هَذَا الْقَائِدُ فِي أَرْضٍ بَرِّيَّةٍ مَفَازَةٍ لَيْسَ فِيهَا سُكَّانٌ حَفَرُوا لَهُ لِأَنَّ إِكْرَامَ الْمَيِّتِ التَّعْجِيلُ بِدَفْنِهِ حَفَرُوا لَهُ فَدَفَنُوهُ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزُوا مَحَلَّ الدَّفْنِ لَقُوا شَخْصًا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ قَالَ لَهُمْ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ قَامُوا عَنْ دَفْنِهِ مَنْ هَذَا الَّذِي دَفَنْتُمُوهُ قَالُوا هَذَا الْعَلاءُ بنُ الْحَضْرَمِيّ فَقَالَ مَا جَزَاءُ صَاحِبِكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهُ بِهَذِهِ الأَرْضِ هَذِهِ الأَرْضُ فِيهَا سِبَاعٌ السِّبَاعُ تَحْفُرُ لِتَأْكُلَ الْجُثَّةَ قَالُوا لا نَتْرُكُهُ هُنَا بِهَذِهِ الأَرْضِ فَرَجَعُوا فَحَفَرُوا فَلَمْ يَجِدُوهُ إِنَّمَا وَجَدُوا الْقَبْرَ مُمْتَدًّا مَدَّ الْبَصَرِ يَتَلاطَمُ نُورًا الْقَبْرُ كُلُّهُ أَنْوَارٌ أَمَّا جَسَدُهُ فَلَمْ يَرَوْهُ رُفِعَ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ، مِثْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ نَادِرَةٌ كَذَلِكَ بَعْضُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ شَاهَدُوا بَعْضَ الْقُبُورِ اتَّسَعَتْ وَامْتَلأَتْ نُورًا أَمَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَوْ فَتَحُوا قَبْرَ وَلِيٍّ لا يَرَوْنَ هَذِهِ الأَنْوَارَ وَلا يَرَوْنَ هَذَا الِاتِّسَاعَ.

قِصَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

كَانَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَمَا كَانَ دُونَ الْبُلُوغِ وَمِنْ شِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي الِاطِّلاعِ عَلَى أَعْمَالِ الرَّسُولِ بَاتَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ لِأَنَّ خَالَتَهُ مَيْمُونَةَ إِحْدَى أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَمَّا قَامَ الرَّسُولُ بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ لِيَتَهَجَّدَ أَيْ لِيُصَلِّيَ لِرَبِّهِ تَطَوُّعًا وَتَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَتَوَضَّأَ وَوَقَفَ إِلَى جَانِبِ الرَّسُولِ كَانَ هُوَ وَقَفَ عَلَى يَسَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدَارَهُ مَسَكَ أُذُنَهُ فَأَدَارَهُ إِلَى الْيَمِينِ كَانَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ يُسَمِّيهِ فَتَى الْكُهُولِ لِأَنَّ النَّاسَ الْكِبَارَ فِي السِّنِّ قَالُوا إِنَّ عُمَرَ يُدْنِي عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبَّاسٍ الَّذِي هُوَ صَغِيرُ السِّنِّ وَلا يُدْنِي أَوْلادَنَا عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ فَتَى الْكُهُولِ هَذَا لَوْ كَانَ عُمُرُهُ صَغِيرًا لَكِنَّهُ كَامِلَ الْعَقْلِ. هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي هُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلامُ

سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَهُ بَعْضُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ أَتْبَاعِ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ قَطَعُوا لَهُ رَأْسَهُ فِي كَرْبَلاءَ ثُمَّ أَخَذُوا رَأْسَهُ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى دِمَشْقَ لِيُرُوا يَزِيدَ حَتَّى يَفْرَحَ ثُمَّ وُضِعَ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ مَشْهَدُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ حُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَدُفِنَ هُنَاكَ، أَوَّلًا رَأْسُهُ حُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ. الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ أَيْ بَكَى عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ وَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ.

مَرَّةً مَلَكُ الْقَطْرِ أَيْ مَلَكُ الْمَطَرِ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَزُورَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَأَذِنَ لَهُ فَنَزَلَ لِزِيَارَتِهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ طِفْلًا صَغِيرًا فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ أَطْبِقِي عَلَيْنَا الْبَابَ حَتَّى لا يَدْخُلَ أَحَدٌ فَجَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مِنْ دُونِ انْتِبَاهٍ مِنْهَا فَالْتَزَمَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ ضَمَّهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ أَتُحِبُّهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ وَإِنْ شِئْتَ أُرِيكَ التُّرْبَةَ الَّتِي سَيُقْتَلُ عِنْدَهَا ثُمَّ مَدَّ هَذَا الْمَلَكُ يَدَهُ إِلَى كَرْبَلاءَ وَأَحْضَرَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ مِنْ تُرَابِهَا فَأَرَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَخَذَتْ أُمُّ سَلَمَةَ هَذَا التُّرَابَ فَصَرَّتْهُ فِي صُرَّةٍ ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَهَرَتِ النُّجُومُ فِي النَّهَارِ، الْحُسَيْنُ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ. صَفِيَّةُ عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ وَهِيَ تَرْثِي رَسُولَ اللَّهِ بَكَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَبَكَاهُ نَدِيمُهُ جِبْرِيلُ. وَلَمَّا مَاتَ الْحُسَيْنُ كَانَ يُرَى تَحْتَ الْحَجَرِ الَّذِي يُرْفَعُ دَمٌ. ثُمَّ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ فَهُوَ شَبِيهٌ بِنَبِيِّ

اللَّهِ يَحْيَى، يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَتَلَهُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ أَفْتَاهُ بِحَقٍّ قَالَ لَهُ لا يَجُوزُ التَّزَوُّجُ بِبِنْتِ الأُخْتِ وَهُنَاكَ قَوْلٌ إِنَّهَا رَبِيبَةٌ، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ طَامِعًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَ أُخْتِهِ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ لا يَجُوزُ لَكَ فَحَرَّضَتْهُ أُمُّهَا عَلَى قَتْلِ يَحْيَى حَتَّى تَبْقَى ابْنَتُهَا تَحْتَهُ لِأَنَّ ابْنَتَهَا إِذَا كَانَتْ تَحْتَ هَذَا الرَّجُلِ تَكُونُ هِيَ مَلِكَةً حَرَّضَتْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقُطِعَ رَأْسُهُ فَحُمِلَ إِلَيْهِ فَقَطَرَ دَمُهُ عَلَى الأَرْضِ فَصَارَ هَذَا الدَّمُ يَغْلِي وَلا يَجِفُّ وَعَادَةُ الدَّمُ إِذَا نَزَلَ عَلَى الأَرْضِ يَجِفُّ ثُمَّ اللَّهُ سَلَّطَ عَلَى هَذَا الْمَلِكِ مَلِكًا جَبَّارًا كَافِرًا فَقَتَلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ جُنُودِ هَذَا الْمَلِكِ.

كَثِيرٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَتَلَهُمُ الْكُفَّارُ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهَا قَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لَوْ كَانَ لَهَا قَدْرٌ لا يُصَابُ نَبِيٌّ بِمُصِيبَةٍ الآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ لِأَوْلِيَائِهِ وَلِأَعْدَائِهِ.

قِصَّةُ الإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سَيِّدُنَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِيُّ بنُ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ السَّجَّادُ كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ خِلْقَةً وَمِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا وَمِنْ أَسْخَى النَّاسِ النَّاسُ مِنْ حُسْنِ حَالِهِ وَمَنْظَرِهِ كَانُوا يَهَابُونَهُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُلُوكِ هَذَا أَهَانَهُ شَخْصٌ فِي وَجْهِهِ فَسَكَتَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ مَا انْتَقَمَ مِنْهُ فَذَاكَ لَمَّا وَجَدَهُ لا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ إِيَّاكَ أَعْنِي فَقَالَ وَعَنْكَ أُغْضِي، وَعَنْكَ أُغْضِي مَعْنَاهُ أَنَا عَمْدًا أَسْكُتُ عَنْكَ لا أُعَامِلُكَ بِالْمِثْلِ فَذَلِكَ الرَّجُلُ تَرَاجَعَ فِي نَفْسِهِ وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ قَالَ فِي نَفْسِهِ أَنَا عَامَلْتُهُ بِالشَّتْمِ وَالإِهَانَةِ وَهُوَ مَا قَابَلَنِي بِالْمِثْلِ بَلْ أَغْضَى عَنِّي فَوَبَّخَ نَفْسَهُ لامَ نَفْسَهُ.

قِصَّةُ صَحَابِيٍّ رَأَى امْرَأَةً أَعْجَبَتْهُ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَأَى امْرَأَةً أَعْجَبَتْهُ فَصَارَ يُتْبِعُهَا نَظَرَهُ ثُمَّ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ اصْطَدَمَ وَجْهُهُ بِجِدَارٍ فَسَالَ دَمُهُ فَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**اللَّهُ أَرَادَ بِكَ خَيْرًا وَإِنَّ هَذَا جَزَاءُ تِلْكَ النَّظْرَةِ**» فَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ اللَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى مَعَاصِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا أَكْثَرُ النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَخِّرُ لَهُمْ عُقُوبَتَهُمْ إِلَى الآخِرَةِ لَكِنَّ الَّذِي يُجَازِيهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الَّذِي يُؤَخِّرُ لَهُ الْعَذَابَ إِلَى الآخِرَةِ، لِأَنَّ هَذَا بِهَذِهِ الْمَصَائِبِ تَسْقُطُ عَنْهُ الْعُقُوبَةُ فِي الآخِرَةِ.

قِصَّةُ مَلِكِ الْفُرْسِ

مَلِكُ الْفُرْسِ كَانَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ لِلرِّئَاسَةِ اسْتَعْجَلَ مَوْتَ أَبِيهِ فَقَتَلَهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ اعْتِمَادًا عَلَى ذَلِكَ قَتَلَ أَبَاهُ. أَبُوهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ ابْنَهُ هَذَا يَقْتُلُهُ لِمَا رَأَى مِنْهُ مِنْ عَلامَاتِ ذَلِكَ هُوَ أَيْضًا دَبَّرَ لَهُ مَكِيدَةً الأَبُ وَضَعَ سُمَّ سَاعَةٍ فِي حُقَّةٍ وَكَتَبَ عَلَيْهِ هَذَا مُقَوٍّ لِلْجِمَاعِ وَوَضَعَهُ فِي مَحَلِّ الذَّخَائِرِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُ الْمُلُوكُ الأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ الْغَالِيَةَ وَكَتَبَ عَلَيْهِ هَذَا مُقَوٍّ، بَعْدَمَا قَتَلَ أَبَاهُ مَلَكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ هَذَا نَظَرَ فِي الْخَزَائِنِ فَوَجَدَ هَذِهِ الْحُقَّةَ وَوَجَدَ عَلَيْهَا كِتَابَةً هَذَا مُقَوٍّ فَاسْتَعْمَلَهُ فَقَتَلَهُ هَذَا السُّمُّ.

ذِكْرُ قِصَّةِ سَيِّدِنَا الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَفْتَى وَعُمُرُهُ نَحْوُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً

سَيِّدُنَا الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الإِمَامُ الْمُجْتَهِدُ نَاصِرُ السُّنَّةِ الْمُجَدِّدُ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ بنِ الْعَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِبِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ بنِ هَاشِمِ بنِ الْمُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ الشَّافِعِيُّ نِسْبَةً لِشَافِعٍ جَدِّهِ الثَّالِثِ الَّذِي كَانَ صَحَابِيًّا ابْنَ صَحَابِيٍّ. كَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمُرُهُ نَحْوَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً كَانَ يَدْرُسُ الْعِلْمَ عِنْدَ الإِمَامِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَاتَّفَقَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى مَالِكٍ فَاسْتَفْتَاهُ قَالَ لَهُ إِنِّي حَلَفْتُ بِالطَّلاقِ أَنَّ هَذَا الْقُمْرِيَّ لا يَهْدَأُ مِنْ صِيَاحٍ فَنَظَرَ مَالِكٌ فَأَدَّاهُ نَظَرُهُ وَاجْتِهَادُهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ حَنِثَ فِي حَلِفِهِ فَطَلَقَتِ امْرَأَتُهُ لِأَنَّ الْقُمْرِيَّ لا بُدَّ أَنْ يَهْدَأَ مِنْ صِيَاحٍ لَيْسَ كُلَّ سَاعَةٍ يَصِيحُ فَأَفْتَاهُ بِطَلاقِ امْرَأَتِهِ. فَعَلِمَ الشَّافِعِيُّ بِهَذِهِ الْفَتْوَى فَاجْتَهَدَ الشَّافِعِيُّ فَلَمْ يُوَافِقْ عَلَيْهَا قَالَ الشَّافِعِيُّ الشَّخْصُ مُرَادُهُ بِقَوْلِهِ إِنَّ هَذَا الْقُمْرِيَّ لا يَهْدَأُ مِنْ صِيَاحٍ أَنَّهُ كَثِيرُ الصِّيَاحِ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ فَتْرَةٌ يَسْكُتُ فِيهَا مِنَ الصِّيَاحِ وَأَنَّ الطَّلاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَى زَوْجَتِهِ لِأَنَّهُ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ يَصِيحُ وَفِي بَعْضٍ مِنْهَا لا يَصِيحُ فَلَمْ يَحْصُلِ الطَّلاقُ لِأَنَّهُ فِي الْعُرْفِ يُقَالُ لَهُ لا يَهْدَأُ مِنْ صِيَاحٍ فَلَمْ يَحْنَثْ فِي حَلِفِهِ مَا انْكَسَرَ حَلِفُهُ قَالَ لَهُ لَمْ تَطْلُقِ امْرَأَتُكَ هُوَ الشَّافِعِيُّ أَخَذَ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ حَدِيثٍ صَحِيحِ الإِسْنَادِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَاسْتَشَارَتْهُ لِلتَّزَوُّجِ بِرَجُلَيْنِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو جَهْمٍ وَرَجُلٌ ءَاخَرُ هُوَ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**» يَعْنِي أَنَّهُ ضَرَّابٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ «**وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ عَلَيْكِ بِفُلانٍ**» سَمَّى لَهَا شَخْصًا ثَالِثًا. الشَّافِعِيُّ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ اسْتَخْرَجَ أَنَّ هَذَا الْقُمْرِيَّ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لا يَهْدَأُ بِالْمَرَّةِ مِنَ الصِّيَاحِ إِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ كَثِيرُ الصِّيَاحِ مَا دَامَ مُسْتَيْقِظًا الصِّيَاحُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ صِيَاحُهُ يَغْلِبُ عَلَى سُكُوتِهِ فَلا

يَحْنَثُ هَذَا الرَّجُل الَّذِى عَلَّقَ طَلاقَ زَوْجَتِهِ. كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ لَمَّا قَالَ «**أَمَّا أَبُو جْهَمٍ فَلا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**» مَا أَرَادَ أَنَّهُ فِى حَالِ النَّوْمِ وَفِى حَالِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَفِى حَالِ الصَّلاةِ يَظَلُّ حَامِلًا عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ مَا عَنَى ذَلِكَ إِنَّمَا عَنَى أَنَّهُ كَثِيرُ الْحَمْلِ لِلْعَصَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ حَمْلُ الْعَصَا عَلَى عَاتِقِهِ فَالشَّافِعِىُّ مِنْ هُنَا اسْتَخْرَجَ فَتْوَى لِهَذَا الرَّجُلِ. فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى مَالِكٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَهُنَا فَتًى يَقُولُ لَمْ تَطْلُقِ امْرَأَتُكَ فَقَالَ عَلَيَّ بِهِ فَحَضَرَ الشَّافِعِىُّ فَقَالَ «مِنْ أَيْنَ قُلْتَ مَا قُلْتَ» فَقَالَ لَهُ «مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِى أَنْتَ حَدَّثْتَنَا أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ جَاءَتْ إِلَى الرَّسُولِ فَقَالَتْ «إِنَّ أَبَا جَهْمٍ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِى» فَقَالَ الرَّسُولُ «**أَمَّا أَبُو جْهَمٍ فَإِنَّهُ لا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**» أَنَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَخَذْتُ فَسَكَتَ مَالِكٌ مَا عَارَضَهُ لِأَنَّهُ وَجَدَ مَعَهُ حُجَّةً.

هُنَا قَرِيحَةُ الشَّافِعِيّ الَّذِى هُوَ تِلْمِيذُ مَالِكٍ طَلَعَتْ أَقْوَى مِنْ قَرِيحَةِ مَالِكٍ. أَدْرَكَ الشَّافِعِيُّ مَا لَمْ يُدْرِكْ مَالِكٌ مَعَ أَنَّ مَالِكًا أُسْتَاذُهُ وَأَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا لَكِنَّ الْعِلْمَ مَوَاهِبُ مِنَ اللَّهِ وَالْقَرَائِحَ مَوَاهِبُ مِنَ اللَّهِ.

قِصَّةُ وَالِى سِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

أَهْلُ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ كَانَ يُواسِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ قَرَأَ التَّوَارِيخَ يُوجَدُ رَجُلٌ كَانَ فِى الْقَرْنِ الثَّانِى الْهِجْرِيّ وَالِيًا عَلَى سِجِسْتَانَ بَلَدٍ مِنْ بِلادِ الْعَجَمِ اسْمُهَا سِجِسْتَانُ يُسَمَّى طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ هَذَا الْوَالِى كَانَ كَرِيمًا ذَا مُرُوءَةٍ حُكِىَ أَنَّهُ زَوَّجَ مِائَةَ عَرَبِيَّةٍ فِى تِلْكَ الْبِلادِ بِمِائَةِ عَرَبِيّ مَعَ تَحَمُّلِ الْكُلَفِ عَنْهُمْ. مِثْلُ هَذَا الْيَوْمَ أَيْنَ الَّذِى يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ.

كَسْرُ النَّفْسِ وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ
وَقِصَّةُ دِينَارِ الْعِيَارِ

يُحْكَى أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُعْرَفُ بِدِينَارِ الْعِيَارِ وَكَانَ لَهُ وَالِدَةٌ صَالِحَةٌ تَعِظُهُ وَهُوَ لا يَتَّعِظُ فَمَرَّ فِى بَعْضِ الأَيَّامِ بِمَقْبَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا عَظْمًا تَفَتَّتَ فِى يَدِهِ فَفَكَّرَ فِى نَفْسِهِ. وَقَالَ وَيْحَكَ يَا دِينَارُ كَأَنِّى بِكَ وَقَدْ صَارَ عَظْمُكَ هَكَذَا رُفَاتًا وَالْجِسْمُ تُرَابًا فَنَدِمَ عَلَى تَفْرِيطِهِ وَعَزَمَ عَلَى التَّوْبَةِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ الدُّعَاءِ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ إِلَهِى وَسَيِّدِى أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ أَمْرِى فَاقْبَلْنِى وَارْحَمْنِى ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ أُمِّهِ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ فَقَالَ يَا أُمَّاهُ مَا يُصْنَعُ بِالْعَبْدِ الآبِقِ إِذَا أَخَذَهُ سَيِّدُهُ قَالَتْ يُخَشِّنُ مَلْبَسَهُ وَمَطْعَمَهُ وَيَغِلُّ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ. فَقَالَ أُرِيدُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ وَافْعَلِى بِى كَمَا يُفْعَلُ بِالْعَبْدِ الآبِقِ فَفَعَلَتْ بِهِ مَا أَرَادَ فَكَانَ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَخَذَ فِى الْبُكَاءِ الشَّدِيدِ وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ

وَيْحَكَ يَا دِينَارُ أَلَكَ قُوَّةٌ عَلَى النَّارِ كَيْفَ تَعَرَّضْتَ لِغَضَبِ الْجَبَّارِ وَلا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى الصَّبَاحِ فَقَالَتْ أُمُّهُ يَا بُنَيَّ ارْفِقْ بِنَفْسِكَ قَالَ دَعِينِي أَتْعَبُ قَلِيلًا لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ طَوِيلًا يَا أُمَّاهُ إِنَّ لِي غَدًا مَوْقِفًا طَوِيلًا بَيْنَ يَدَيْ رَبٍّ جَلِيلٍ وَلا أَدْرِي أَيُؤْمَرُ بِي إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ أَوْ إِلَى شَرٍّ مَقِيلٍ. قَالَتْ يَا بُنَيَّ خُذْ لِنَفْسِكَ رَاحَةً قَالَ لَسْتُ لِلرَّاحَةِ أَطْلُبُ كَأَنَّكِ يَا أُمَّاهُ غَدًا بِالْخَلائِقِ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنَا أُسَاقُ إِلَى النَّارِ مَعَ أَهْلِهَا. فَتَرَكَتْهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ فِي الْبُكَاءِ وَالْعِبَادَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ فَقَرَأَ بَعْضَ اللَّيَالِي ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سُورَةَ الْحجر] فَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْعَظِيمَةِ ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ وَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ فَنَادَتْهُ فَلَمْ يُجِبْهَا فَقَالَتْ لَهُ يَا حَبِيبِي وَقُرَّةَ عَيْنِي أَيْنَ الْمُلْتَقَى.

فَقَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَا أُمَّاهُ إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فِي مَوَاقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَاسْأَلِي مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ عَنِّي ثُمَّ شَهَقَ شَهْقَةً فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَغَسَّلَتْهُ أُمُّهُ وَجَهَّزَتْهُ وَخَرَجَتْ تُنَادِي أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى الصَّلاةِ عَلَى قَتِيلِ النَّارِ فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ يُرَ أَكْثَرَ جَمْعًا وَلا أَغْزَرَ دَمْعًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَلَمَّا دَفَنُوهُ نَامَ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَرَءَاهُ يَمْشِي فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ يَقْرَأُ الآيَةَ ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ وَيَقُولُ وَعِزَّتِهِ وَجَلالِهِ سَأَلَنِي وَرَحِمَنِي وَغَفَرَ لِي وَتَجَاوَزَ عَنِّي أَلا أَخْبِرُوا عَنِّي أُمِّي.

قِصَّةُ الْوَلِيِّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أَبِي نُعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبِي نُعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ حَبَسَهُ الْحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ لِيَمُوتَ بِالْجُوعِ أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِالْجُوعِ وَشَدَّدَ حِرَاسَةَ السِّجْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ أَنْ يُدْخَلَ إِلَيْهِ بِأَكْلٍ أَوْ شَرَابٍ بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فُتِحَ السِّجْنُ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَوَجَدُوهُ قَائِمًا يُصَلِّي، اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُ لَذَّةً بِدُونِ أَكْلٍ وَبِدُونِ شَرَابٍ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ظَلَّ يَتَطَوَّعُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ فَلَمَّا أُخْبِرَ الْحَجَّاجُ بِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ قَائِمًا يُصَلِّي هُوَ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَأَنَّهُ يَكُونُ صَارَ جِيفَةً أَيْ أَنْتَنَ وَانْتَفَخَ كَأَغْلَبِ النَّاسِ إِذَا مَاتُوا بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَنْتَفِخُونَ تَتَفَسَّخُ أَبْدَانُهُمْ يَخْرُجُ مِنْهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ تَكُونُ رَائِحَةُ الْمَيِّتِ عَلَى حَسَبِ الْعَادَةِ مُنْتِنَةً مُنْتِنَةً جِدًّا هَذَا لَمَّا وَجَدُوهُ عَلَى خِلافِ مَا ظَنَّ هُوَ هَذَا الْحَجَّاجُ الظَّالِمُ دَخَلَ قَلْبَهُ شَيْءٌ فَأَعْفَاهُ مِنَ الْقَتْلِ مَا عَاقَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَهُ أَخْلَى سَبِيلَهُ، هَذَا الْوَلِيُّ يُسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ أَبِي نُعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

صَدِيقُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُمَا اللَّهُ

قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ فِي الْمِائَةِ الأُولَى مِنْ تَارِيخِ الْهِجْرَةِ كَانَ رَجُلٌ يَعْمَلُ فِي قَصْرِ الْحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ فَرَأَى جَارِيَةً عَلِقَتْ نَفْسُهُ بِهَا وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ ذَاتَ يَوْمٍ انْكَبَّ مِنْ يَدِ رَجُلٍ زِقُّ عَسَلٍ فَصَارَتِ الأَطْفَالُ يَأْكُلُونَ مِنَ هَذَا الْعَسَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ أَخْزَى اللَّهُ إِبْلِيسَ يَسُبُّونَ إِبْلِيسَ وَيَأْكُلُونَ مِنْ هَذَا الْعَسَلِ فَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ فِي قَصْرِ الْحَجَّاجِ قُولُوا جَزَى اللَّهُ إِبْلِيسَ خَيْرًا لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ بِأَكْلِكُمْ مِنْ هَذَا الْعَسَلِ وَلا تَقُولُوا أَخْزَى اللَّهُ إِبْلِيسَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَظَهَرَ لَهُ إِبْلِيسُ مُتَشَكِّلًا فَقَالَ لَهُ أَنْتَ لَكَ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ مَعْنَاهُ لَكَ عِنْدِي حَقٌّ بِالْمُكَافَأَةِ، مَتَى مَا أَرَدْتَ لِقَائِي فَالْعَلامَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَذَا فَصَارَ هَذَا الرَّجُلُ مَعْرُوفًا صَارَ يُقَالُ لَهُ صَدِيقُ إِبْلِيسَ، مِنْ كَثْرَةِ مَا تُقْضَى حَاجَاتُ النَّاسِ عَلَى يَدِهِ بِسَبَبِ إِبْلِيسَ ثُمَّ هَذَا الرَّجُلُ تَذَكَّرَ مَا قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ أَقْصِدُ إِبْلِيسَ لِأَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْبِنْتِ إِبْلِيسُ أَعْطَاهُ عَلامَةً قَالَ لَهُ افْعَلْ كَذَا وَكَذَا فَأَحْضُرُ فَطَلَبَهُ فَحَضَرَ فَشَكَى لَهُ فَصَارَ إِبْلِيسُ يُحْضِرُهَا لَهُ فِي اللَّيْلِ ثُمَّ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَرُدُّهَا إِلَى قَصْرِ الْحَجَّاجِ ثُمَّ الْحَجَّاجُ ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى هَذِهِ الْبِنْتَ مُكْتَئِبَةً فَقَالَ لَهَا مَا بَالُكِ فَقَصَّتْ لَهُ قِصَّتَهَا وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّهَا تُسَاقُ فِي اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَيَزْنِي بِهَا ثُمَّ تُعَادُ فَقَالَ لَهَا الْحَجَّاجُ إِنْ عَادَ فَأَخَذَكِ فَخُذِي مَعَكِ هَذَا الصِّبْغَ فَاصْبُغِي بِهِ بَابَ بَيْتِهِ، فَفَعَلَتْ ثُمَّ هُوَ أَرْسَلَ الْعَسْكَرَ لِيُفَتِّشُوا فَفَتَّشُوا فَوَجَدُوا بَيْتًا عَلَيْهِ هَذَا الصِّبْغُ الْخَاصُّ فَأَخَذُوا هَذَا الرَّجُلَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَبَيْنَمَا هُوَ هُنَاكَ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَهُ أَنْقَذَهُ مِنَ الْقَتْلِ أَخَذَهُ فِي الْهَوَاءِ وَغَيَّبَهُ لا يُعْرَفُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَبَرٌ وَلَوْ وَجَدَهُ الْحَجَّاجُ لَقَتَلَهُ، إِبْلِيسُ شَكَرَهُ لِهَذِهِ لِأَنَّهُ نَهَى الأَطْفَالَ عَنْ سَبِّ إِبْلِيسَ وَقَالَ لَهُمْ هَذَا الْعَسَلُ بِسَبَبِ إِبْلِيسَ حَصَّلْتُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ قُولُوا جَزَى اللَّهُ إِبْلِيسَ خَيْرًا فَكَفَرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ صَارَ لَهُ عِنْدَ إِبْلِيسَ مَنْزِلَةٌ كَبِيرَةٌ إِبْلِيسُ فَرِحَ مِنْهُ فَسَاعَدَهُ. لا يُغْتَرُّ بِالشَّخْصِ إِذَا كَانَ يَحْصُلُ عَلَى يَدِهِ شِفَاءٌ لِلْمَجَانِينِ وَأَصْحَابِ الْعَاهَاتِ إِلَّا أَنْ يُعْرَفَ حَالُهُ، إِنْ وُجِدَ مُسْتَقِيمًا بِطَاعَةِ اللَّهِ يُظَنُّ بِهِ الْوِلايَةُ وَإِلَّا لا يُظَنُّ بِهِ الْوِلايَةُ.

قِصَّةُ زُبَيْدَةَ امْرَأَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ

زُبَيْدَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ وَهِيَ امْرَأَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَمِلَتْ عَمَلًا كَبِيرًا أَجْرَتِ الْمَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ إِلَى عَرَفَاتٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ زُبَيْدَةَ لَوْلا هَذَا الْمَاءُ لَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُجَّاجِ هِيَ عَمِلَتْ ذَلِكَ لِوَجْهِ اللَّهِ رَأَتْ مَنَامًا فَقَصَّتْ لِمُعَبِّرٍ عَالِمٍ يَعْرِفُ التَّعْبِيرَ فَقَالَ لَهَا تَعْمَلِينَ عَمَلًا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ فَأَجْرَتْ هَذَا الْمَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ تَحْتَ الأَرْضِ إِلَى الآنَ هَذَا

الْمَاءُ مَوْجُودٌ، فِي الْمَاضِي نِسَاءُ الْمُلُوكِ كُنَّ يَعْمَلْنَ مَبَرَّاتٍ فِيهَا خِدْمَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَمَّا الْيَوْمَ صَارَ التَّنَافُسُ بَيْنَهُنَّ فِي بِنَاءِ الْقُصُورِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

قِصَّةُ وَلَدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ

الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ عَاشَ غَرِيبًا وَمَاتَ غَرِيبًا. بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَافَقَ الزُّهَّادَ وَالْعُبَّادَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ وَيَقُولُ «قَدْ كُنْتُمْ قَبْلَنَا وَقَدْ كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ الدُّنْيَا فَمَا أَرَاهَا مُنْجِيَتَكُمْ وَقَدْ صِرْتُمْ إِلَى قُبُورِكُمْ» وَيَبْكِي بِكُاءً شَدِيدًا وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ دَخَلَ الْقَصْرَ وَهُوَ يَلْبَسُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ وَفِي الْقَصْرِ الْخَلِيفَةُ أَيْ أَبُوهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَالْوُزَرَاءُ وَكِبَارُ الدَّوْلَةِ فَصَارُوا يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُسْتَغْرِبِينَ دُخُولَهُ بِهَذَا الثَّوْبِ وَهُوَ وَلَدُ الْخَلِيفَةِ فَلَمَّا عُوتِبَ بِذَلِكَ أَجَابَهُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ إِذْ نَظَرَ إِلَى طَائِرٍ وَهُوَ عَلَى شُرَافَةٍ مِنْ شَرَارِيفِ الْقَصْرِ وَقَالَ أَيُّهَا الطَّائِرُ بِحَقِّ الَّذِي خَلَقَكَ إِلَّا جِئْتَ عَلَى يَدَيَّ فَانْقَضَّ الطَّائِرُ فِي الْحَالِ عَلَى كَفِّهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمُ الْعِبْرَةُ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَيْسَتِ الْعِبْرَةُ بِالثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ، وَفَارَقَ الْقَصْرَ وَلَمْ يَتَزَوَّدْ بِشَيْءٍ إِلَّا مُصْحَفٍ وَخَاتَمٍ وَصَارَ يَعْمَلُ مَعَ الْفَعَلَةِ فِي الطِّينِ وَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلَ عَشَرَةِ رِجَالٍ فَأَدْهَشَ صَاحِبَ الْعَمَلِ فَتَوَقَّفَ صَاحِبُ الْعَمَلِ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَرَءَاهُ يَأْخُذُ كَفًّا مِنَ الطِّينِ وَيَضَعُهُ عَلَى الْحَائِطِ وَالْحِجَارَةُ وَحْدَهَا يَتَرَكَّبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ هَكَذَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مُعَانُونَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ذَهَبَ أَبُو عَامِرٍ وَهُوَ صَاحِبُ الْعَمَلِ إِلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَإِذَا تَحْتَ رَأْسِهِ نِصْفُ حَجَرَةٍ وَهُوَ فِي حَالِ الْمَوْتِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثَانِيَةً فَعَرَفَنِي فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ وَجَعَلْتُهَا فِي حِجْرِي فَمَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ

يَا صَاحِبِي لا تَغْتَرِرْ بِتَنَعُّمٍ فَالْعُمْرُ يَنْفَدُ وَالنَّعِيمُ يَزُولُ

وَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جِنَازَةً فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولُ

ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا عَامِرٍ إِذَا فَارَقَتْ رُوحِي جَسَدِي فَغَسِّلْنِي وَكَفِّنِّي فِي جُبَّتِي هَذِهِ فَقُلْتُ يَا حَبِيبِي وَلِمَ لا أُكَفِّنُكَ فِي ثِيَابٍ جَدِيدَةٍ فَقَالَ لِي الْحَيُّ أَحْوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ الثِّيَابُ تَبْلَى وَالْعَمَلُ يَبْقَى وَخُذْ هَذَا الْمُصْحَفَ وَالْخَاتَمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحُهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

فَذَهَبَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى بَغْدَادَ وَانْتَظَرَ خُرُوجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ مِنْ قَصْرِهِ فَقَالَ لَهُ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَا وَقَفْتَ لِي قَلِيلًا وَدَفَعَ إِلَيْهِ بِالْمُصْحَفِ وَالْخَاتَمِ وَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ وَلَدِهِ الْغَرِيبِ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْبَلَ دَمْعَتَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَنْتَ غَسَّلْتَهُ بِيَدِكَ فَقَالَ أَبُو عَامِرٍ نَعَمْ فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ فَأَخَذَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي كَيْفَ كَفَّنْتَ الْعَزِيزَ الْغَرِيبَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ

يَا غَرِيبًا عَلَيْهِ قَلْبِي يَذُوبُ وَلِعَيْنِي عَلَيْهِ دَمْعٌ سَكُوبُ

يَا بَعِيدَ الْمَكَانِ حُزْنِي قَرِيبُ كَدَّرَ الْمَوْتُ كُلَّ عَيْشٍ يَطِيبُ

قَالَ ثُمَّ تَجَهَّزَ وَخَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ فَلَمَّا رَءَاهُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ أَنْشَدَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ

يَا غَائِبًا لا يَؤُبُ مِنْ سَفَرِهْ عَاجَلَهُ مَوْتُهُ عَلَى صِغَرِهْ

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ كُنْتَ لِي أُنْسًا فِي طُولِ لَيْلِي نَعَمْ وَفِي قِصَرِهْ

شَرِبْتَ كَأْسًا أَبُوكَ شَارِبُهَا لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهَا عَلَى كِبَرِهْ

أَشْرَبُهَا وَالأَنَامُ كُلُّهُمْ مَنْ كَانَ مِنْ بَدْوِهِ وَمِنْ حَضَرِهْ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ قَدْ كَانَ هَذَا الْقَضَاءُ مِنْ قَدَرِهْ

قَالَ أَبُو عَامِرٍ فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ قَضَيْتُ وِرْدِي وَنِمْتُ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قُبَّةً مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا سَحَابٌ مِنْ نُورٍ وَإِذَا قَدْ كُشِفَ السَّحَابُ فَإِذَا الْغُلامُ يُنَادِي يَا أَبَا عَامِرٍ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَقُلْتُ يَا وَلَدِي إِلَى مَاذَا صِرْتَ قَالَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ أَعْطَانِي مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

قِصَّةُ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْخُلَفَاءِ

رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْخُلَفَاءِ بَعْدَمَا مَاتَ أَبُوهُ الَّذِي هُوَ خَلِيفَةٌ سُرِّيَّةٌ لَهُ كَانَ لَهَا مَالٌ كَثِيرٌ فَابْنُهُ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ أَوْلادِ الْخَلِيفَةِ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ لِلْمَالِ عَذَّبَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ تُحْسِنُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ ابْنُهَا كَانَتْ تَرْعَاهُ وَتَبَرُّهُ وَتُحْسِنُ إِلَيْهِ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ وَهِيَ لَهَا مَالٌ كَثِيرٌ طَالَبَهَا بِأَنْ تُعْطِيَهُ مَالَهَا فَأَبَتْ عَلَيْهِ فَعَلَّقَهَا جَعَلَ رَأْسَهَا أَسْفَلَ وَرِجْلَيْهَا أَعْلَى حَتَّى تَدْفَعَ لَهُ مَالَهَا حَتَّى إِنَّهَا بَالَتْ وَهِيَ مَصْلُوبَةٌ مُعَلَّقَةٌ بَوْلُهَا نَزَلَ إِلَى فَمِهَا. إِلَى هَذَا الْحَدِّ حُبُّ الْمَالِ يَفْعَلُ، كَانَتِ امْرَأَةً شَرِيفَةً أَيْ مُحْتَرَمَةً كَانَ يُقَالُ لَهَا سَيِّدَة.

قِصَّةُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مِنَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ الأَتْقِيَاءِ مَنْ كَانَ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنَ الصَّلاةِ فِي الْقَبْرِ قَالَ فِي دُعَائِهِ «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ مَكَّنْتَ أَحَدًا مِنَ الصَّلاةِ فِي الْقَبْرِ فَمَكِّنِّي مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ**». بَعْدَمَا تُوُفِّيَ شَاهَدَهُ النَّاسُ يَقَظَةً يُصَلِّي وَهُوَ فِي قَبْرِهِ يَقَظَةً لَيْسَ مَنَامًا هَذَا يُقَالُ لَهُ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ هَذَا مَا رَأَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنْ رَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ لازَمَ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي خَدَمَ الرَّسُولَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ بِالْمَدِينَةِ رَءَاهُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْمَ

وَكَانَ يُحِبُّهُ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ لازَمَهُ مُلازَمَةً شَدِيدَةً كَانَ عَابِدًا تَقِيًّا عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ كَانَ يُقَالُ لَهُ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ. قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ مَكَّنْتَ أَحَدًا مِنَ الصَّلاةِ فِي الْقَبْرِ فَمَكِّنِّي مِنَ الصَّلاةِ فِي قَبْرِي اللَّهُ تَعَالَى حَقَّقَ لَهُ دَعْوَتَهُ فَشَاهَدَهُ النَّاسُ عِيَانًا وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ.

قِصَّةُ تَوْبَةِ مَالِكِ بنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

مِمَّا يُحْكَى مِنْ قِصَّةِ مَنْ تَابَ مِمَّنْ قَبْلَنَا قِصَّةُ مَالِكِ بنِ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَصْلِ تَوْبَتِهِ فَقَالَ وُلِدَ لِي بِنْتٌ فَشُغِفْتُ بِهَا فَلَمَّا دَبَّتْ عَلَى الأَرْضِ ازْدَادَتْ فِي قَلْبِي حُبًّا فَكُنْتُ إِذَا وَضَعْتُ الْمُسْكِرَ جَاءَتْ إِلَيَّ وَجَاذَبَتْنِي إِيَّاهُ فَوَقَعَ عَلَى ثَوْبِي فَلَّمَا تَمَّ لَهَا سَنَتَانِ مَاتَتْ فَحَزِنْتُ كَثِيرًا وَبِتُّ ثَمِلاً مِنَ الْخَمْرِ. فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ قَدْ خَرَجُوا وَحُشِرَ الْخَلائِقُ وَأَنَا مَعَهُمْ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ فَسَمِعْتُ حِسًّا مِنْ وَرَائِي فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِتِنِّينٍ عَظِيمٍ وَهُوَ ثُعْبَانٌ كَبِيرٌ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ أَسْوَدُ أَزْرَقُ مَنْظَرُهُ مُخِيفٌ وَقَدْ فَتَحَ فَاهُ مُسْرِعًا نَحْوِي فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ هَارِبًا فَزِعًا مَرْعُوبًا فَمَرَرْتُ فِي طَرِيقِي بِشَيْخٍ نَقِيِّ الثِّيَابِ جَمِيلِ الْخِلْقَةِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ فَقُلْتُ لَهُ أَجِرْنِي وَأَغِثْنِي فَقَالَ أَنَا ضَعِيفٌ وَهَذَا أَقْوَى مِنِّي وَمَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ مُرَّ بِأَسْرَعَ فَلَعَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يُسَبِّبُ لَكَ مَا يُنْجِيكَ مِنْهُ فَوَلَّيْتُ هَارِبًا عَلَى وَجْهِي فَصَعِدْتُ عَلَى شُرَفٍ مِنْ شُرَفِ الْقِيَامَةِ فَأَشْرَفْتُ عَلَى طَبَقَاتِ النِّيرَانِ فَنَظَرْتُ إِلَى هَوْلِهَا فَكِدْتُ أَهْوِي فِيهَا مِنْ فَزَعِي مِنَ التِّنِّينِ وَهُوَ فِي طَلَبِي فَصَاحَ بِيَ صَائِحٌ ارْجِعْ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا فَاطْمَأَنَّيْتُ إِلَى قَوْلِهِ وَرَجَعْتُ.

رَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ وَرَجَعَ التِّنِّينُ فِي طَلَبِهِ فَقَالَ فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَقُلْتُ يَا شَيْخُ سَأَلْتُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ هَذَا التِّنِّينِ فَلَمْ تَفْعَلْ فَبَكَى الشَّيْخُ وَقَالَ أَنَا ضَعِيفٌ وَلَكِنْ سِرْ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ فَإِنَّ فِيهِ وَدَائِعَ الْمُسْلِمِينَ يَعْنِي أَوْلادَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ صِغَارٌ فَإِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ وَدِيعَةٌ فَسَتَنْصُرُكَ فَنَظَرْتُ إِلَى جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ فِيهِ كُوًى مُخَرَّقَةٌ وَطَاقَاتٌ مُعَلَّقَةٌ وَسُتُورٌ مِنْ حَرِيرٍ وَمَصَارِعُ مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ مُفَصَّلَةٌ بِالْيَوَاقِيتِ مُكَوْكَبَةُ الدُّرِّ وَهَرَبْتُ إِلَيْهِ وَالتِّنِّينُ وَرَائِي حَتَّى إِذَا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ صَاحَ بَعْضُ الْمَلائِكَةِ ارْفَعُوا السُّتُورَ وَافْتَحُوا الْمَصَارِيعَ وَأَشْرِفُوا فَلَعَلَّ لِهَذَا الْبَائِسِ فِيكُمْ وَدِيعَةً تُجِيرُهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَإِذَا السُّتُورُ قَدْ رُفِعَتْ وَالْمَصَارِيعُ قَدْ فُتِحَتْ فَأَشْرَفَ عَلَيَّ أَطْفَالٌ بِوُجُوهٍ كَالأَقْمَارِ وَقَرُبَ التِّنِّينُ مِنِّي فَتَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِي فَصَاحَ بَعْضُ الأَطْفَالِ وَيْحَكُمْ أَشْرِفُوا كُلُّكُمْ فَقَدْ قَرُبَ مِنْهُ فَأَشْرَفُوا فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ فَإِذَا بِابْنَتِي الَّتِي مَاتَتْ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيَّ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَتْنِي بَكَتْ وَقَالَتْ أَبِي وَاللَّهِ أَيْ تَخْلِفُ هَذَا أَبِي ثُمَّ وَثَبَتْ كَرَمْيَةِ السَّهْمِ حَتَّى مَثُلَتْ بَيْنَ يَدَيَّ فَمَدَّتْ يَدَهَا الشِّمَالَ إِلَى يَدِي الْيُمْنَى فَتَعَلَّقْتُ بِهَا وَمَدَّتْ يَدَهَا الْيُمْنَى إِلَى التِّنِّينِ فَوَلَّى هَارِبًا ثُمَّ أَجْلَسَتْنِي

وَقَعَدَتْ فِي حِجْرِي وَقَالَتْ يَا أَبَتِ ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ فَبَكَيْتُ وَقُلْتُ يَا بُنَيَّة أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْقُرْءَانَ فَقَالَتْ يَا أَبَتِ نَحْنُ أَعْرَفُ بِهِ مِنْكُمْ قُلْتُ فَأَخْبِرِينِي عَنْ هَذَا التِّنِّينِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَنِي قَالَتْ ذَلِكَ عَمَلُكَ السُّوءُ قَوَّيْتَهُ (لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي الْمَعَاصِي يَشْرَبُ الْخَمْرَ) فَأَرَادَ أَنْ يُغْرِقَكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ قُلْتُ أَخْبِرِينِي عَنِ الشَّيْخِ الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ فِي طَرِيقِي قَالَتْ يَا أَبَتِ ذَلِكَ عَمَلُكَ الصَّالِحُ أَضْعَفْتَهُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهُ طَاقَةٌ لِعَمَلِكَ السُّوءِ. فَانْتَبَهْتُ فَزِعًا فَلَمَّا أَصْبَحْتُ فَارَقْتُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَتُبْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا سَبَبُ تَوْبَتِي.

قِصَّةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْمُبَارَكِ كَانَ يَغْزُو عَامًا وَيَحُجُّ عَامًا فَفِي عَامٍ مِنْ أَعْوَامِ حَجِّهِ فِي سَفَرِهِ إِلَى الْحَجِّ وَجَدَ فِي مَغَارَةٍ امْرَأَةً تَلْتَقِطُ هِرَّةً وَتَذْبَحُهَا لِلأَكْلِ فَذَكَّرَهَا بِالآيَةِ ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾ [سُورَةَ الْبَقَرَة] فَأَجَابَتْهُ بِبَاقِي الآيَةِ ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾. فَلَمَّا عَلِمَ بِأَنَّهَا مُضْطَرَّةٌ لِتُطْعِمَ أَوْلادَهَا الْجِيَاعَ الَّذِينَ عَضَّهُمُ الْجُوعُ بِنَابِهِ وَشَارَفُوا عَلَى الْهَلاكِ وَلَمْ يَجِدُوا سِوَى الْمَيْتَةِ أَعْطَاهَا مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ مَالٍ وَطَعَامٍ إِلَّا مَا يَكْفِيهِ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ وَلَمْ يَحُجَّ تِلْكَ السَّنَةَ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ جَاؤُوا يُهَنِّئُونَهُ بِالْحَجِّ فَقَالَ لَهُمْ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ هَذِهِ السَّنَةَ فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ هَذَا وَقَدِ اجْتَمَعْنَا بِكَ وَرَأَيْنَاكَ فِي عَرَفَات وَعِنْدَ الْكَعْبَةِ وَفِي مِنًى وَالْمَسْعَى. فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَذَا مَلَكٌ أُرْسِلَ بِصُورَتِهِ فَحَجَّ عَنْهُ.

السُّيُوطِيُّ وَابْنُ عَقِيلٍ

السُّيُوطِيُّ لَوْ وُزِّعَتْ أَوْرَاقُ مُؤَلَّفَاتِهِ عَلَى عُمُرِهِ لَزَادَتْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَشْغَالٌ غَيْرُ التَّأْلِيفِ وَمَعَ أَنَّهُ وَأَمْثَالَهُ كَانُوا يَبْرُونَ الأَقْلامَ بَرْيًا، الْيَوْمَ نَحْنُ مَعَ تَيَسُّرِ الأَسْبَابِ الْمُسَهِّلَةِ لا يَبْلُغُ جُهْدُنَا عُشْرَ جُهْدِ أُولَئِكَ، وَاحِدٌ اسْمُهُ أَبُو الْوَفَاءِ ابْنُ عَقِيلٍ أَلَّفَ ثَمَانِمَائَةِ مُجَلَّدٍ مِنَ الأَجْزَاءِ الصَّغِيرَةِ وَلَهُ كُتُبٌ أُخْرَى وَكَانَ لَهُ أَشْغَالٌ يُدَرِّسُ وَيَعْمَلُ لِمَعِيشَتِهِ كَغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ أُولَئِكَ كَانَ الْوَقْتُ عِنْدَهُمْ مُمْتَدًّا الْيَوْمُ الْوَاحِدُ لَهُمْ كَأَلْفِ يَوْمٍ بِالنِّسْبَةِ لَنَا.

الإِمَامُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [سُورَةَ يُونُس].

سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ الْكَبِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَلَمًا شَامِخًا وَجَبَلًا رَاسِخًا وَعَالِمًا جَلِيلًا مُحَدِّثًا فَقِيهًا مُفَسِّرًا ذَا رِوَايَاتٍ عَالِيَاتٍ وَإِجَازَاتٍ رَفِيعَاتٍ قَارِئًا مُجَوِّدًا حَافِظًا حُجَّةً مُتَمَكِّنًا فِي الدِّينِ سَهْلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَعْبًا عَلَى الضَّالِّينَ هَيِّنًا لَيِّنًا كَرِيمَ الْخُلُقِ حُلْوَ الْمُكَالَمَةِ لَطِيفَ الْمُعَاشَرَةِ لا يَمَلُّهُ جَلِيسُهُ وَلا يَنْصَرِفُ عَنْ مَجَالِسِهِ إِلَّا لِعِبَادَةٍ حَمُولًا لِلأَذَى وَفِيًّا إِذَا عَاهَدَ صَبُورًا عَلَى الْمَكَارِهِ جَوَادًا مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ كَاظِمًا لِلْغَيْظِ مِنْ غَيْرِ حِقْدٍ بَحْرًا مِنْ بِحَارِ الشَّرْعِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ وَارِثًا أَخْلاقَ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُطْبُ الْغَوْثُ الْجَامِعُ الشَّيْخُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ الرِّفَاعِيُّ الْحُسَيْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ عَامِلًا بِشَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُخَالِفًا لِهَوَاهُ لا يُتْبِعُ نَفْسَهُ الْهَوَى فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَقْتَصِرُ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي يَحْفَظُ لَهُ صِحَّةَ جَسَدِهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ. وَكَانَ لِسَيِّدِنَا أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ حَظٌّ كَبِيرٌ بِالتَّوَاضُعِ حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ فِيهِ الْمَثَلُ بِالتَّوَاضُعِ وَهَكَذَا مَشَايِخُ سِلْسِلَةِ طَرِيقَتِهِ مَعْرُوفُونَ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ بِالتَّوَاضُعِ وَهَذَا حَظٌّ كَبِيرٌ، الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَيَّنَ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ غَافِلُونَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ التَّوَاضُعِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ «**إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعِ**».

ثُمَّ إِنَّ الإِمَامَ الرِّفَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَجْتَمِعُ فِي زَاوِيَتِهِ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ فِي لَيْلَةٍ مِنَ السَّنَةِ يُسَمُّونَهَا لَيْلَةَ الْمَحْيَا كَانَ هُوَ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِمْ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَهُوَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ وَلا مِنْ بَيْتِ الْوِزَارَةِ وَإِنَّمَا كَانَ يَقُومُ بِذَلِكَ بِمَدَدٍ أَمَدَّهُ اللَّهُ بِهِ وَمَعَ هَذَا كَانَ شَدِيدَ التَّوَاضُعِ، خُلَفَاؤُهُ وَخُلَفَاءُ خُلَفَائِهِ زَادُوا فِي حَيَاتِهِ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ بَلَغَ عَدَدُهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَكَانَتْ تَظْهَرُ لَهُمْ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَهِيَ الْكَرَامَاتُ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الأَتْقِيَاءَ كَدُخُولِ الأَفْرَانِ الْحَامِيَةِ كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ الْفُرْنَ الْحَامِيَ يَنَامُ فِي جَانِبٍ وَالْخَبَّازُ يَخْبِزُ فِي الْجَانِبِ الآخَرِ لا يَتَأَذَّى بِالنَّارِ لِأَنَّ النَّارَ لا تَخْلُقُ الإِحْرَاقَ إِنَّمَا خَالِقُ الإِحْرَاقِ فِيهَا هُوَ اللَّهُ أَلَمْ تَكُنْ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَذَلِكَ مِنَ الرِّفَاعِيَّةِ مَنْ كَانُوا يُقِيمُونَ حَضْرَةَ الذِّكْرِ وَيُشْعِلُونَ نَارًا عَظِيمَةً فَيَدْخُلُونَ فِيهَا وَيَمْكُثُونَ فِيهَا حَتَّى تَنْطَفِئَ. مَرَّةً قَصَدَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ وَلَمَّا وَصَلَ الرِّفَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ

تُجَاهَ حُجْرَةِ النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا جَدِّى فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلامُ يَا وَلَدِى، سَمِعَ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ فِى الْمَسْجِدِ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتِهِ ثُمَّ قَامَ وَبَكَى وَأَنَّ طَوِيلًا وَقَالَ يَا جَدَّاهُ فِى حَالَةِ الْبُعْدِ رُوحِى كُنْتُ أُرْسِلُهَا تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّى وَهِىَ نَائِبَتِى وَهَذِهِ دَوْلَةُ الأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ فَامْدُدْ يَمِينَكَ كَىْ تَحْظَى بِهَا شَفَتِى فَمَدَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ الْعَطِرَةَ مِنْ قَبْرِهِ الأَزْهَرِ الْمُكَرَّمِ فَقَبَّلَهَا فِى مَلإٍ يَقْرُبُ مِنْ تِسْعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ الْيَدَ الشَّرِيفَةَ.

هَذَا الإِمَامُ الْجَلِيلُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى أَفَاضَ عَلَيْهِ بِجَوَاهِرِ الْكَلِمِ فَمِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِى تَكَلَّمَ بِهَا فِى عِلْمِ الأُصُولِ «غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ الإِيقَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلا كَيْفٍ وَلا مَكَانٍ».

وَمِنْ جَوَاهِرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ «يَا وَلَدِى إِذَا تَعَلَّمْتَ عِلْمًا وَسَمِعْتَ نَقْلًا حَسَنًا فَاعْمَلْ بِهِ وَلا تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَلا يَعْمَلُونَ».

وَيَقُولُ «الْعَجَبُ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ كَيْفَ يَنْسَى الْمَوْتَ وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُفَارِقُ الدُّنْيَا كَيْفَ يَنْكَبُّ عَلَيْهَا وَيَقْطَعُ أَيَّامَهُ بِمَحَبَّتِهَا».

وَيَقُولُ «الدُّنْيَا أَوَّلُهَا ضَعْفٌ وَفُتُورٌ وَءَاخِرُهَا مَوْتٌ وَقُبُورٌ».

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُزَهِّدَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِبَرَكَاتِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ الْكَبِيرِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ.

قِصَّةُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْيَهُودِيِّ الَّذِى أَسْلَمَ

كَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِى مَعَ جَمْعٍ مِنْ مُرِيدِيهِ فَعَلِمَ بِذَلِكَ يَهُودِىٌّ كَانَ يَسْمَعُ أَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ الرِّفَاعِىَّ حَلِيمٌ مُتَوَاضِعٌ فَأَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ هَلْ هُوَ كَمَا يَصِفُهُ النَّاسُ أَمْ لا فَأَتَى إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدُ أَنْتَ أَفْضَلُ أَمِ الْكَلْبُ أَفْضَلُ فَقَالَ السَّيِّدُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ «**إِنْ نَجَوْتُ عَلَى الصِّرَاطِ فَأَنَا أَفْضَلُ**» فَأَسْلَمَ الْيَهُودِىُّ وَأَسْلَمَ أَهْلُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ مَعَارِفِهِ أَىْ نَطَقُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَلَوْلا أَنَّهُ تَوَاضَعَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ مَعَهُ لَمْ يُسْلِمْ فَلَوْ كَانَ ظَهَرَ فِى وَجْهِهِ أَنَّهُ غَضِبَ وَلَوْ كَانَ اكْفَهَرَّ فِى وَجْهِهِ أَوْ قَالَ لَهُ كَلِمَةَ شَتْمٍ مَا رَغِبَ فِى الإِسْلامِ لَكِنْ أَعْجَبَهُ شِدَّةُ حِلْمِهِ وَتَوَاضُعِهِ فَاعْتَرَفَ الْيَهُودِىُّ فِى نَفْسِهِ بِأَنَّ دِينَ هَذَا السَّيِّدِ صَحِيحٌ وَأَسْلَمَ.

غُلامٌ تَقِيٌّ عَاقِلٌ شُجَاعٌ

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بنُ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِنَا هَذَا نَتَهَيَّأُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْغَزْوِ وَقَدْ أَمَرْتُ أَصْحَابِي أَنْ يَتَهَيَّئُوا لِقِرَاءَةِ ءَايَتَيْنِ فَقَرَأَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِنَا ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ فَقَامَ غُلامٌ فِي مِقْدَارِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَة أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَوَرَّثَهُ مَالًا كَثِيرًا فَقَالَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ بنَ زَيْدٍ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا حَبِيبِي فَقَالَ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ بِعْتُ نَفْسِي وَمَالِي بِأَنَّ لِيَ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ حَدَّ السَّيْفِ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ صَبِيٌّ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ لا تَصْبِرَ وَتَعْجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ أُبَايِعُ اللَّهَ تَعَالَى بِالْجَنَّةِ ثُمَّ أَعْجَزُ أَنَا أُشْهِدُ اللَّهَ تَعَالَى أَنِّي قَدْ بَايَعْتُهُ أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَتَقَاصَرَتْ إِلَيْنَا أَنْفُسُنَا وَقُلْنَا صَبِيٌّ يَعْقِلُ وَنَحْنُ لا نَعْقِلُ فَخَرَجَ مِنْ مَالِهِ كُلِّهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ إِلَّا فَرَسَهُ وَسِلاحَهُ وَنَفَقَتَهُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخُرُوجِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ عَلَيْنَا فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ فَقُلْتُ وَعَلَيْكَ السَّلامُ رَبِحَ الْبَيْعُ ثُمَّ سِرْنَا وَهُوَ مَعَنَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ وَيَخْدِمُنَا وَيَخْدِمُ دَوَابَّنَا وَيَحْرُسُنَا إِذَا نِمْنَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا بِهِ قَدْ أَقْبَلَ وَهُوَ يُنَادِي وَاشَوْقَاهُ إِلَى الْعَيْنَاءِ الْمَرْضِيَّةِ فَقَالَ أَصْحَابِي لَعَلَّهُ وُسْوِسَ لِهَذَا الصَّبِيِّ وَاخْتَلَطَ عَقْلُهُ فَقُلْتُ حَبِيبِي وَمَا هَذِهِ الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ فَقَالَ إِنِّي غَفَوْتُ غَفْوَةً فَرَأَيْتُ كَأَنَّهُ أَتَانِي ءَاتٍ فَقَالَ لِيَ اذْهَبْ إِلَى الْعَيْنَاءِ الْمَرْضِيَّةِ فَهَجَمَ بِي عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا نَهْرٌ مِنْ مَاءٍ وَإِذَا عَلَى قُرْبِ النَّهْرِ جَوَارٍ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ مَا لا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَهُ فَلَمَّا رَأَيْنَنِي اسْتَبْشَرْنَ بِي وَقُلْنَ هَذَا زَوْجُ الْعَيْنَاءِ الْمَرْضِيَّةِ فَقُلْتُ السَّلامُ عَلَيْكُنَّ أَفِيكُنَّ الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ فَقُلْنَ نَحْنُ خَدَمُهَا وَإِمَاؤُهَا امْضِ أَمَامَكَ فَمَضَيْتُ أَمَامِي فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ فِي رَوْضَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ فِيهَا جَوَارٍ لَمَّا رَأَيْتُهُنَّ افْتُتِنْتُ بِحُسْنِ جَمَالِهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَنِي اسْتَبْشَرْنَ بِي وَقُلْنَ هَذَا وَاللَّهِ زَوْجُ الْعَيْنَاءِ الْمَرْضِيَّةِ فَقُلْتُ السَّلامُ عَلَيْكُنَّ أَفِيكُنَّ الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ فَقُلْنَ وَعَلَيْكَ السَّلامُ يَا وَلِيَّ اللَّهِ نَحْنُ خَدَمُهَا وَإِمَاؤُهَا فَتَقَدَّمْ أَمَامَكَ فَتَقَدَّمْتُ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ مِنْ خَمْرٍ غَيْرِ خَمْرِ الدُّنْيَا لا يُسْكِرُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَبِقُرْبِ النَّهْرِ جَوَارٍ فَقُلْتُ السَّلامُ عَلَيْكُنَّ أَفِيكُنَّ الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ قُلْنَ لا نَحْنُ خَدَمُهَا وَإِمَاؤُهَا امْضِ أَمَامَكَ فَمَضَيْتُ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ ءَاخَرَ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَجَوَارٍ عَلَيْهِنَّ مِنَ النُّورِ وَالْجَمَالِ مَا أَنْسَانِي مَا خَلَّفْتُ فَقُلْتُ السَّلامُ عَلَيْكُنَّ أَفِيكُنَّ الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ قُلْنَ يَا وَلِيَ اللَّهِ نَحْنُ خَدَمُهَا وَإِمَاؤُهَا فَامْضِ أَمَامَكَ فَمَضَيْتُ فَوَصَلْتُ إِلَى خَيْمَةٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ وَعَلَى بَابِ الْخَيْمَةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهَا مِنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ مَا لا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَهُ فَلَمَّا رَأَتْنِي اسْتَبْشَرَتْ وَنَادَتْ مَنْ فِي الْخَيْمَةِ أَيَّتُهَا الْعَيْنَاءُ الْمَرْضِيَّةُ هَذَا بَعْلُكِ قَدْ قَدِمَ. قَالَ فَدَنَوْتُ مِنَ الْخَيْمَةِ وَدَخَلْتُ فَإِذَا هِيَ قَاعِدَةٌ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ

مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا افْتُتِنْتُ بِهَا وَهِيَ تَقُولُ مَرْحَبًا بِكَ يَا وَلِيَ الرَّحْمٰنِ قَدْ دَنَا لَكَ الْقُدُومُ عَلَيْنَا فَذَهَبْتُ لِأُعَانِقَهَا فَقَالَتْ مَهْلًا فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تُعَانِقَنِي لِأَنَّ فِيكَ رُوحَ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تُفْطِرُ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ فَانْتَبَهْتُ (اسْتَيْقَظْتُ) يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ وَلا صَبْرَ لِي عَنْهَا قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَمَا انْقَطَعَ كَلامُنَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ لَنَا سَرِيَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَهَجَمَ الْغُلامُ عَلَيْهِمْ فَعَدَدْتُ تِسْعَةً مِنَ الْعَدُوِّ قَتَلَهُمْ وَكَانَ هُوَ الْعَاشِرَ فَمَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ مِلْءَ فِيهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ مَغْرُورًا وَغَرَّارًا

هَلَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا مُعَانَقَة ... حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارًا

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا ... فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لا تَأْمَنَ النَّارَا

كَرَامَةُ فَاطِمَةَ الزُّبَيْرِيَّةِ

كَانَتِ امْرَأَةٌ تَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ حَجَّتْ ثُمَّ زَارَتِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَوَتِ الإِقَامَةَ فِي مَكَّةَ فَصَارَ لَهَا شُهْرَةٌ بِالتَّقْوَى وَالصَّلاحِ وَالْعِلْمِ ثُمَّ عَمِيَتْ سَنَتَيْنِ ثُمَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرَادَتْ أَنْ تَتَوَضَّأَ لِصَلاةِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَزَحْلَقَتْ عَلَى دَرَجٍ فَانْكَسَرَ ضِلْعَانِ مِنْ أَضْلاعِهَا وَمَعَ ذَلِكَ تَكَلَّفَتْ وَصَلَّتْ ثُمَّ نَامَتْ فَرَأَتِ الرَّسُولَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مُقْبِلِينَ مِنْ جِهَةِ الْكَعْبَةِ بَابُ بَيْتِهَا كَانَ مُوَاجِهًا لِلْكَعْبَةِ فَجَاءَ الرَّسُولُ فَبَصَقَ عَلَى طَرَفِ رِدَائِهِ وَقَالَ لَهَا امْسَحِي بِهِ عَيْنَيْكِ فَأَخَذَتِ الرِّدَاءَ فَمَسَحَتْ بِهِ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ فِي الْحَالِ ثُمَّ وَضَعَتْهُ عَلَى مَوْضِعِ الْكَسْرِ فَتَعَافَى ثُمَّ اسْتَيْقَظَتْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ خَادِمَتُهَا رَأَتْهَا مُبْصِرَةً فَقَصَّتْ عَلَيْهَا قِصَّتَهَا، كَثِيرٌ مِنْ نِسَاءِ مَكَّةَ اسْتَفَدْنَ مِنْهَا فِي الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى كَانَتْ حَنْبَلِيَّةً فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الدَّائِمِ الزُّبَيْرِيَّةُ، ثُمَّ الرَّسُولُ أَشَارَ لَهَا إِلَى اثْنَيْنِ قَالَ لَهَا هَذَانِ فِي زَمَانِهِمَا عَالِمَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي زَمَانِهِمَا يَعْنِي فِي عُلُوِّ دَرَجَتِهِمَا فِي زَمَانِهِمَا وَأَشَارَ إِلَى اثْنَيْنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ لَهَا هَذَانِ فَاسِقَانِ ذَمَّهُمَا فَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ أَخْبَرَتْ خَادِمَتَهَا وَانْتَشَرَ خَبَرُهَا فِي الأَرْضِ وَصَارَ الْعُلَمَاءُ يُرَاسِلُونَهَا وَأَخْبَرَتِ الْعَالِمَيْنِ الدَّيِّنَيْنِ بِمَا رَأَتْ فَطَلَبَا مِنْهَا أَنْ لا تُخْبِرَ النَّاسَ فِي حَيَاتِهِمَا مِنْ شِدَّةِ تَوَاضُعِهِمَا يَخَافَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا الْفِتْنَةَ وَالرِّيَاءَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَقَعُوا فِي الْفِتْنَةِ. ثُمَّ هَذِهِ الْكَرَامَةُ لِهَذِهِ الْوَلِيَّةِ مُعْجِزَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ أَعْجَبُ مِنْ مُعْجِزَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فَشُفُوا، الرَّسُولُ بِالْمَنَامِ شَفَى بِإِذْنِ اللَّهِ.

قِصَّةُ وَلِيٍّ مِنَ الْحَبَشَةِ

حَصَلَ فِي الْحَبَشَةِ أَنَّ شَيْخًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ مَنْهُومٌ بِالْعِبَادَةِ يُحِبُّ الصَّلاةَ كَأَنَّهُ يَلْتَذُّ بِالصَّلاةِ مَا لا يَلْتَذُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، هَذَا الْوَلِيُّ اسْمُهُ مُحَمَّدُ وِدَّاتُو مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ مُولَعٌ بِالصَّلاةِ صَارَ يَخْرُجُ إِلَى غَابَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ ضَيْعَتِهِ حَتَّى يُصَلِّيَ كَمَا يَشَاءُ وَلا يَشْغَلُهُ أَحَدٌ فَظَلَّ يُصَلِّي هُنَاكَ حَتَّى حَصَلَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ اسْتِغْرَاقٌ وَهُوَ قَائِمٌ غَابَ صَارَ لا يَتَكَلَّمُ مَعَ أَحَدٍ وَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَلا يَجْلِسُ طَرْفَةً لا فِي لَيْلٍ وَلا فِي نَهَارٍ النَّاسُ الَّذِينَ يَمُرُّونَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ رَأَوْهُ فَصَارُوا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحْتَ السَّمَاءِ وَلَيْسَ فَوْقَ رَأْسِهِ شَيْءٌ بَنُوا عَلَيْهِ ظُلَّةً عَرِيشَةً بَنُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عَرِيشَةً حَتَّى تُظِلَّهُ مِنَ الشَّمْسِ وَهُوَ لا عِلْمَ وَلا شُعُورَ لَهُ بِهِمْ فَأَحَدُ الأَشْخَاصِ مِنَ الطَّيِّبِينَ قَالَ قُلْتُ فِي نَفْسِي لَعَلَّ الشَّيْخَ يَظَلُّ بِالنَّهَارِ وَاقِفًا وَبِاللَّيْلِ يَسْتَرِيحُ لَأُرَاقِبَنَّهُ اللَّيْلَةَ قَالَ ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَبِتُّ أُرَاقِبُهُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فَلَمْ أَرَهُ وَهُوَ يَجْلِسُ بَلْ هُوَ كَمَا بِالنَّهَارِ حَتَّى قَضَى شَهْرَيْنِ أَكْمَلَ شَهْرَيْنِ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ ثُمَّ ذَهَبَ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى الْعَاصِمَةِ ظَلَّ هُنَاكَ سِنِينَ، هَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا بِأُمِّهِ كَانَ إِذَا حَصَلَ فِي الضَّيْعَةِ وَفَاةٌ يَهْتَمُّ بِتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ وَكَانَ قَدْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ كَانَ مُحَصِّلًا لِعِلْمِ الدِّينِ عَاشَ نَحْوَ سَبْعِينَ عَامًا مِنَ الْعُمُرِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قِصَّةُ الرَّجُلِ الْمُرَابِي (يَتَعَاطَى الرِّبَا)
وَمَا حَصَلَ لَهُ فِي قَبْرِهِ

لِيَحْذَرِ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرِّبَا وَلا يَسْتَهِنْ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّبَا فَإِنَّ عَاقِبَةَ الرِّبَا وَخِيمَةٌ وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ وَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ ءَاثَارٌ مِنَ الْعَذَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ كَانُوا مَعْرُوفِينَ بِالرِّبَا، فِي نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي بِلادِ الْحَبَشَةِ كَانَ رَجُلٌ يُرَابِي مَعْرُوفًا بِالْمُرَابَاةِ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ فِيهِ تَجَبُّرٌ عَلَى النَّاسِ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ مَرَّةً فِي مَوْكِبٍ وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَةً فَرَأَى امْرَأَةً أَعْجَبَتْهُ فَأَخَذَهَا قَهْرًا وَزَوْجُهَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ ضَعِيفٌ فَأَخَذَهَا مِنْهُ قَهْرًا ثُمَّ مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ فَصَارَ يَطْلُعُ مِنْ قَبْرِهِ الدُّخَانُ صَارَ أَهْلُهُ يَجْمَعُونَ لَهُ الْمَشَايِخَ فَقَالَ لَهُمْ بَعْضُ الْمَشَايِخِ اسْتَسْمِحُوا لَهُ النَّاسَ الَّذِينَ كَانَ يَأْخُذُ مِنْهُمُ الْمَالَ بِالْقَرْضِ، لِأَنَّهُ اشْتَرَطَ بِإِقْرَاضِهِ لَهُمْ جَرَّ مَنْفَعَةٍ لَهُ فَصَارُوا يَدُورُونَ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُونَ لِهَذَا سَامِحْ فُلانًا وَلِهَذَا وَلِهَذَا وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْرَأُونَ لَهُ عَلَى الْقَبْرِ ثُمَّ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ انْقَطَعَ هَذَا الدُّخَانُ مِنْ قَبْرِهِ وَمَا يَسْتُرُهُ اللَّهُ أَكْثَرُ إِنَّمَا يُظْهِرُ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَثِيرِ، اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُخْفِي حَالَ أَكْثَرِ الْمُرَابِينَ وَلا سِيَّمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا أَكْثَرَ عَدَدَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ.

الْفِهْرَسُ الْعَام

- مُقَدِّمَةٌ
- مُحَاوَلَةُ إِحْرَاقِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- رُؤْيَةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ لِإِحْيَاءِ الطُّيُورِ الأَمْوَاتِ
- قِصَّةُ الذَّبِيحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- ذُو الْقَرْنَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ
- جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ لِسَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- ءَايَاتُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الْمُفَصَّلاتُ
- عَصَا سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ
- قِصَّةُ ءَالِ فِرْعَوْنَ
- قِصَّةُ سَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا هَارُونَ مَعَ الطَّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ ثُمَّ انْتِصَارُ سَيِّدِنَا يُوشَعَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- ذِكْرُ مُعْجِزَةٍ لِسَيِّدِنَا مُوسَى وَمُعْجِزَةٍ لِسَيِّدِنَا يُوشَعَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ
- الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَطْوَلُ النَّاسِ عُمُرًا
- مَوْلِدُ الْخَضِرِ وَنَسَبِهِ
- السَّبَبُ فِي طُولِ عُمُرِهِ
- نُبُوَّةُ الْخَضِرِ وَمُقَابَلَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ
- مُوسَى وَالْخَضِرُ فِي السَّفِينَةِ
- الْخَضِرُ وَالْغُلامُ
- الْخَضِرُ وَالْيَتِيمَانِ
- بَعْضُ مَنْ رَأَى الْخَضِرَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- الْخَضِرُ وَإِلْيَاسُ
- قِصَّةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ
- قِصَّةُ قَارُونَ لَعَنَهُ اللَّهُ

- أَصْحَابُ السَّبْتِ
- الرِّيحُ الْمُسَخَّرَةُ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ
- قِصَّةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَبِلْقِيسَ وَءَاصِفَ بنِ بَرْخِيَا
- ذِكْرُ كَيْفَ قُتِلَ نَبِيُّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ
- قِصَّةُ عُزَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- وِلادَةُ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ
- سَيِّدُنَا عِيسَى بنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَالأَرْغِفَةُ الثَّلاثَةُ
- مَائِدَةُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ
- مُعْجِزَاتُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الْمُتَوَالِيَاتُ
- ذِكْرُ حِكَايَةٍ طَيِّبَةٍ حَصَلَتْ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَعَ الْحَوَارِيِّينَ
- قِصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى وَجَمَاعَتِهِ لَمَّا مَرُّوا بِقَبْرٍ
- قِصَّةُ جُرَيْجٍ الَّذِى كَانَ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ
- أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَيِ الْبُسْتَانِ
- أَصْحَابُ الْكَهْفِ
- قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ وَهِىَ بِنْتُ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ
- الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ وَالْكَافِرُ الشَّقِيُّ
- قِصَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدِ مَنَافٍ
- الْهِجْرَةُ
- مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى
- غَزْوَةُ أُحُدٍ
- غَزْوَةُ خَيْبَرَ
- قِصَّةُ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ وَالأَعْمَى
- قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِى كَانَ يَمْشِى مُتَبَخْتِرًا

- قِصَّةُ امْرَأَةٍ عَرَضَتْ ابْنَتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- قِصَّةُ أَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سُلَيْمٍ
- قِصَّةُ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمَ فِي الْمَدِينَةِ
- قِصَّةُ إِسْلامِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ الْعَلاءِ بنِ الْحَضْرَمِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
- سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلامُ
- قِصَّةُ الإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ صَحَابِيٍّ رَأَى امْرَأَةً أَعْجَبَتْهُ
- قِصَّةُ مَلِكِ الْفُرْسِ
- ذِكْرُ قِصَّةِ سَيِّدِنَا الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَفْتَى وَعُمُرُهُ نَحْوُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَة
- قِصَّةُ رَحْمَةِ بِنْتِ إِبْرَاهِيمَ
- قِصَّةُ وَلِيٍّ مِنْ حَلَب
- قِصَّةُ وَالِي سَجَسْتَانَ طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ
- كَسْرُ النَّفْسِ وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَقِصَّةُ دِينَارِ الْعِيَارِ
- قِصَّةُ الْوَلِيِّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أَبِي نُعْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- صَدِيقُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُمَا اللَّهُ
- قِصَّةُ زُبَيْدَةَ امْرَأَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
- قِصَّةُ وَلَدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ
- قِصَّةُ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْخُلَفَاءِ
- قِصَّةُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ تَوْبَةِ مَالِكِ بنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
- قِصَّةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ

- السُّيُوطِيُّ وَابْنُ عَقِيلٍ
- الإِمَامُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ
- قِصَّةُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِيِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْيَهُودِيِّ الَّذِى أَسْلَمَ
- غُلامٌ تَقِيٌّ عَاقِلٌ شُجَاعٌ
- كَرَامَةُ فَاطِمَةَ الزُّبَيْرِيَّةِ
- قِصَّةُ وَلِيٍّ مِنَ الْحَبَشَةِ
- قِصَّةُ الرَّجُلِ الْمُرَابِى يَتَعَاطَى الرِّبَا وَمَا حَصَلَ لَهُ فِى قَبْرِهِ